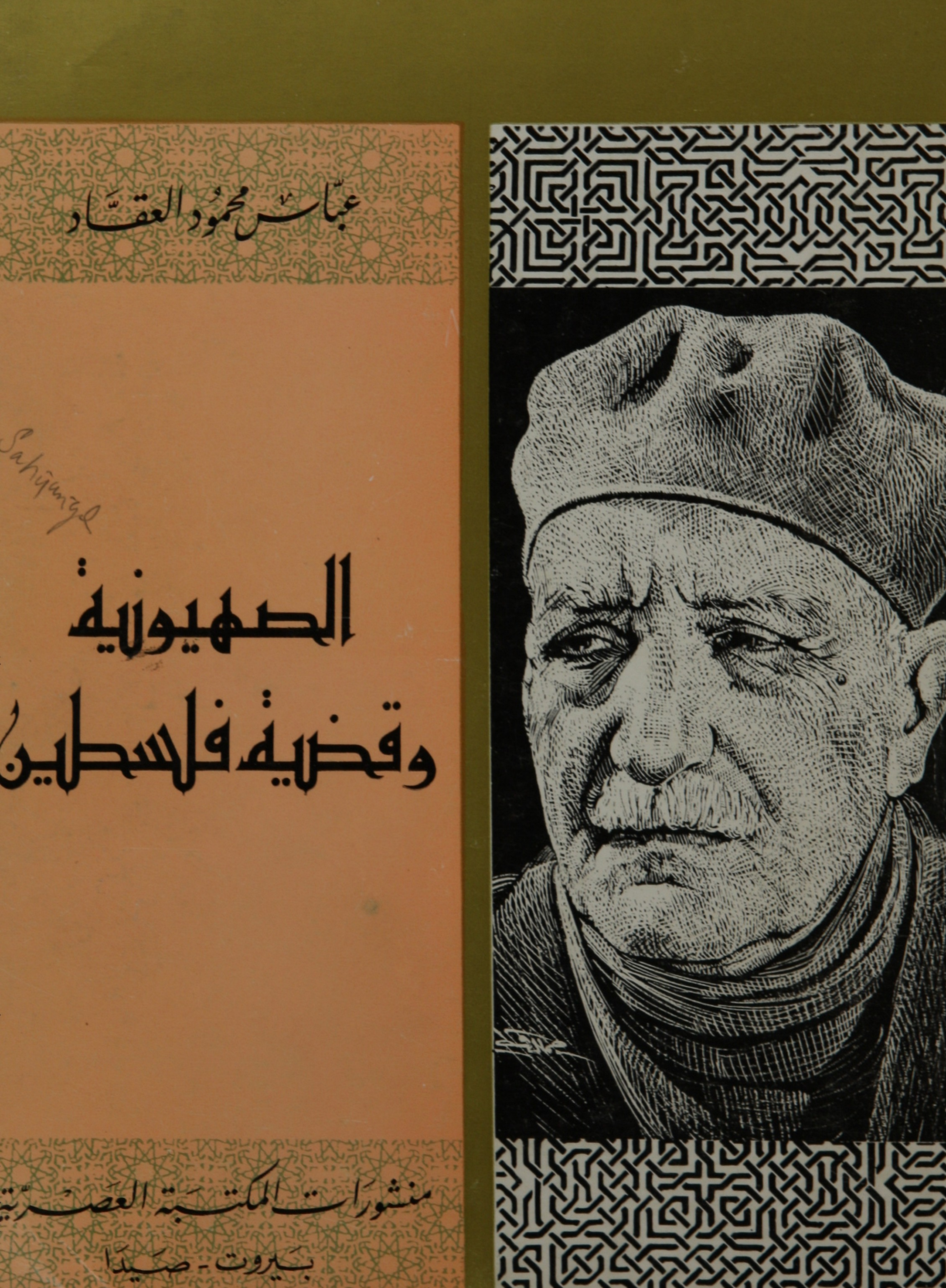



عبّاس محمود العقّاد
الصهيونية
وقضية فلسطين
منشورات المكتبة العصرية
بيروت - صيدا



عبّاس محمود العقاد

الصّهيونيّة وقضيّة فلسطين

تحرير

الحساني حسن عبد الله

منشورات
المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

مقدمة

« قضية صهيون كلها من ألفها إلى يائها ومن أقدم عصورها إلى أحدثها ، قضية أناس متعصبين لا يقنعون بما دون السيطرة على العالمين ، تصديقاً لوعد إلههم القديم الذي يعجبهم ان يسمى برب الجنود .

وقد كان أمام الصهيونيين متسع في بقـــاع الارض الكثيرة لو انهم أرادوا المسكن والمأوى ، ولم يطمحوا إلى شيء غير السكينة والقرار .

كان لهم متسع في بقاع افريقية الجنوبية وفي بقاع استراليا الشاسعة وفي الارض الصالحة من أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية ، ولكنهم رفضوا كل هذه البقـاع وأصروا على أرض فلسطين دون أي أرض أخرى ، لانها هي الارض التي تقام فيها مملكة صهيون ، أو مملكة الجهاد في وجه العالم بأسره ، لا في وجه العرب وحدهم ولا في وجه المسلمين دون غيرهم من أبناء الاديان .

فالصهيونيون هم آخر من يحق لهم أن يثيروا في دعايتهم تهمة التعصب الاعمى والكراهية الدينية ، لأن العالم لا يعرف لدداً في الخصومـــة ولا « هوساً » في العصبية كهذا اللدد الذي يبدو من دعاة صهيون ، وهـذا الهوس الذي يحملهم وراء المعقول في سبيل السيادة على الآخرين .

ولو كان المسلمون وحدهم هم ضحية هذا الهوس العجيب لجاز أن تلصق بهم

التهمة عند الأمريكيين والأوربيين ، ولكن المسلمين لا ينفردون بالحذر من الصهيونية والتوجس من أخطارها القريبة والبعيدة. بل يشاركهم في ذلك كله أبناء البلاد المسيحيون ، كما يشاركهم بعض السامريين من أبناء إسرائيل . وجملة الإسرائيليين ممن يخضعون للارهاب في مجـــاراة الدعوة الصهيونية ، ولو تركوا لأنفسهم لفضلوا الامان حيث يقيمون في الاوطان المختلفة ، على التغرير بهم في حركة هوجاء ، تجر عليهم عداوة الامم في غير جدوى .

ان المسلمين لا يقاومون الصهيونيين لأنهم يخالفونهم في الدين . فقد عـــاش المسلمون والمسيحيون في هذه الارض بعينها على أحسن ما يكون مـــن المودة والسلام ، ودامت بينهم هذه المودة حتى في عهـــد الحروب الصليبية وهي تلك الحروب التي ألهبت نيران العداوة الدينية في صدور دعاتها من الاوربيين » .

تقهقر في الوعود [1]

قضية فلسطين من قضايا التاريخ التي يدل فيهـــا الماضي على المستقبل ، وهو مستقبل لا يسر الصهيونيين .

فهذه القضية التي لا تحسب اليوم من أخبار البرق المستعجل قد تسامع الناس بأخبارها منذ أربعة آلاف سنة ، وما زال التاريخ منذ ذلك الحين يعرضها مرة بعد مرة ، ويحلها مرة بعد مرة ، ولم يكن حل من هذه الحلول على هوى عشاق صهيون ، ولولا ذلك لماعادت القضية من جديد .

وقد كان الصهيونيون يعتمدون في هذه القضية على وعـــد من « يهوا » إله إسرائيل القديم .

ثم أصبحوا يعتمدون على وعد من موسى عليه السلام ، ثم اعتمدوا على وعد من كورش ملك فارس قبل الميلاد بستة قرون ، ثم اعتمدوا على وعـــد الوزير الانجليزي بلفور .

وان قضية تتقهقر مع الزمن من وعد إله إلى وعد نبي إلى وعد ملك إلى وعد وزير – لقضية محتومة الضياع .

(١) وعد يهوا

إن العرب لا يحتاجون إلى بحث طويل لإثبات حقهم القـــديم في فلسطين ،

---

(١) أخبار اليوم ١٩٤٧/١/١٨ .

وإقامة هذا الحق على أنهم هم أبناء البلاد الأصلاء من قبل عهد ابراهيم عليه السلام .

فان كتب الصهيونيين نفسها تروي عهد « يهوا » لابراهيم ، وتروي معه ان البلاد كانت يومئذ في أيدي الكنعانيين .

وقد جاء في الإصحاح الثاني عشر من سفر التكوين ان ابراهيم « اجتاز في الأرض إلى مكان شكيم ... وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض . وظهر الرب لابرام وقال : « لنسلك أعطي هذه الأرض . . » .

وكنعان اسم عربي لا شك فيه ، وهو يدل على سكان البلاد الواطئة في ساحل فلسطين ، ولا تزال مادة كنع وقنع وخنع في اللغة العربية تدل على معنى التوطئة والهبوط .

وعلماء الأجناس الثقات متفقون على أن الكنعانيين والآراميين مهاجرون من جزيرة العرب نزلوا في وادي الأردن ودخلوا منه إلى فلسطين وأطلقوا عليها اسم أرض كنعان ، ثم جاء اليونان فأطلقوا على الأرض اسم فلسطين .

أما قصة الوعد الذي من أجله سميت فلسطين بأرض الميعاد ، فخلاصتها ان إبراهيم عليه السلام كان في العراق ، فضاقت به وبقومه ، واضطر إلى الرحلة في البادية كما ترحل القبائل البدوية إلى اليوم . فلما أشرف على أرض كنعان أعجبته ، وود لو اتسعت له فيها سبل السقي والمرعى . ولكنه لم يستطع أن يتحول من تخومها إلى داخلها ، فانحدر منها إلى مصر ، ثم عاد اليها فجعل يطوف حولها زمناً ولا يتمكن من دخولها .

وكان عزاؤه فيما حفظته كتب العهد القديم بعد ذلك ان « يهوا » ظهر له فناداه : « أن ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوباً وشرقاً وغرباً ، لأن جميع الأرض التي تراها أعطيكها لك ولنسلك إلى الأبد ، وأجعل نسلك كتراب الأرض حتى إذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض فقد يستطيع أن يعد نسلك » .

وكتب اليهود ليست بحجة على غيرهم ولا بحجة على أعدائهم في انتزاع أرضهم .

ولكن خصومهم يناقشونهم فيقولون : لو كان هذا العهد ميثاقاً نافذاً لملك إبراهيم الأرض شمالا وجنوباً وشرقاً وغرباً في حياته ، ولكنه لم يملكها كما هو معلوم .

وعلى كل تقدير يصح أن يقال إن أبناء ابراهيم قد ملكوا فلسطين لأن قبائل قريش هم أبناء إسماعيل بن إبراهيم .

ويصح أن يقال ان بني إسرائيل أخلفوا وعدهم كما قال موسى عليه السلام فعوقبوا بالحرمان والتشريد .

(٢) وعد موسى

ثم خرج بنو إسرائيل من مصر ، وجاء في كتب العهد القديم بلسان يهوا : « إني علمت أوجاعهم فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين واصعدهم من تلك الارض إلى أرض جيدة واسعة . إلى أرض تفيض لبناً وعسلا ... إلى مكان الكنعانيين ... » .

فهي أيضاً مكان الكنعانيين بعد قرون مضت على عهد إبراهيم .

ثم قال موسى في سفر التثنية : « أنتم قد أخذكم الرب وأخرجكم من كور الحديد من مصر لكي تكونوا له شعب ميراث ... وإذا ولدتم أولاداً وأولاد أولاد ، وأطلتم الزمان في الارض وفسدتم وصنعتم تمثالا منحوتا ... وفعلتم الشر في عيني الرب ... أشهد عليكم اليوم السماء والأرض انكم تبيدون سريعاً عن الارض التي أنتم عابرون الاردن اليها . ولا تطيلون الايام عليها ، بل تهلكون لا محالة ويبددكم الرب في الشعوب ، فتبقون عدداً قليلا بين الامم التي يسوقكم الرب اليها » .

ثم وعدهم بالرحمة إذا عادوا إلى الرب لانه إله رحيم .

وسواء كتبت هذه النبوءة في عهد موسى عليه السلام أو بعد عهده بزمن طويل أو قصير ، فالواقع ان أبناء إسرائيل قد استحقوا غضب الرب فسلط عليهم سرجون الاشوري في سنة ٧٢٢ قبل الميلاد وأخرج منهم عشرة أسباط من أسباط الشمال ، فبادوا في الامم ولا يعرف لهم قرار إلى اليوم . وإن كان بعضهم يقول ان هؤلاء الاسباط قد ضربوا في الارض غربا حتى نزل فريق منهم بوادي

الدانوب ، ونزل الفريق الآخر بالجزر البريطانية .

فهم أجداد طائفة من الانجليز وأجداد طائفة من الالمان ، وهم اليوم أعداء إسرائيل . !

وجاء « نبوخذنصر » بعد ذلك فهدم مملكة يهوذا الجنوبية وحمل أسباط اليهود سبايا إلى أرض بابل فعاشوا هناك في الاسر إلى عهد كورش الكبير .

(٣) وعد كورش

وكانوا يتجسسون للفرس على مملكة بابل فوعدهم كورش كما جاء في كتاب عزرا وكتاب نحميا ان يبني لهم هيكلا في أرض يهوذا إذا هو انتصر على البابليين .

فلما انتصر كورش على مملكة بابل سمح لاربعة وأربعين الفاً منهم ان يعودوا إلى اورشليم ، فعادوا واعادوا بناء الهياكل والمعاقل والحصون .

وضج ابناء البلاد ، فأرسلوا الوفود والكتب إلى فارس يشكونهم ويحذرون الدولة من تمردهم وانقلابهم .

قصة اليهود بين المانيا وبريطانيا العظمى تقدمت بها الطبعة الاولى مع اختلاف الاسماء وبقاء فصول الرواية ! .

وكان كورش قد مات وخلفه ارتخشيش فألغى ذلك العهد وأمر بوقف البناء وتضييق الخناق على بني إسرائيل .

ثم جاء دارا واحتاج إلى عيونهم وارصادهم في حرب مصر واليونان فجدد لهم عهد كورش في البناء ، ولم يأذن لهم بتجديد مملكتهم كما كانوا يترقبون .

ثم دارت الايام ، وجاء الرومان فهدموا الهيكل الذي اعيد بناؤه ، ولا يزال مهدوماً إلى اليوم .

(٤) وعد بلفور

ولا حاجة الى الإسهاب في وعد بلفور ، فانه شغل الاذهان الشاغل منذ ثلاثين سنة .

وكل ما فيه من جوانب التذكير والعبرة ، انه صورة عصرية من كورش الذي يعد ، وارتخشيش الذي ينقض ، ودارا الذي يحاول الرجوع والمصالحة ، ومن القوم الذين يذهبون في المصالحة الى كل امد يخطر على البال ، إلا الامد الذي

يأذن بقيام المملكة المنظورة المحذورة ، وهم غير مقصورين على قوم بلفور .

●

والموقف الآن مثلث الجوانب كما كان في كل زمان :

حاكم قاهر .

وصهيونيون مقتحمون .

وأبناء بلاد اصلاء .

●

أما الحاكم القاهر فهو بريطانيا العظمى .

وهي تهتم بهذا الموقع من الأرض لأنه ملتقى القارات الثلاث ومجاز المواصلات بينها في البر والبحر والهواء ، ويستولي على زمام النصر والهزيمة في الحروب العالمية من يستولي عليه .

وليس شأنه في مسائل الاقتصاد بأقل من شأنه في مسائل الحرب والسياسة ، لأنه ممر البترول من الشرق إلى موانيء بحر الروم ، وطريق التجارة البرية في الشرقين الأوسط والأقصى لا يعدله طريق إذا انتظمت فيه خطوط السيارات من الهند إلى العراق إلى السواحل السورية والمصرية .

ويضاف إلى ذلك كله ان البحر الميت مستودع كنوز من البوتاس والمواد الكيمية لا تملك بريطانيا العظمى مستودعاً غيره بمثل هذه الغزارة وسهولة الإستغلال ، ولا غنى عن هذه المادة في صناعات الحرب ولا في صناعات السلام .

أما الصهيونيون المقتحمون ، فهم لا يحتاجون إلى فلسطين لإيواء المهاجرين المضطهدين في البلاد الأخرى كما يقول الدعاة الذين يحاولون إخفاء مقصدهم الأصيل بهذه الدعوى .

كلا . فان إيواء المهاجرين المضطهدين ميسور في غير فلسطين ، وله متسع من الأرض في أمريكا الجنوبية وبقاع افريقية ، إن لم تتسع له بلاد القارة الاوروبية .

ولكن المقصد الاصيل الذي تكشف في هذه الايام حتى بطلت فيه حيل الإخفاء والتمويه هو إقامة دولة تقبض على زمام العالم كله حين تقبض على هذا

الملتقى المتوسط بين قارات العالم القديم .

فالناس جميعاً يعلمون ان الصهيونيين هم أشد اليهود تطرفاً في العصبية القومية والتعلق بالآمال الموعودة ، ومنها سيادة العالم وتسخيره كله لشعب الله المختار .

فاذا قامت منهم دولة في ملتقى القارات الثلاث ، فهذه الدولة تتسع لخمسة ملايين من الغلاة المتطرفين لا يتناسب فيها عدد الأطفال وعدد الكبار على النسبة المعهودة في الامم التي يولد أبناؤها في بلادها ، ويستطاع من اجل هذا أن تجند هذه الدولة مليون جندي للقتال كلهم مدربون في الحروب وعندهم القادة والضباط المتعلمون وفي أيديهم أحدث الاسلحة والذخائر ومنها الطاقة الذرية التي تنكشف لهم مع الزمن إن لم تنكشف لهم في العاجل القريب .

وتعمل هذه الدولة في السياسة العالمية ومن ورائها قوة المال وقوة الايدي التي تلعب بالاسواق واسعار العملة في أميركا وبريطانيا العظمى وفي أنحاء العالم بأسره .

واذا كان القائمون على هذه الدولة يطمحون إلى سيادة العالم كما يطمح الغلاة من الصهيونيين فموقعها من القارات الثلاث يتيح لها أن تساوم الدول جميعاً على أغراضها وان تفرض مشيئتها على كل دولة منها على التناوب بكل وسيلة من الوسائل الميسرة لها ، ومنها وسيلة القوة ووسيلة المال ووسيلة الاغراء ووسيلة الإرهاب .

فلا تعيش في جوارها دولة مسالمة ولا أمة مستقلة بمواردها الإقتصادية ومطالبها المحدودة ولا يستقر للدول الكبرى نفسها قرار مع هذه المطامع التي تقترن بالمساومات الإقتصادية والمداورات السياسية بغير انقطاع .

ولسنا نبالغ في تقدير الخطر الذي يهدد العالم من قيام الصهيونيين الغلاة على رأس هذه الدولة في موقعها من الكرة الأرضية ، فان واحداً من هؤلاء الغلاة — وهو وليام زيف صاحب كتاب اغتصاب فلسطين — يصف الخطر الذي يخشاه الانجليز المعارضون لقيام هذه الدولة فيقول : « ان هؤلاء الموظفين ينظرون شزراً إلى وجود عدد كبير من السكان الاذكياء الآخذين بأحدث الوسائل العصرية في

هذا الموقع . لأن موقفهم في كل ازمة يستلزم الإكتراث لمشيئتهم ومصلحتهم قسراً وهم بقيادتهم القديرة خلقاء أن ينفذوا بسلطانهم في امم الكسالى من العرب نفاذ السكين في قرص الجبن اللين ، وربما هددوا بريطانيا العظمى نفسها في البلاد المصرية ... وان نشاط الرواد الاوائل من الصهيونيين قد أفزع لندن وأخافها من أن تكون عاملة على تربية يابان جديدة في آسيا الغربية تتعجل المنافسة لها في اسواق افريقية والمشرق كله ... » .

فالخطر على سلام العالم من قيام دولة صهيونية تطمح الى السيادة العالمية على ملتقى القارات الثلاث ليس من الاخطار التي تقبل المبالغة ، لان كل مبالغة فيه لا تتجاوز مدى الحقيقة الماثلة للعيان .

ولن يكون ذلك مقصوراً على الامم المجاورة دون الدولة الصهيونية نفسها . فان غلاة الصهيونية لن يعيشوا في سلام بعضهم مع بعض متى شعروا بالقوة والمناعة ، ولن يزال فيهم من عناصر القلق والنزاع ما يخصهم بالفتنة تارة ، ويعم الاقارب والاباعد بالحروب تارة اخرى .

ولعل الشعور بهذا الخطر هو خير ضمان لاتقائه وتعريف الناس جميعاً بأن انصاف الامم العربية في بلادها هو انصاف للعالم كله ، ومصلحة لليهود المسالمين أنفسهم لو كانوا يفقهون .

أما الطرف الثالث في القضية فهم أصحاب البلاد الأصلاء : أصحاب البلاد الأصلاء ، من قبل موسى وإبراهيم ، ثم أصحابها من سلالة اسماعيل وسلالة داود .

وحق هؤلاء في القضية هو أبسط الحقوق وأقوى الحقوق وأظهر الحقوق ، لأنه حق الأصيل في بيته الذي يأمن فيه ولا يهدد فيه أمن جيرانه ولا أمن الشعوب والدول على الإجمال .

فانصاف العرب حق .

وإنصاف العرب مصلحة للعرب في فلسطين وفي غير فلسطين .

وإنصاف العرب مصلحة عالمية ينبغي أن يحرص عليها الأقوياء قبل الضعفاء. والبعداء قبل الأقربين ، لأن هؤلاء البعداء هم أول من يصاب بالخطر إذاوجبت

حماية العالم كله من أسباب الفتن والحروب .

هل تحل قضية فلسطين ؟

نعم ستحل لأنها لا يمكن أن تترك في مجراها الذي يترسمه غلاة صهيون .

وسيحلها المستقبل كما حلها الماضي البعيد والماضي القريب ، وربما انقضى عهد الإضطهاد في اوروبة وغيرها فيستريح اليهود في بلادهم ويفقد الصهيونيون نفوذهم بينهم ، لأنه نفوذ لا يستمد القوة من مصدر قط هو أقوى وأدوم من مصدر الإضطهاد .

ونعود فنقول ان قضية تنحدر من وعد إله إلى وعد نبي إلى وعد ملك إلى وعد وزير ، ثم يتخلى عنها خلفاء ذلك الوزير كما تخلى من قبله سابقوه — لهي قضية منقوضة الوعود منقوضة الاسانيد .

بداية المشكلة (1)

كان موقف الولايات المتحدة موقفاً سيء التقدير من جميع الوجوه . لأنهـــا قدرت ان تقسيم فلسطين نهاية مريحة لمشكلة عالمية ، وما هو في الحقيقة الا بداية المشكلات .

ولانها قدرت أن اقامة دولة صهيونية في الشرق الادنى يضع لهـــا — أي للولايات المتحدة — قدماً راسخة في الشرق من طريق هذه الدولة الصهيونية ، ولكن الواقع نقيض ذلك . لان دولة صهيونية في فلسطين معناها دولة شيوعية أو مركز للمساومة والتهديد من جانب الشيوعيين .

وستكون أمريكا أول النادمين على سياستها الخاطئة ، سواء تمت لها هـــذه السياسة ، أو حالت الحوائل بينها وبين ما تريد .

* * *

ان تقسيم فلسطين يبدأ المشكلة العالمية في هذا الجانب من الارض على أوسع نطاق .

لان الإرهابيين من الصهيونيين — وهم القابضون على زمام الحركة — يطلبون مملكة اورشليم ، او يطلبون مملكة العالم التي يعتقدون انهم وعدوا بها من قديم ، وليس هذا الهوس الذي يبدو منهم في ترويج دعوتهم هوس اناس يبحثون عـــن مصلحة أو يفكرون في تدبير معقول طلباً للمأوى أو المعيشة في ظل الهـــدوء والسكينة ، ولكنه هوس المتعصب الذي يحمله جنون الحمـــاسة وراء فكرة مسيطرة على عقله لا يتنحى عنها ولا ييأس منها . ولا يطيب له العيش بغير العمل

---

(1) الاساس ١٩٤٧/١٢/١٠ .

الدائب على تحقيقها .

فاذا قامت في الشرق الادنى دولة صهيونية فليس قيامها خاتمة المسعى في هذا الإتجاه ، بل هو بداية المسعى الذي لا يعلم نهايته الا الله .

لإن الصهيونيين اذا ملكوا في ملتقى القارات الثلاث دولة يستقلون بتدبيرها ويفتحون أبوابها لمن يشاءون ويوصدونها في وجه من يشاءون ، ملكوا بأيديهم زمام المساومة على المصالح الدولية في تلك القارات الثلاث ، وملكوا بأيديهم زمام المزاحمة الصناعية والاقتصادية في أسواق الشرق القريب ، ووضعوا في أيدي أصحاب الاموال من أبناء ملتهم في اوربة وامريكا سلاحاً سياسياً ماضياً يلوحون به للاعداء والاصدقاء ، ويستخدمونه « للضغط السياسي » على كل دولة معنية بالشرق خاصة وبمسائل القارات الثلاث على الإجمال ، كلما تعسر عليهم مأرب من المآرب التي لا حد لها عند دولة من تلك الدول ، وفي مقدمتها الدولة الامريكية التي أسلمتهم بيمناها هذا السلاح الخطير .

ومتى كانت الغاية ماثلة أمام الابصار – وهي مملكة اورشليم أو مملكة العالم – فالقبض على هذه الوسيلة العملية من شأنه ان يضاعف السعي الى تلك الغاية ويلهب الحماسة في نفوس طلابها والمتعصبين لها ، وليس من شأنه ان يصرف الابصار عنها ويدخل في تلك النفوس دواعي اليأس من تحقيقها والشك في امكانها وتيسر اسبابها .

فهو بداية المشكلة وليس بنهايتها ..

ولكنها المشكلة التي لا تقاس بها مشكلة فلسطين في مرحلتها الحاضرة ، لانها مشكلة الخطر على العالم بأسره ، ومشكلة الاصطدام بين الاقوياء والضعفاء ، سعياً وراء وهم من الاوهام لا يعني العالم في كثير ولا قليل ، لكنه يعني جماعة من مجانين الحماسة الهوجاء ، يسخرهم جماعة من عباد المصالح وطلاب الغايات بكل وسيلة تستطاع .

* * *

ولن تكون الدولة الصهيونية في فلسطين إسفيناً للسياسة الامريكية في الشرق الادنى كما يقدرون ، ولكنها ستكون الإسفين الذي يقبض عليه

الشيوعيون علانية او من وراء ستار ، لان الشيوعية والصهيونية تتلاقيان في اهم المباديء واهم الوسائل ، وتتمشيان معاً في كل طريق من طرق التمهيد والتحضير .

فالشيوعية تهدم الاوطان والاديان ، والصهيونية لا تشكو من عقبة تحول بينها وبين السيادة على الامم كما تشكو من عقبة الاوطان والاديان .

والشيوعية تدين بالفلسفة المادية وترد جميع الاشياء الى المادة والعوامل الاقتصادية ، والصهيونية تملك العالم كله اذا رجعت الامور كلها الى عوامل المادة والإقتصاد . وانطلقت ايدي ذوي « البراعة المادية » في العالم بغير عائق من شعور الوطنية او شعور الدين .

وهذا وحده هو التفسير السهل اليسير لاعجب الاعاجيب التي نشاهدها في مظاهر التحالف بين الشيوعيين والصهيونيين ، ومنها في مصر اعجوبة ذلك المليوني الصهيوني الذي يذكر اسمه في كل حركة شيوعية تنكشف عنها الاخبار بين آونة واخرى ، ويخطر لبعض السذج الاغمار ان اشتغال صاحب الملايين بالشيوعية لغز من الالغاز ، وهو في الحقيقة اقرب الامور الى المعقول والمفهوم . لان سيادة المباديء المادية هي سيادة الصهيونيين ، وبخاصة حين يسودون في عالم لا تصدمهم فيه غيرة وطن ولا عقيدة دين .

* * *

ان امريكا قد اساءت التقدير مرتين :

اساءت التقدير حين ظنت ان حل التقسيم يختم الفصول في رواية فلسطين .

واساءت التقدير حين ظنت انها تسيطر على الشرق من وراء الدولة الصهيونية ، وهي لا تصاب في مكان كما تصاب من ذلك المكان ، ولو كان مصابها قصارى الامر في هذه المأساة لكان عليها وحدها ان تعنى بما يصيبها من جراء عملها ، ولكنه مصاب يعم الاقربين والابعدين ، ولا يسلم من جرائره قوي ولا ضعيف .

وستندم على ما جنت يداها . ستندم في نجاحها ، وتندم في اخفاقها ، وما هي بأول قوة جرتها السيطرة الى الندامة . فأكثر ما تصيب الندامة من تتمادى بهم القوة ، فيندفعون معها غير مترددين ولا متبصرين .

فلسطينان كبيران من ثمن أكبر

من الخطأ ان يقال ان امريكا ستؤدي في المستقبل ثمن غلطتها الفادحة في مسألة فلسطين .

لان الواقع المشاهد امامنا انها قد ناءت الى الآن بقسطين كبيرين من هـذا الثمن الاكبر ، وهما ضياع الثقة بهيئة الامم المتحدة ، وضياع الثـقة بأمريكا نفسها في مقاصدها العالمية وسياستها الخارجية .

فكلنا نعلم مقدار ما بذلته الولايات المتحدة من الجهد والمال في اقامة هيئة الامم المتحدة واتخاذ مركزها في بلادها . وهي لم تكلف نفسها هـذه المشقة وهذه النفقة ليقال ان هيئة الامم المتحدة ستار زائف تعمل عملها مـن ورائه وتخفي به تبعاتها واغراضها ، وانما كلفت نفسها ما كلفته ليفهم الناس ان سياسة العالم بأيدي امم العالم ، وان السلم العالمي مكفول بهذا الضمان الوثيق ، وهي – أي الولايات المتحدة – صاحبة الفضل الاول في كفالته وضمانه .

فهل في العالم اليوم من يصدق هذه الدعوى ؟

ان الإمم العربية لا تنفرد وحدها بعلم الحقيقة في امر هيئة الامم ، لإن هذه الحقيقة تعلمها الآن كل امة سخرتها الولايات المتحدة لخدمة اغراضها في مسألة فلسطين ، وتعلمها كل امة حاولت تسخيرها فلم تفلح ، وتعلمها كل امة قريبة من مركز الهيئة او بعيدة منه . لان الإمم جميعاً في جهات الارض كافة قد علمت بما كان من تحول بعض الدول عن رأيها ، خوفا من تهديد الولايات المتحدة او املا في معونتها وطمعا في قروضها وبضائعها .

واذا كانت هذه هي الحقيقة التي تعلمها كل حكومة وكل امـة فأي قيمة

---

(١) الاساس ١٩٤٧/١٢/٣ .

للاموال والجهود التي بذلتها الولايات المتحدة لتقيم ذلك الصرح المشيد ؟ وأين هو المكان الذي تستتر فيه من ورائه وكيف ترجو بعد اليوم أن تهيب بالأمم لنصرة سياستها وهي تلقي في روعهم انها تهيب بهم اهابة الأحرار بالأحرار ؟ وانها تحفزهم إلى واجب مقدس لضمان سلم العالم وتقرير العدالة فيه .

ان هذه العقيدة قد تزلزلت بما فعلته الولايات المتحدة أياً كان رأيها في صوابها أو خطئها ، وفي عدالتها أو جورها . لأن المهم في الأمر هو إمكان السيطرة على الدول وإلغاء حريتها واختيارها . وما من دولة حاولت قبل اليوم أن تسيطر على الدول او تدخلها في حوزتها وهي تزعم انها مخطئة فيما تفعل أو انها لا تستحق السيادة على الآخرين .

فيكفي أن توجد دولة واحدة تستطيع أن تكره الدول على تبديل رأيها لتبطل دعوى الحرية العالمية واتفاق الأمم على سياسة الكرة الأرضية .

وقد رأينا ان هذه الدولة الواحدة قد وجدت وقد استبدت وقد استطاعت أن تكره الآخرين على قبول هذا الاستبداد .

فهل بذلت امريكا كل ما بذلت في سبيل هيئة الأمم لتخسره كله في أقل من سنوات ثلاث ؟

نعم ان الناس سيقولون ان امريكا لم تكن تستطيع ان تصنع ما صنعت لو لم تتفق معها روسيا وتتواطأ معها بريطانيا العظمى على خطة واحدة في قضية فلسطين ، ولكنهم سيقولون أيضاً انه اتفاق على الإكراه المتبادل بين كل دولة كبيرة ومن يخضع لها من الدول الصغار . فليس الضمان هنا ضمان الثقة والإيمان بالعدل وحب السلام ، ولكنه ضمان الامل في تنازع الدول الكبرى واغتنام الفرصة السانحة من وراء هذا النزاع .

وعندنا ان بشير الخير الوحيد في هيئة الأمم المتحدة ان الدول الثلاث مجتمعات لم تظفر بأكثر من ثلاثة وثلاثين صوتا في تلك الهيئة ، وان عشرين دولة قد استطاعت أن ترفض سياستها أو تمتنع عن إبداء الرأي فيها . ولكنه ضمان لا يشرف الولايات المتحدة وشركاءها . لأن العالم كله سيعلم ان هذا الشذوذ قد جاء على الرغم من الولايات المتحدة ولم يجيء باختيارها وعلى وفق هواها .

وهذا هو القسط الأول الذي ضاع على الولايات المتحدة ، ولم تكسب من ورائه شيئاً يساويه ، بل هي خاسرة اليوم وخاسرة غداً أضعاف ماخسرته اليوم.

* * *

أما القسط الآخر من الثمن الفادح فهو ضياع الثقة بالولايات المتحدة، وشيوع الخوف بين الامم والحكومات من مطامعها العالمية ، وانها لريبة جائحـــة إذا اقترنت بضياع الثقة في الأمم المتحدة بجملتها فليس في طاقة امة واحدة كائنة ما كانت أن تصمد لأخطار هذا الضياع ، وذاك الضياع .

ان ألمانيا النازية قد استعدت للحرب عشر سنين ، وقد حشدت لها اعظم قوة تملكها دولة اوروبية .

ولكنها خسرت الحرب ، وخسرت كرامتها وقوتها واستقلالها ، يوم اعتقد العالم انها طامحة إلى السيادة عليه .

ولن تربح امريكا حيث خسرت ألمانيا ، ولو كانت لها تلك القنابل الذرية التي لم تكن للنازيين .

لأن القدرة على تخريب العالم لن تضمن سيادة عالمية ، ولن تكون في هذا العالم سيادة تستحق عناءها . إذا كان قصاراها السيادة على خراب .

قسطان فادحان من الثمن المؤجل إلى حين ، وانه لثمن أفدح واضخم وانه لحين غير بعيد .

أما الندامة على ما فعلت فهي قريبة بحسب أجلها بالشهور ولا نقول بالسنوات.

وأما ما هو شر من الندامة بكثير ، فقد يراه بعض الأحياء من أبناء هـذا الجيل .

من الآن [1]

لم تمض ايام على اعلان القرار بتقسيم فلسطين حتى اخذت الحقائق التي تجاهلها الساسة الأمريكيون تتكشف للعيان .

ومن هذه الحقائق ان قيام دولة صهيونية في الشرق الأدنى خطر على الشرق والغرب ، لان الصهيونيين لا يريدون السكن والمأوى في رقعة هادئة من الارض كما يقولون في تعليل الهجرة إلى أرض الميعاد ، وإنما يثيرون الحركة الصهيونية لاحياء مملكة اورشليم وبسط سيادتهم على العالم كله كما وعدهم إلههم « يهوا » في زعمهم من الزمن القديم .

ومن تلك الحقائق التي تجاهلها الامريكيون ان الدولة الصهيونية فرصة للشيوعيين وليست بفرصة للامريكيين ، وكل ما يغنمه الامير كيون منها انهم يحملون تبعتها امام الصهيونيين انفسهم ، كما يحملون تبعتها امام الآسيويين جميعاً من جميع الملل والنحل ، لانها تجمع عليهم آسيا برمتها من اليابان إلى الصين إلى إيران إلى فلسطين .

فالصهيونيون المتطرفون — وهم القابضون على زمام الحركة — يعلنون بلسان محرر صحيفة الغد في تل ابيب « انهم لن ينزلوا عن حقوقهم في ارض إسرائيل كلها من سقي النيل إلى سقي الفرات » .

وصحيفة « همشكيف » تقول ان حزبها وهو يمثل خمس يهود فلسطين — يرفض التعاون مع الوكالة اليهودية والدخول في الانتخابات ، لان اشتراكهم فيها يفيد معنى الاكتفاء بالتقسيم ، وهم لا يقبلون شريكاً لهم في ارض فلسطين .

---

(١) الاساس ٥/١٢/١٩٤٧ .

وهذا كله وهم لا يزالون على الاعتاب لم يقبضوا في ايديهم شيئاً ولم تقم لهم دولة كبيرة ولا صغيرة ، ولم يضمنوا قيام هذه الدولة كل الضمان . فكيف إذا أسسوها وفتحوا أبوابها لمن يخدمونها بالجند والمال والسلاح وتكاتفوا وتساندوا مع ابناء ملتهم في كل بقعة من بقاع الارض ، وعلى المساومة بين الدول تارة ، وعلى الايقاع بينها تارة اخرى ، وعلى التحرش بجيرانهم في كل تارة وكل حين ؟

ان المسألة هنا ليست مسألة يهود ومسلمين او يهود ومسيحيين ولكنها مسألة العالم كله ، يحفر فيه لغم جهنمي لا يؤمن انفجاره على قريب ولا بعيد .

* * *

أما ان الدولة الصهيونية فرصة للشيوعيين وليست فرصة للامريكيين فتلك حقيقة بينة بغير بيان ، ولكنها – على هذا – قد اخذت تتجمع وتبرز للغافلين عنها في بوادر الأخبار والحركات التي تتابعت حتى اليوم . ولما ينقض على إعلان قرار التقسيم اسبوع . قالت « اليونيتدبرس » وهي وكالة انباء امريكية : ان دخول الروس الى فلسطين بذريعة من الذرائع المختلفة متوقع بعد جلاء الإنجليز عنها .

وجاء في انباء البرق ان الروس حريصون على توطيد النظام في ارض فلسطين كلها بقوة دولية من قبل هيئة الأمم المتحدة ، او من قبل مجلس الأمن إذا خيف الخطر على السلام .

وما معنى القوة الدولية في هذه الحال ؟

ان القوة البريطانية تنجلي او تعلن من اليوم نية الجلاء . فالقوة الدولية إذن هي قوة مشتركة من الروس والأمريكيين وقد تقوم العقبات دون إنشاء الحامية العالمية في هذه الايام . وقد يأبى « الكونجرس » توريط الجيش الامريكي في البلاد الخارجية قبل إنشاء الجيش العالمي المنظور ، وقد يتعمد الشيوعيون تعطيل إنشائه عمداً ليستأثروا وحدهم بالحصة الكبرى في حامية فلسطين ، ولكننا نفرض ان الحامية العالمية قد تألفت من الروس والامريكيين ، فما هو الضمان لخروج الجيش الروسي من فلسطين بعد دخوله فيها وتشجيعه للدعوة الشيوعية في الدولة الصهيونية ؟

ان كان حفظ النظام هو حجة البقاء هناك فان النظام سيختل على الدوام ليبقى الجيش الروسي في هذه البقعة من الشرق الادنى كما شاء .

وقد يبقى في مكانه باتفاق بينه وبين الدولة الصهيونية الجديدة او بمعاهدة مشتركة تكفل للصهيونيين حمايتهم من الدول العربية وتوسيع حدودهم إلى ما وراء فلسطين ، وتكفل للشيوعيين رسوخ القدم للدولة الروسية وللمذهب الشيوعي في وقت واحد ، وتلتقي الصهيونية والشيوعية اقرب التقاء بينهما في هذا المضمار !

ولقد كان دخول فلسطين امنية الروس من عهد القياصرة ، او من عهد بطرس الاكبر ووصيته المشهورة .

وكثيراً ما حاول القياصرة ان يمدوا ايديهم الى ارض الميعاد ، باسم الكنيسة الارثوذكسية ، او باسم دير السلطان ، او باسم الاماكن المقدسة ، او ما طاب لهم غير ذلك من الاسماء .

فكانت بريطانيا العظمى تقف لها بالمرصاد في كل مرة ، وتعلن في صريح العبارة انها تقابل هذه المحاولة العدوانية باعلان الحرب على الفور . فلما انقضت دولة القياصرة لم تنقض وصية بطرس الأكبر بانقضائها ، بل عادت إلى الظهور في هذا الثوب القشيب !

على أننا نفرض غير هذا الفرض من جميع الفروض المحتملة ، فماذا يكون إذا تنبهت الولايات المتحدة إلى سوء العاقبة وحالت دون إرسال القوة الدولية إلى فلسطين لتنفيذ سياسة التقسيم ؟

ان الذي يكون يومئذ لا محالة هو أن يلح الروس في إرسال تلك القوة وان يضعوا الولايات المتحدة أمام الصهيونيين بالوضع الذي كان فيه الإنجليز قبل الجلاء ويجعلوها هي المسئولة أمامهم عن تأخير التقسيم وإحباط الدولة الموعودة التي علقوا عليها كل تلك الآمال .

ولا يبعد يومئذ أن تشهد نيويورك مشاهد كثيرة من نشاط الإرهابيين ، وأن تتحول الحملة من بريطانيا العظمى إلى الولايات المتحدة، كما تحولت من ألمانيا النازية إلى بريطانيا العظمى قبل ذاك .

والحق بعد كل هذا ان مناورة الجلاء عن فلسطين قد كانت ورقة من أبرع ورقات اللعب التي تعودناها من تقاليد السياسة البريطانية المأثورة ، وانها والله لخليقة بميراث بالمرستون وبيكنسفيلد .

فهي بهذه اللعبة قد أبعدت نفسها من تيار الحرب العالمية المقبلة ورسمت لها الميدان الذي يصطدم فيه الروس والأمريكيون على تراث القارة الآسيوية . فان بقي لها في آسيا ما تهتم به بعد إخلاء الهند من جنودها فهو يعني الأمريكيين قبل أن يعنيها ، كما هي الحال في غرب الصين وتخوم إيران وبترول الشرق الأوسط والجزيرة العربية .

وربما كانت مطامع أمريكا في الحبشة كفيلا للمعقل البريطاني في القارة الإفريقية بمثل هذا الضمان .

وارث موفور المال و « العبط » بين سماسرة دهاة !

هذا هو موقف السياسة الأمريكية بين دهاقين السياسة العالمية ، وقد رأينا من الآن كيف يفعل « العبط » الذي يطمع فيه الدهاة !

جهاد في سبيل الحياة [1]

الصهيونيون من أبرع الطوائف في أساليب الدعاية السياسية ، ولعلهم قد ورثوا هذه البراعة من أسلافهم الغابرين ، أولئك الذين مثلوا لنا كثيراً من أمم التاريخ على مثال السلالات البغيضة «الملعونة » التي حرمت نعمة السماء . ولم يكن لها من ذنب إلا انها وقفت في طريق « مملكة صهيون » .

لكن براعة القوم قد خانتهم في مسألة الجهاد التي حاولوا أن يفسروها للامريكيين بما شاءوا من معاني التعصب الأعمى والكراهة العدوانية لأبناء جميع الأديان ، وتوقحوا فأوعزوا إلى صحيفة من الصحف التي تعيش على إعلاناتهم وهباتهم بتصوير النبي عليه السلام في صورة فارس أسود يشهر السيف على العالم أجمع ولا يعرف السلام . وقد صوروه للامريكيين زنجياً أسود لأنهم يعرفون كراهة الأمريكيين للزنوج .. ونسوا انهم يصورون « الساميين » جميعاً بهذه الصورة الشائهة ، فترتد عليهم سلاحاً ماضياً في أيدي « أعداء الساميين » .

خانتهم براعتهم في تحريك تهمة العصبية الدينية وهم يذيعون الدعوة لقضية صهيون .

لأن دعاة هذه القضية العدوانية آخر من يحق لهم أن يثيروا في الأذهان شبهة العصبية الدينية .

---

(١) الاساس ١٩٤٧/١٢/٨ .

إذ كانت قضية صهيون كلها من ألفها إلى يائهاومن أقدمعصورها إلىأحدثها ، قضية أناس متعصبين لا يقنعون بما دون السيطرة على العالمين ، تصديقاً لوعدإلههم القديم الذي يعجبهم أن يسمى برب الجنود .

وقد كان أمام الصهيونيين متسع في بقــاع الأرض الكثيرة لو انهم أرادوا المسكن والمأوى ، ولم يطمحوا إلى شيء غير السكينة والقرار .

كان لهم متسع في بقاع افريقية الجنوبيةوفي بقاع استراليا الشاسعة وفيالأرض الصالحة من أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية ، ولكنهم رفضوا كل هذه البقــاع وأصروا على أرض فلسطين دون أي أرض اخرى ، لأنها هي الأرض التي تقام فيها مملكة صهيون ، أو مملكة الجهاد في وجه العالم بأسره ، لا في وجه العرب وحدهم ولا في وجه المسلمين دون غيرهم من أبناء الأديان .

فالصهيونيون هم آخر من يحق لهمان يثيروا في دعايتهم تهمة التعصبالأعمى والكراهية الدينية ، لأن العالم لا يعرف لدداً في الخصومــــة ولا « هوساً » في العصبية كهذا اللدد الذي يبدو من دعاة صهيون ، وهذا الهوس الذي يحمــلهم وراء المعقول في سبيل السيادة على الآخرين .

ولو كان المسلمون وحدهم هم ضحية هذا الهوس العجيب لجاز أن تلصق بهم التهمة عند الأمريكيين والأوربيين ، ولكن المسلمين لا ينفردون بالحذر مــــن الصهيونية والتوجس من أخطارها القريبة والبعيدة بل يشاركهم في ذلك كله ابناء البلاد المسيحيون ، كما يشاركهم بعض السامريين من ابناء إسرائيل وجملة الإسرائيليين ممن يخضعون للارهاب في مجاراة الدعوة الصهيونــــية ، ولو تركوا لأنفسهم لفضلوا الأمان حيث يقيمون في الأوطان المختلفة ، على التغرير بهم في حركة هوجاء ، تجر عليهم عداوة الأمم في غير جدوى .

ان المسلمين لا يقاومون الصهيونيين لأنهم يخالفونهم في الدين . فقــــد عاش المسلمون والمسيحيون في هذه الأرض بعينها على احسن ما يكون مــــن المودة والسلام ، ودامت بينهم هذه المودة حتى في عهــد الحروب الصليبية وهي تلك الحروب التي ألهبت نيران العداوة الدينية في صدور دعاتها من الأوربيين .

وقد كانت الدولة العثمانية دولة الخلافة الإسلامية يوم فتحت بلادها – ومنها فلسطين – لكل من ضاقت به البلاد الأوربية من طوائف اليهود المشردين.

فكانوا يهربون من روسيا وألمانيا واواسط اوروبة فلا يجدون لهم ملاذاً في غير البلاد الإسلامية ، وكانت فرنسا – نعم فرنسا التي يسمونها بمعقل الحرية الفكرية ومهد الثورة الديمقراطية – تطارد اليهود إلى ايام قضية دريفوس المشهورة في اواخر القرن التاسع عشر . فلا يتسع لهم مكان في جوانب الأرض كما اتسعت لهم فلسطين

وانهم ليذكرون ان « تل ابيب » نفسها قد انشئت في عهد الدولة العثمانية ، دولة الخلافة الإسلامية ، لأنها انشئت سنة ١٩٠٩ قبل الحرب العالمية ، وقبل وعد بلفور المشئوم .

وإذا ذكروا حرية الفكر في الزمن الحديث فليذكروا ان فيلسوفهم الأشهر « موسى بن ميمون » قد كان يلوذ بسلاطين المسلمين وكانت كتبه تدرس في المعاهد الإسلامية ، يوم اتهمه اليهود أنفسهم بالكفر والمروق ، وحكموا على كتبه بالنبذ والإحراق .

فالمسلمون والعرب على العموم ، لا يقاومون الصهيونية لانهم يحاربون اليهود .

ولا يحاربون الصهيونية لانهم يحبون الحرب ولا يعرفون السلام كما افترى ذلك الكاتب الكاذب في صحيفته الامريكية .

وإنما يقاومون الصهيونية لانها هي الحركة البغيضة التي تقوم على الهوس الديني دون غيره ولانها هي الحركة التي تبشر بدولة تسود العالم كله ، ولا يستولي على زمامها أحد غير الموعودين بمملكة صهيون .

انهم يجاهدون الصهيونية بكل ما استطاعوا . نعم انهم يجاهدون ويجاهدون ولكنه جهاد في سبيل الحياة ، وليس بالجهاد في سبيل التعصب والعدوان .

انهم يجاهدون « الصهيونية » . لانها خطر على السلام : سلام العالم بأسره ،

لا سلام المسلمين وحدهم ، ولا سلام العرب وحدهم ، ولا سلام الشرق القريب وحده ، دون سلام بني الإنسان أجمعين .

ولا يبالي الصهيونيون ما يحق بالعالم كله إذا تمت لهم نبوءة صهيون ولكن أعداء الصهيونية يبالون بالخطر الجائح الذي ينذر الشرق والغرب معاً بأوخم العواقب واعظم الشرور ، ولعل البوادر منذ اليوم تملي على الناس جميعا نبوءة هي اصدق من نبوءة صهيون ، وهي احق بالحذر والمبالاة من كل ما يستحق الحذر والمبالاة لانها تنذره بالحرب المستطيرة وهو احوج ما يكون الى السلام .

شقيقتان من أسرة واحدة [1]

وصلت إلى مصر في هذه الايام طبعة ثانية من كتاب عنوانه «مفتي اورشليم» وموضوع الكتاب كما يدل عليه عنوانه هو تاريخ صاحب السماحة الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين الاكبر ، وإعادة ما قيل عن سماحته في علاقاته مع الترك والإنجليز والالمان ، وعن ترجمته وترجمة اسرته كما يرويها مؤلف الكتاب موريس بيرلمان .

ولسنا نعنى بالتعليق على هذا الكتاب في هذا المقال ، لانه شاغل لا يصرف أحداً من أبناء العالم العربي عن قضيته الكبرى التي ينبغي ان يوجه اليها كل جهوده في الوقت الحاضر . ولكننا اردنا ان نلفت النظر إلى العلاقة التي يثبتها ظهور هذا الكتاب بين المذهبين الشقيقين اللذين يخفيان ما بينهما من القرابة الحميمة ، لخدعة الناس وإقصاء الشبهة فيهما عن المخدوعين المضللين ، ونعني بهما الشيوعية والصهيونية .

فصاحب الكتاب « موريس بيرلمان » هو مؤلف كتاب آخر في التطبيقات الشيوعية يسمى « المحاولة الإشتراكية او الجماعية » Collective Adventure ، وناشر الكتاب هو شركة « فكتور جولانكز » وهم اصحاب اكبر دار لنشر الدعوة الشيوعية في القارة الاوربية ، ولا توجد في العالم كله — بعد روسيا — دار لنشر كتب الشيوعيين ورسائلهم وتقريراتهم أكبر من هذه الدار . فكيف

---

(١) الاساس ، ١٢ ديسمبر ١٩٤٧.

اتفق الصهيونيون والشيوعيين في دعوة واحدة من دار واحدة ؟

إذا كان هؤلاء الشيوعيون يكفرون بالاديان والأوطان والأجناس كماعلمهم كارل ماركس إمام الشيوعية الأكبر . فما هذا الإيمان منهم بالدولة الصهيونية وهي وطن ديني لجنس من اجناس البشر لا مشاركة لهم فيه ؟

وإذا كانوا صهيونيين مخلصين في حماستهم الدينية الوطنيــة فكيف يؤمنون بالشيوعية وهي لا تنفصل عن الفلسفة المادية ؟

إن الخدعة اظهر من ان تخفى على احد . والواقـــع ان المذهبين يتفقان في الوسيلة كلها ، ويتعاونان على بلوغ غاية واحدة ، وهي هدم الأوطان والأديان لأنها العائق بين الصهيونية وبين السيادة على العالم من وراء تحقيق نبوءة « يهوا » في العهد القديم .

وقد كان كارل ماركس اسرائيلياً وكان في دخيلة نفسه من دهاة الصهيونيين فاتخذ الشيوعية حيلة لتسخير الأمم في تحقيق آمال الصهيونية ، بدلا من انفراد أبناء إسرائيل وحدهم بهذا العبء الجسيم .

ولم يكن كارل ماركس رجلا رحيما كريم السجية مطبوعاً عـــلى العطف والانصاف ، ولم يعرفه بهذه الصفات احد من خاصة صحبه فضلا عن خصومه ومناظريه . وحسب القاريء ان يطلع على الرسائل التي تبودلت بينه وبـــين « انجلز » زميله الأكبر ، ليرى كيف كان هذا الزميل يوبخه احياناً عــلى جمود حسه وتفاخره بقلة الاكتراث لما يسميه صغائر العطف والشعور .

فليس من طبيعة رجل جامد الحس كهذا الرجل ان يشغل حياته كلها بمـا يزعم انه غيرة على الضعفاء ، ورحمة لهم من ظلم الاقوياء . ونفرض انه صادق في زعمه ، وانه شديد الغيرة على الضعفاء ، وان كان في حياته الخاصة على ذلــك الجمود المشهور ، فلماذا تجيء بشارة الضعفاء حتما لزاماً من طريق هـــدم الاديان والاوطان ، وهدم الأسرة واخلاق الأسرة ، وانكار كل شيء غير المادة في هذا الوجود .

ان العمال قد وصلوا إلى الحكم في بلاد الانجليز من غير هذا الطريق ، وبلغوا ما بلغوه في اقل من عمر رجل واحد منذ توسيع حقوق الانتخاب ، ولم يكن

هدم الأسرة ولا هدم الأوطان والاديان ضرورياً لبلوغ العمال ما بلغوه في تلك البلاد العريقة خلال هذه السنوات المعدودات .

وان عمال الولايات المتحدة ليطلبون اليوم علاوة رلايات في اليوم الواحد ، وليست الولايات المتحدة بلاداً شيوعية ، ولا هي من البلاد التي يسهل فيها تقرير المباديء الشيوعية ، لان حضارتها قائمة على مذهب المتطهرين الذين لجأوا اليها فراراً من الحجر على عقيدتهم الدينية ، ولأن هذه الحضارة تفتح باب الارتقاء لجميع الطبقات ، وليس بالنادر بين رؤسائها من تسنموا منصب الرئاسة من أصغر طبقات العمال .

فليس كارل ماركس بالرجل المطبوع على إغاثة الضعفاء . وليس هدم الأديان والأوطان وتغليب النزعات المادية ضرورياً لتحقيق غاية واحدة ،وهي قيام الدولة الصهيونية ومن ثم نفهم لماذا كان كارل ماركس الإسرائيلي دون غيره هو المبشر بالشيوعية المادية . ونفهم لماذا تصدر الدعوات الشيوعية من شركة الصهيونيين جماعة « فكتور جولانكز » في البلاد الانجليزية . ونفهم لماذا يكون موريس بيرلمان شيوعياً وصهيونياً في وقت واحد ، ولماذا يكون مؤمناً بالدعوة الوطنية الدينية الجنسية وهو يدعو الآخرين إلى هدم الأوطان والأديان والأجناس . ونفهم ان صهيونياً في مصر يجمع الملايين من دماء الفقراء والمعوزين، ثم يستر الصهيونية بستار الشيوعية بينه وبين المخدوعين من الأغرار والمشوهين . بل نفهم لماذا يعول الصهيونيون على معونة الشيوعيين في هيئة الأمم المتحدة .

وقد علم كارل ماركس أن تحريك الشعوب باسم الغيرة على الصهيونية مستحيل . فترك الدعوة الصهيونية ظاهراً وعمد إلى هدم الاديان والاوطان من طريق آخر سهل الوصول ، وهو تحريك الشعوب بإثارة الحسد والكراهية والكسل والغرور . وهل أسهل من تحريك هذه الرذائل في نفوس الاغبياء ؟ إن قوانين الآداب والاخلاق قد حاولت أن تتغلب على هذه الرذائل مئات السنين فلم تغلبها كل الغلب حتى الآن . فاذا جاء اليوم نبي يقول للاشرار والجهلاء ان الحسد والكراهية والكسل والغرور هي فضيلة الفضائل في دينه الجديد ، فليس هو بالنبي المطالب بالمعجزات ، لان قمع الرذائل هو الذي يحتاج إلى

المعجزة . أما إثارتها واستفزازها وتحويلها إلى الشر والنقمة فكل اولئك ميسور لاحقر الحثالات البشرية مـــن امثال القوادين والمهرجـــين وسماسرة النصب والاحتيال .

ولكن الايام تأبى مع الزمن إلا أن تزيح النقاب عن هذه الخدعة الجهنمية . فاذا بالصهيونية والشيوعية شقيقتان تنبتان في اسرة واحـــدة ، وكلتاهما تحمل « بشارة يهوا » في يمينها وان حملته إحداهما في غلاف «العهد القديم » كمايفسرونه على هواهم ، وحملته الاخرى في غلاف من كتاب « رأس المال » .

سياسة المغالطة [1]

الحاجة إلى المغالطة اقوى الادلة على الشعور بالخطأ والانحراف . وهـــذه المغالطة في عرض الوقائع هي الخطة التي تجري عليها أبواق الشيوعية كلماتحدثت إلى المستمعين اليها عن مسألة تقسيم فلسطين .

فاذاعة « موسكو » لا تجرؤ على تصوير هذه المسألة في صورتهاالحقيقية وهي تخاطب الشعب الروسي نفسه ، فضلا عن أنباء البــلاد الخارجية التي لا تتلقى أحاديثها بالقبول والتأمين .

فتقسيم فلسطين لا يعني في عرف الاذاعة الشيوعية حرمان أمة من أرضها التي تعيش فيها . والسخط على ذلك التقسيم لا يعني في عرفها ان امة تدفع الخطر عن حياتها وتستعد لحماية نفسها بوسائل الدفاع المشروع في مواجهة كل خطر على الحياة .

كلا ، لا حرمان هناك ولا عدوان . وإنما هي فئات حاكمة في البلاد العربية تسوق الشعوب إلى الغضب تحقيقاً لمطامعها ، ومحافظة على نفوذها . كأنما يمكن ان تهدد الصهيونية جميع تلك الفئات الحاكمة دون ان تغير على استقلال البلاد التي تحكمها .

ولو كان هذا كلام الدعاية الشيوعية امس واليوم لجاز ان يقال انه اعتقاد صادق ، وان جاز ان يقوم في نفوس الشيوعيين على خطأ في التقدير . لكن الواقع ان هذا

---

(١) الاساس ١٥ ديسمبر ١٩٤٧ .

الكلام يناقض ما قالته الدعاية الشيوعية عن « الصهيونية » يوم كانت هذه الصهيونية على وفاق مع الانجليز . فقد كانت الصهيونية يومئذ اداة استعمار واستغلال ، وكانت ثورة العرب « طليعة حركة التحرير التي تكافح المستغلين اصحاب رؤوس الاموال من الصهيونيين والبريطانيين » .

ولم تكن تلك الغضبة الموقوتة على الصهيونية أمراً عجيباً من دعاة الشيوعية لانها أثر طبيعي في خيبة الأمل في هذه الوليدة المدخرة لخدمة روسيا الحمراء دون سواها . فقد كان معظم الزعماء الصهيونيين من مواليد البلاد الروسية ، ومنهم قديماً جابوتنسكي وسكولوف ومناحم بيغين ، ومنهم حديثاً حاييم ويزمان وداودبن جريون . فلما ظفر الصهيونيون بوعد بلفور ، ودانوا بالولاء للدولة البريطانية غضبت روسيا الحمراء منهم كما يغضب المحب على الحبيبة التي شاركه في ولائها منافس قدير .

وبلغ من حنق الشيوعيين يومئذ على هذه « البنت الضالة » انهم حرموا تعليم اللغة العبرية في جميع الأقطار الروسية ، وانهم قبضوا على بعض زعماء اليهود واعتقلوهم في مجاهل سيبيريا عدة سنوات . وشنوا الغارة على الحركة كلها في الصحافة الحمراء ، وطفقوا يهللون للثورة العربية التي يصفونها اليوم بأنها ألعوبة بين ايدي الفئات الحاكمة ، واختاروا لوكالتهم في بيت المقدس مندوباً مسلماً يشهد الصلاة الجامعة بالمسجد الاقصى في كل يوم من ايام الجمع والاعياد . ولم يفعلوا ذلك لانهم يعارضون الصهيونية لذاتها فانهم يعلمون ان اغراض الصهيونية وأغراض الشيوعية لاتنفصلان في اطول مسافة من الطريق المشتركة بين المذهبين . ولكنهم فعلوه غضباً من الحبيبة التي اشركت معهم غيرهم في اواصر الود والولاء ، وحاولوا في الوقت نفسه ان ينشئوا عندهم « صهيونية » اخرى تنافس الصهيونية التي ذهبت الى حظيرة الانجليز ، فأقاموا لليهود مستعمرة خاصة في القرم . ومستعمرة اخرى في بيروبيجان ، ولكنهم اخفقوا في كلتا المستعمرتين كما يخفقون في كثير من الاعمال .

لقد كانت إذن غضبة حبيب من حبيب .

كانت غضبة من الحبيب الذي اصغى الى العاذل ، او مكايدة مقصودة في

انتظار العودة والصلح والوفاق . فلما وقعت الواقعة بين الصهيونيين والانجـليز زالت الجفوة العارضة وعادت الميـــاه الى مجاريها ، واصبح المستغلون بالامس ضحايا الاستغلال اليوم ،واصبحت طليعة المجاهدين في جيش التحرير العربي وهي ألعوبة بين ايدي الفئة الحاكمة من العرب المستغلين ! استغلال ينتقل على حسب الاحوال ذات اليمين وذات الشمال .

واطردت العلاقات وثباً في هذا الاتجاه الجديد :

فذهب « مايسكي » وزير الشئون الخارجية الروسية الى فلسطين ، وتبادل الوعود بينه وبين زعماء الصهيونيين .

وفتحت روسيا الحمراء ابوابها لرسل المعرض الصهيوني فنقلت معروضاته في أوائل سنة ١٩٤٤ على متن طائراتها الى العاصمة الروسية .

وعادت روسيا الى احتضان اليهود في الخارج فأرسلت تسأل الحكومـــة المصرية عن بضع مئات من اليهود الروس الذين اهملتهم قبل ذلك كل الاهمال .

وتمادى بها التشيع الظاهر لهذه « البنت الضالة » التي عـــادت الى حظيرة ابويها حتى جعلت الدعوة الى تقسيم فلسطين اول موافقة لها في سلسلة المعارضات والمناقضات التي لا تنقطع من جانبها في مجلس الامن، ولا في هيئة الامم المتحدة، ولا في مؤتمر واحد من المؤتمرات الدولية .

وكل هذا « التلون » في السياسة العامة من اناس لا تسمع لهم نفساً يخرج ولا نفساً يدخل الا وهو مقرون بالنفي والتشهير على خدع الاستعمار ومناورات الدول الاستعمارية ، واساليب الاستغلال ومطامع رؤوس الأموال .

لقد شاء الله ان تكون لفلسطين رسالة جديدة بعد رسالاتها الأولى التي ملأت أرجاء العالم . فكانت قضيتها نوراً يقشع الظلمات عن ابصار الامم ، ويريهم هذه الدول الكبرى على السواء كما ينبغي ان يروها من وراء الحجاب ، ويا له من حجاب لا يحتمل شعاعة واحدة من شعاع الضياء .

العدو الذي نحاربه (١)

الصهيونية هي العدو الخبيث الذي يحارب العالم العربي كله في عقر داره ، وهي على التحقيق خطر عاجل على سلام العالم بأسره لا يرجى منه خير لطائفة من طائف البشر بغير استثناء الصهيونيين انفسهم ، لو انهم ينظرون الى العواقب ولا يعميهم التعصب على هذا الشر المستطير الذي يقدحون زناده بأيديهم ، وهم يحسبون انه هو المجد الموعود لأبناء اسرائيل .

وقد قيل اعرف عدوك كما تعرف صديقك ، وربما كانت معرفة الأعداء ألزم من معرفة الأصدقاء في مواجهة الأخطار .

فما هي هذه الصهيونية التي تحمل في اطوائها كل هذا الخطر على العالم العربي وعلى العالم الانساني بأسره ؟

اننا نخشى ان يكون بين الشرقيين انفسهم من يتوهم ان الصهيونية تعتمد في دعواها على سند صحيح من الكتب الدينية . فالواقع انها لا تعتمد على سند واحد متفق عليه بين بني اسرائيل فضلا عن المسيحيين والمسلمين . وانه ليس في التوراة ولا في الانجيل ولا في القرآن كلمة واحدة يحق للصهيونيين ان يعززوا بها دعواهم في ارض فلسطين . فالعهد القديم يقول من سفر التكوين : « سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه اسحق ، واقيم عهدي معه عهداً ابديا لنسله

---

(١) الاساس ١٩٤٧/١٢/١٧ .

من بعده . اما اسماعيل فقد سمحت لك فيه . ها انا اباركه واثمره واكثره كثيراً جداً . . . » .

وفي سفر التكوين أيضاً يختص يعقوب بن إسحق ولده يهوذا ببركة نسله والسيادة على اخوته وينبئه بخروج المخلص « شيلون » من ذريته « فلا يزول قضيب من يهوذا ومشرع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب » .

واليهود على اختلاف مذاهبهم متفقون على ان المخلص الموعود لم يأت بعد ولم تخضع له الشعوب .

ومن آمن منهم بأن المسيح عليه السلام هو المخلص الموعود فقد خرج من الملة اليهودية ومن زمرة الصهيونية التي تطالب الآن بأرض الميعاد وتحصرها في فلسطين . ووجب ان يدين برسالة بولس الرسول الذي يقول في خطابه لاهل غلاطية انه « لا يهودي ولا إغريقي ، ولا عبد ولا حر ، ولا ذكر ولا أنثى ، لانكم جميعاً واحد في المسيح يسوع . فاذا كنتم للمسيح فأنتم إذن نسل إبراهيم وورثته بحسب الموعد » .

ووجب كذلك أن يدين بأن الوطن السماوي هو الوطن الموعود كما قال بولس في رسالته إلى العبرانيين : « ولو انهم ذكروا الوطن الذي خرجوا منه لكان لهم سبيل للعودة اليه . لكنهم يشتاقون الوطن الافضل وهو وطن السماء » .

وقد كان بولس الرسول يستند في كلامه إلى نبوءة هوشع من أنبياء بني اسرائيل حيث يقول بلسان يهوا : « اني سأدعوا الذين ليسوا بشعب لي شعبي ... انهم هناك يدعون ابناء الله الحي » .

لهذا كان « هرزل » اول مؤسس للصهيونية في العالم ، واول من دعا إلى دولة يهودية في الزمن الحديث ، ينكر العودة إلى فلسطين ، ولا يطالب باقامة الدولة اليهودية فيها ، بل خاطب مؤتمر « بال » الاول الذي انعقد بسويسرة في في سنة ١٨٩٧ محذراً أعضاء المؤتمر من العودة إلى فلسطين ، قائلا لهم في شدة وإلحاح : « إياكم والهجرة إلى فلسطين ، فانها خطر عليكم وعلى أبناء البلاد الاصلاء » .

ولهذا ثار رجال الدين من يهود فيينا وبرلين ولندن وباريس حين أعرض المؤتمر عن هذه النصيحة وأصغى الى المتعصبين من طلاب « الوطن الصهيوني » فيما سموه ارض الميعاد ، وذكروا ان قيام هذه الدولة لا يجوز ان يتم على يد احد قبل ظهور المخلص الموعود الذي تخضع له الشعوب .

على ان العنصر المتعجل المتطرف قبض على عنان الحركة كلها وراح يفرض الضرائب التي يسميها « شاقلا » اي مثقالا بالاسم العبري القديم . وأوجب بالاقناع تارة وبالإرهاب تارة على كل صهيوني بلغ الثامنة عشرة ان يؤدي تلك الضريبة السنوية بلا انقطاع ، وجمع من هذه الضرائب تلك الاموال التي تحسب بالملايين ويتدفق معظمها إلى أيدي الإرهابيين في فلسطين .

ولسوء الحظ كان المركز الاكبر لهذه الجماعة المتعصبة في مدينة نيويورك ، وقد تألفت فيها هيئة القيادة العليا التي تسمى بمجلس الطواريء المستعجلة للحركة الصهيونية ، وهي التي تقبض بيديها على زمام الحركة في ارجاء العالم ، وتوجه عنايتها القصوى إلى جماعة الامم المتحدة ،وتبذل من الوسائل هناك كل ماتعودوا ان يبذلوه للاقناع والإغراء والتهديد .

وقد تبين ان القائمين بهذه الحركة الجهنمية لا يرجعون إلى التاريخ ولا إلى المقصود في الكتب الدينية بنسل ابراهيم الذي انتشر في جميع البلاد العربية ، ولكنهم يخلطون أمام جمهرة الشعب اليهودي بين نسل ابراهيم وابناء إسرائيل واليهود والصهيونيين ، ويقولون انهم هم الموعودون بما جاء في الإصحاح الثامن عشر من سفر التكوين حيث يقول : « في ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقاً قائلا : « لنسلك اعطي هذه الارض من نهر مصر إلى النهر الكبير » اي العراق.

وليس المهم هنا ان نمحص دعواهم من الوجهة التاريخية او الوجهة الدينية ، فان هذه الدعوى لم تقم قط على أساس يحتاج إلى تمحيص .

وانما المهم ان نضع دعواهم هذه امام كل شرقي يستخف بالخطر الصهيوني او يجهل حقيقة مداه .

فليس الغرض من الحركة الصهيونية انتزاع شطر من فلسطين ، ولا كل فلسطين.

وليس الغرض منها الوقوف عند النيل والفرات ، بل هي حركة يملي لها الطمع في الكثير كلما وجدت سبيلا إلى القليل ، ولا تلتفت الى العقل السليم ولا الى العقيدة الصحيحة ، لانها من نشأتها الاولى وليدة التطرف والجماح .

هي خطر على فلسطين ، وخطر على الشرق ، وخطر على العالم بأسره ، وخطر على اليهود انفسهم ، لانهم هم الذين تحيق بهم جرائر هذه الدعوة الصهيونية اذا اختل من جرائها سلام العالم ، وتكشفت للامم حقائق الاسباب والنيات .

الوفد الصهيوني [1]

اذا كانت العصابة النحاسية لم تستحق لقب « الوفد الصهيوني » بما صنعته حتى الآن في قضية فلسطين ، فوالله لقد استحقته كاملا شاملا بهذا البيان الملفق الذي طلعت به امس على المصريين والعرب اجمعين .

ان العصابة النحاسية قاطعت كل هيئة تعمل لقضية فلسطين فلم تشترك في جهد واحد من الجهود التي تقوم بها تلك الهيئات .

ولماتألفت في القاهرة تلك المظاهرة الكبرى لتأييد قضية فلسطين حاولت العصابة النحاسية ان تخرجها عن معناها فدست فيها من يهتف باسم النحاس باشا دون غيره ، ولو تم هذا التدبير لانقلبت المظاهرة الى مهزلة من مهازل التهريج لا يسمع فيها غير الهتاف بحياة النحاس او الهتاف بسقوط النحاس .

وراح في الوقت نفسه اناس من أذناب النحاسيين يكتبون ويقولون : ماهذه القضية الفلسطينية التي شغلتنا عن قضية مصر الكبرى ؟ ولماذا لا تحرك الحكومة قضية مصر في مجلس الامن بدلا من تحريك قضية فلسطين في ذلك المجلس ؟

وكفى بهذا — وهو قليل ممايجهرون بهويسرون — تأييداً للصهيونية وخذلانا للقضية العربية » .

لكن العصابة النحاسية لا تستطيع في الواقع ان تنصر الصهيونيين وتخذل مصر والعرب بأكثر مما فعلت حين اذاعت بيانها الاخير ، وفيه تقول :

« لانعدو الحقيقة اذا قلنا ان العمل الجدي الذي يتوقف عليه ازالة خطر

---

(١) الاساس ٢٢/١٢/١٩٤٧

الصهيونية عـن شقيقتنا الشهيدة منوط بالحكومـات العربية قبل الشعوب والافراد ... وإذا نحن طالبنا الحكومات العربية باتخاذ الوسائل العملية الناجزة لإنقاذ فلسطين من شر الصهيونية فاننا نطالب حكومة مصر في طليعتها ان تخرج عن جمودها وتراخيها وبطئها وترددها وصمتها ، فتنتقل من حيز الجمود إلى حيز الحركة ، والعمل دون أن تهاب من تهاب ، أو تحسب لأحد أي حساب » .

إلى أن يقول :

« لكم ودت الشعوب العربية وفي طليعتها مصر ، ان تقدم لكم مـا يلائم حركتكم وما يتفق مع الخطر الذي يتهددكم ، ولكن الواقع ان لدى الحكومات من النظم والوسائل ما لا يتوفر لدى الأفراد والهيئات . فلم يكن بد من أن نتوجه في عزيمـة وقوة مطالبين حكومة مصر والحكومات العربية ان تتخذ إجراءات ووسائل عملية » .

هذه هي حصة العصابة النحاسية فيما تسميه تأييد القضية العربية ، فمـاذا تصنع غير هذا لو انها قصدت جهاراً نهاراً تأييد الصهيونيين ولم تقصد إلى تأييد قضية فلسطين ؟

انها لا تستطيع ان تصنع اكثر من هذا لتخدم الصهيونية وتخـذل القضية العربية ، لأن الناس لو صدقوا هذا البيان – كما أرادتهم العصابة النحاسية ان يصدقوه – لكان من نتائجه ما يلي :

« أولا » أن يستخف النـاس بحركة التطوع والتبرع وتنظيم المتطوعين والمتبرعين ، وان يلقوا بالعبء كله على كواهل الحكومات لينحصر في الحدود الرسمية التي تتقيد بها كل حكومة في علاقاتها الدولية .

وكان من نتائجه « ثانياً » ان ينقلب العرب مـن الثورة على الصهيونية إلى الثورة على حكومات بلادهم ، لأنها لا تتولى وحدهامهمة الجهاد الظاهر والباطن، وهو في الحقيقة جهاد تعمل فيه الحكومة عمل الحكومات ويعمل فيه الشعب عمل الشعوب .

فإذا تراخى المتطوعون والمتبرعون وانحصر عمل الحكومات في نطاقـه المحدود بالأوضاع الدولية ، وثار العرب على حكوماتهم ليحملوها على الاصطدام

بالحكومات الكبرى علانية وجهاراً ، فهذا ولا شك هو نتيجة الدعوة النحاسية التي تضمنها ذلك البيان المشئوم .

ولكن من المستفيد بهذه النتيجة ؟

أيستفيد منها العرب أم يستفيد منها الصهيونيون ؟

ان الجواب عند حاييم وايزمن ، او عند مصطفى النحاس ، فهما والله في هذا الموقف المريب سواء .

* * *

ان الحكومات العربية قد عملت وستعمل ، ولم تنقطع عن العمل لحظة واحدة في سبيل قضية فلسطين ، وما من عاقل أو مجنون يشير على الحكومات العربية بأن تعلن الحرب ، أو تعمل ما هو بمثابة إعلان الحرب ، بينها وبين الدول الكبرى وأتباعها في هيئة الامم المتحدة .

ومن هي هذه الدول الكبرى التي تتمنى العمل العسكري في هذا الميدان ؟

هي الولايات المتحدة وروسيا الشيوعية وبريطانيا العظمى ، ومن ورائها ثلاثون حكومة تشاركها في قرار التقسيم .

فالحكومات العربية تكسب لنفسها وللعرب بالتزامها الخطة التي تلتزمها الآن في قضية فلسطين .

ولكنها تجني على نفسها وعلى العرب أجمعين بالخروج عن هذه الخطة وتزويد الصهيونيين بالحجة التي يثيرون بها أدعياءهم في حكومات الدول الكبرى ، فلا يتسع مجال العمل للمتطوعين والمتبرعين ولا للحكومات العربية .

ولكن العصابة النحاسية تتهم الحكومات لأنها لا تريد أن تعمل شيئاً في قضية العرب ولا في قضية من القضايا القومية .

فلو قالت ان المتطوعين والمتبرعين ينقذون فلسطين لوجب عليها ان تتقدم إلى العمل بأكبر نصيب من المجاهدين والأزواد والأموال ، لأنها تزعم انها هي الشعب كله ، وانها هي التي تنادي الأمة المصرية فلا يضيع نداؤها عند صاحب مال او صاحب جهاد .

فاذا علم الناس ان المتطوعين والمتبرعين هم قوام الحركة التي تناهض الصهيونية

فأين التطوع والتبرع في معسكر النحاسيين ؟

إن لم يتطوعوا ولم يتبرعوا فهم إذن أنصار الصهيونية ، أو هم إذن كاذبون فيما زعموه لأنفسهم من السيطرة على الرأي العام .

فلا مناص إذن من تثبيط حركة المتطوعين والمتبرعين ، ومن اتهام الحكومات بما هي منه براء .

ولتذهب قضية فلسطين وقضايا العرب إلى حيث تشاء .

وهكذا نرى العرب يشكرون مصر ، فيقول لهم مصطفى النحاس : بل اتهموها ولا تشكروها .

ونرى العالم في كفاح الوباء يشكر مصر ، فيقول لهم مصطفى النحاس : كلا . انها حقيقة منكم باللوم والاتهام ، ولا حق لها منكم في الثناء والإعجاب .

فاذا كانت الصهيونية بلاء على الشرق العربي ، فالنحاسية صهيونية أخرى تعزز اختها الصهيونية الكبرى بكل عمل وكل قول وكل اقتراح، ولا تعزز قضية العرب ولا قضية هذه البلاد بعمل ولا قول ولا اقتراح .

أعان الله هذا الشرق المسكين على الصهيونيتين الخبيثتين : صهيونية حاييم وايزمان وصهيونية مصطفى النحاس .

مَثَلٌ مِنْ أَمْثِلَةِ الكِتْمَانْ (١)

قالت « أخبار اليوم » في عددها الاخير بعنوان « إخفاء أهم خبرعن البلاد » ان الاعتماد المطلوب – باسم المصروفات السرية – وهو يبلغ حوالي نصف مليون جنيه تقريباً سيخصص للحركة العربية ضد الدولة الصهيونية » ، ثم قالت : « ولكن المدهش ان حكومات العراق ولبنان وسورية أعلنت عن المبالغ التي خصصتها لقضية فلسطين » . وقالت ايضاً : « ولذلك كانت ميزانيات ايطاليا وألمانيا وروسيا تتضمن المبالغ التي تنفقها هذه الدول في ثورة فرانكو في اسبانيا من سنة ١٩٣٥ الى سنة ١٩٣٨ » .

ذلك خلاصة ما كتبته « أخبار اليوم » في هذه المسألة .

ونحن لا نتعرض هنا للخبر الذي كان موضع هذا التعليق هل هو صحيح او غير صحيح ، ولا يعنينا ان نتعرض له من هذه الناحية بحال من الاحوال . وانما نتناول التعليق على الخبر بالرأي الذي ذهبت اليه الزميلة لتسأل : من المستفيد بهذا الإخفاء وعلى من تقع الخسارة فيه ؟

ان قضية فلسطين لا تخسر شيئاً لأن المعونة العملية حاصلة على كل حال ، وكتمان المعونة افضل من تعيينها على وجه التحقيق ، لانه ليس من المصلحة ان يعلم عدوك مدى المعونة التي تصل اليك ، وان جاز ان يقدرها بالتخمين والترجيح .

وان المشتغلين بالقضية العربية لا يخسرون شيئاً لأنهم لا يجهلون أمراً من

---

(١) الاساس ، ١٢ ديسمبر ١٩٤٧.

الامور التي لا يهمهم ان يطلعوا عليها .

وان مصر لتستفيد على الاقل ان تقطع سبيل الحجة على اعدائها جميعاً وعلى الصهيونيين بصفة خاصة . وقطع هذه الحجة افضل من تسليمها إلى ايدي الاعداء ليستخدموها في مأزق من المـآزق قد يضيرنا استخدامها فيه .

اما الخسارة في هذا الإخفاء الذي تحدثت به اخبار اليوم فهو مـن نصيب الوزارة النقراشية دون غيرها . لانه « اولا » يتيح لخصومها ان ينكروا عملها وهم يزعمون ان العمل في قضية فلسطين عمل حكومات لا عمل شعوب . ولانه « ثانياً » يتيح لهؤلاء الخصوم ان يفتروا عليها الاكاذيب ويتقولوا عليها انها تنفق مئات الالوف في سبيل الدعاية لنفسها وتزييف الثقة بها وكسب التأييد لسياستها. ولانه « ثالثاً » يحرمها حق الدفاع عن نفسها في كل مناقشة علنية تتعلق بهـذا الاعتماد ، لان تفصيل الكلام في المصروفات السرية لا يجوز علانية ، وان جاز بين المختصين بمراجعة الحساب .

فالنقراشي باشا إذن لا يستحق النقد من الزميلة إذا اعتقدت ان الخبر الذي أذاعته صحيح . لانه يكتم ما يكتم ليضحي بسمعته وفضله تقديماً لمصلحة مصر. ومصلحة القضية العربية على كل اعتبار .

* * *

اما ان حكومات العراق ولبنان وسورية قد اعلنت عن المبالغ التي خصصتها لقضية فلسطين ، فان صح فهو قياس مع الفارق كما يقولون بل هو قياس مـع فوارق كثيرة . ومن هذه الفوارق ان العراق ولبنان وسورية لا تتقيد بعلاقات تجارية او اقتصادية او سياسية كالعلاقات الـتي بين مصر والدول الاوربية والامريكية . ومنها ان العراق ولبنان وسورية لا توجد لواحدة منهـا قضية قائمة معلقة في هيئات الامم المتحدة كالقضية التي بيننا وبين بريطانيا العظمى . فهي لا تخشى ان يقال لها في هيئات الامم غداً : بأي حق تنتظرين التأييد من مجلس الامن او من هيئة الأمم وانت تحاربينها علناً وتخرجين على قراراتهـا باعترافك المسجل في حساب الحكومة ؟

هي لا تخشى ذلك في قضية معروضة لها الآن كالقضية المصرية . اما نحن

فمها يكن من ضعف الامل في هيئات الامم فليس من الرأي ان نحتكم اليها وانه نسلم إلى الصهيونيين في الوقت نفسه سلاحاً يقطعون به ذلك الامل من جذوره . وليكن ذلك الامل قوياً أو ضعيفاً ، وليكن قريباً او بعيداً ، ليكن واحداً من عشرة في النسبة العددية ، فليس المطلوب منا نحن ان نتطوع بقطعه وفي وسعنا ان نغلق الباب على من يفتحه لمحاربتنا في هذا الميدان .

* * *

ولا ندري كيف خطر للزميلة ان تستشهد بروسيا والمانيا وايطاليا في موقفها من ثورة اسبانيا قبل الحرب العالمية . فهذه الدول قبل كل شيء دول دكتاتورية تواجه العالم بالقوة العسكرية . وقد كانت العلاقة بين روسيا من جهة وايطاليا وألمانية من جهة اخرى علاقة عداء سافر من الجانبين . فكانت الفاشية تنادي بأنها عقدت عزيمتها على سحق الشيوعية وكانت الشيوعية كذلك تنادي بسحق الفاشية وتأليب الشعوب عليها .

فاذا اردنا ان نستشهد بسياسة روسيا في امر من الامور فالاخلق بنا ان نستشهد بهذه السياسة بعد زوال الفاشية والنازية وقيام العلاقات الدبلوماسية بين روسيا وامم العالم .

فماذا صنعت روسيا في هذه الحالة ؟

انها بادرت إلى الغاء « الكومنترن » واعلان البراءة من كل هيئة كهيئة « الدولية الرابعة » وما يحل محلها من أحزاب الماركسية .

فهل صحيح ان العلاقة منقطعة بينها وبين هؤلاء ؟

ان الصحيح هو ما نراه من نشر الدعاية الشيوعية في كل بقعة من بقاع المشرق والمغرب . ومع هذا وجدت روسيا ان مصلحتها في عهد العلاقات الدبلوماسية تقضي عليها بكتمان الصلة التي بينها وبين اتباعها واشياعها في الخارج . وقد فعلت ذلك وهي بحكم عدد السكان وحده عشرة اضعاف عدد المصريين . وليست مصر اقدر على تحدي العالم من دولة تستطيع ان تجند في ميدان القتال ثمانية عشر مليونا ،

اي مايساوي كل ما فيمصر من الرجال والنساء والاطفال .

* * *

ان المثل الذي اختارته « اخبار اليوم » واحد من امثلة كثيرة تصلح للنظر فيما يسمونه بسياسة الكتمان . فان كانت في هذه السياسة تضحية فهي تضحية من الوزارة بسمعتها ومصلحتها وحقيقة جهودها واعمالها . وكل الفائدة فيهابعد ذلك فهي فائدة للدولة وللامة جمعاء .

الشقيقتان في فلسطين [1]

والشقيقتان المقصودتان — لا بل التوأمان — هما الصهيونية والشيوعية ، فهما كما قلنا منذ سنوات شيء واحد ، على الأقـــل في تسعة أعشار الطريق ، لأن الشيوعية تلغي الأوطان والأديان وقواعد الأخلاق وفضائل الحمية الإنسانية على الإطلاق . ومتى بطل كل هذا فليس بين الصهيونية والسيادة على العالم حائل واحد مما يحول بينها وبين السيادة عليه في الوقت الحاضر . ولهذا يؤيـــد الشيوعيون قضية الصهيونية في كل مكان ، مع ان هذه القضية في ظاهرها هي قضية الوطن الديني لليهود . وليس في الشيوعية وطن ودين ، فلماذا يؤيد الشيوعيون وطنـاً دينياً لليهود إن لم تتفق الغاية بينهما في نهاية المطاف ؟

ونحمد الله ان الساسة الأمريكيين قد أخذوا يدركون هذه الحقيقة بعـــد موقفهم الأخرق من مسألة قضية فلسطين ، وأخذوا يعلمون ان الصهيونية خطر على سلام العالم بأسره ، وليست خطراً على فلسطين أو على البلاد العربية دون غيرها . لأن الصهيونية تعمل في فلسطين ومن ورائها الشيوعية ، ولأن الشيوعية لا تقف بمطامعها دون الغاية القصوى التي ترمي اليها ، وهي تسليط « موسكو » على العالم كله ، من وراء هذا المذهب الخبيث . وهي من أجل ذلك لا تعمل بعنوان واحد ، إذ هي تستتر وراء كل عنوان تخفي به هذه المقاصد التي لا تلتبس على أحد مـــن العارفين بها ، وأكثر الأغرار المسخرين في خدمتها لا يعرفون شيئاً عنهـــا وراء العنوان .

---

(١) الاساس ١٩٤٨/٣/٣١ .

ففي فلسطين نفسها كان لهم حزب شيوعي يضم الشيوعيين من الصهيونيين وحثالة العرب في حظيرة واحدة : يعمل الصهيونيون لسحق العرب في بلادهم ، ويساعدهم أولئك الأوغاد من حثالة العرب على هذه الجريمة التي تأباها الإنسانية والوطنية على السواء .

ثم صدرت الأوامر من موسكو بفصل العرب عن اليهود ، وتأليف هيئة عربية شيوعية غير الهيئة التي استقل بها الصهيونيون . صدرت الأوامر بالفصل بينهما لخدمة الصهيونية لا لخدمة القضية العربية . لأن رؤساء الشيوعيين في موسكو عرفوا غليان الأفكار في الشرق العربي كله على الصهيونيين ، ويئسوا كل اليأس من ضم العرب إلى هيئة يشترك فيها دعاة الصهيونية من اليهود ، فقرروا أن ينفرد أتباعهم من العرب بحزب شيوعي لا يشترك فيه اليهود ، وسموه « اتحاد نقابات العمال العرب » ، ثم سموه « عصبة التحرير الوطني » إمعانا في التغرير والتضليل . عزلوا أتباعهم من العرب عن « الشيوعية الصهيونية » ليخدموا الصهيونية لا ليخذلوها أو يحولوا بينها وبين تحقيق أغراضها . لأنهم أرادوا أن يرفعوا حجاب النفور عن الحزب الشيوعي فيدخله العرب من أتباعهم غير موصومين في نظر قومهم بوصمة الخيانة والنذالة التي يتصم بها كل من يخدم الصهيونية ويخذل القضية العربية . ومتى أصبح العرب « شيوعيين » فهم خدام للصهيونية دون غيرها ، وهم أعداء لوطنهم وللامم العربية جمعاء .

وهكذا صنعت « عصبة التحرير الوطني » المزعومة حين تم انعزالها عن الشعبة الصهيونية . فإذا هي تتلقى الأوامر من موسكو وتنشرها باسم الغيرة الوطنية والنخوة العربية .

فلما وصلت إلى فلسطين لجنة التحقيق الانجليزية الأمريكية ، ولم تكن موسكو شريكة فيها ، راحت تلك العصبة تنادي بمقاطعتها خلافاً للرأي الذي أجمعت عليه الدوائر العربية .

ولما أرسلت هيئة الأمم المتحدة لجنتها التي رحب بها الصهيونيون وقاطعها العرب ، كانت تلك العصبة تنادي مع الصهيونيين بوجوب التعاون معها والاستماع اليها .

وهذه هي البلية الكبرى في آفة الشيوعية .

هذه هي البلية الكبرى التي تجعل الشيوعية ضربا من المسخ البشري لم يعهد قط في مذهب من المذاهب التي ظهرت في التاريخ الحديث أو التاريخ القديم . فان الذين يسمون الشيوعية استعماراً كاستعمار « الرأسمالية » يضلون عن حقيقتها، أو يضللون بالباطل متعمدين الخداع والتلبيس . لأن الاستعمار الرأسمالي لم ينكب الأمم بمثل هذه البلية الماسخة في عصر من العصور . فقد مضى عليه نحو قرنين من الزمان يسيطر على البلاد الشرقية ، فأصابها بما أصابها ، وقيدها بما قيدها ، ولكنه لم يمسخ فيها الكرامة الإنسانية ، ولم يستأصل فيها شعور المروءة والنخوة الأخلاقية ، ولم يمنع شعوباً كشعوب الهند والفلبين ومصر ومراكش والجزائر وتونس والسودان، أن تثور في طلب الحرية من الانجليز والأمريكيين والفرنسيين أما هذا الاستعمار « الشيوعي » فهو المسخ البغيض الذي يحرم الإنسان من كل شعور بكرامة الإنسان وكرامة الوطن ، وعقائد الأخلاق وعقائد الإيمان بشيء غير المعدة ومطالب الحيوان .

ومن هنا كان الشيوعي الفلسطيني يخدم موسكو ويخدم الصهيونية ولا يخدم فلسطين أو أبناء فلسطين .

ومن هنا كان الشيوعي في إيطاليا وفرنسا وبلاد التشك والسلواق يخرب بلاده ويجعل عاليها سافلها ، لأنه يتلقى الأوامر من موسكو ولا يسألها ماذا صنعت بشعبها هي ، أو يسألها ماذا صنعت بشعبها هي ، أو يسألها ماذا تضنع بشعبه بعد ذاك .

لكن العمال العرب في فلسطين براء من وصمة هذه الحثالة الممسوخة من أتباع العصبة « الوطنية » المزعومة ، لأن جمعيتهم المعترف بها تضم الكثرة الغالبية من أبناء فلسطين ، وتسعى في إنصاف العمال بمعزل عن هذا المذهب الخبيث الذي يستتر الصهيونيون وراءه باسم الشيوعيين .

وفي مصر ...

في مصر نفسها ألا نرى مصداقاً لذلك أن صهيونياً من أرباب الأموال التي جمعت بالربا الفاحش يتجرد لخدمة الشيوعية ، ولا يهدأ له بال دون إنصاف

نعم هذا بعض ما في مصر مما يفضح خبيئة هؤلاء الأشرار من أعداء الإنسانية وفيها غير هذا كثير مما يثبت ما قدمناه ، وهو أن الشيوعيين لا يعملون باسم واحد ، ولا يبالون أن يختاروا لهم أكثر من عنوان واحد ، وقد يكون هذا العنوان الواحد شعلة من نيران الوطنية والغيرة القومية ، على منوال « عصبة التحرير الوطني » في فلسطين .

فابحثوا عنهم أولا ، وابحثوا عنهم خاصة ، وراء هذه العناوين .

الحماسة العمياء

نكبة على أهلها وعلى العالم (١)

منذ أربعة أشهر – في الخامس من شهر ديسمبر سنة ١٩٤٧ – كتبنا نقول عن خطة التقسيم في فلسطين : « ان كل ما يغنمه الأمريكيون منها انهم يحملون تبعتها أمام الصهيونيين أنفسهم كما يحملون تبعتها أمام الآسيويين جميعاً من جميع الملل والنحل ... ولا يبعد يومئذ أن تشهد نيويورك مشاهد كثيرة من نشاط الإرهابيين . وأن تتحول الحملة من بريطانيا العظمى إلى الولايات المتحدة ، كما تولت من ألمانيا النازية إلى بريطانيا العظمى قبل ذاك » .

لم تمض أربعة أشهر على هذا حتى صحت النبوءة بحرفها ، وفي نيويورك بذاتها ، فجاءت الأنباء بأن « الصهيونيين أقاموا عرضاً في نيويورك اشترك فيه ألوف منهم بينهم المحاربون القدماء ورجال عصابة ارجون وغيرهم ممن وفدوا من مختلف الولايات ، وقد اخذوا يتصايحون بنداءات ضد سياسة ترومان الحاضرة ورفع بعضهم لافتة كتب عليها العبارة التالية : اما البترول واما الشرف .. » .

ومن عرف داء القوم من قديم لم ينتظر منهم غير هذا بعد قرار التقسيم ، وبعد كل معونة يتلقونها من أحد ولو كان من أبناء بني إسرائيل .

داء القوم القديم هو الحماسة العمياء .

نكبوا بها منذ وجد وامع العرق السامي الأصيل في الجزيرة العربية ، قبل أربعة آلاف سنة ، لأسباب تاريخية لا محل الآن للبحث فيها .

---

(١) الاساس ١٩٤٨/٤/٧ .

فهم لا يعيشون في سلام مع أحد ، ولا يعيشون في سلام مع أنفسهم إذا طالت بهم العشرة في بقعة واحدة ، ولا يزالون علة للشقاق والبلاء في كل حقبة من الزمان .

كانوا قبل ثلاثين قرنا قبائل بادية في جزيرة العرب ، فلم يطقهم أهلها ولم يطيقوهم ، فخرجوا منها إلى أرض الرافدين .

ولبثوا في العراق زمناً فلم يطقهم أحد من أهلها ولم يطيقوهم فنزحوا عنها إلى أرض كنعان .

ونزحوا إلى مصر من أرض كنعان فلم يلبثوا طويلا حتى ضاق بهم أهلها وضاقوا بهم ، فهجروها لاعنين ملمونين .

وأقاموا بعد ذلك في فلسطين فانقسموا على أنفسهم أحزاباً متباغضين ، وأمراء متحاربين ، ثم ضاعت دولتهم وبقيت لهم مشاكستهم ولجاجة طباعهم ، ولا تزال ولن تزال .

لقد وصفهم أنبياؤهم في جميع تلك الأطوار بأنهم « شعب غليظ الرقاب » وقال فيهم بعض هؤلاء الأنبياء « ان قلوبهم من حجر » ولم يقل فيهم عدو مبغض لهم أشد من هذا وذاك .

وما هي إلا الحماسة العمياء .

ما هي إلا تلك الآفة التي تشقي صاحبها ولا تريح من حولها .

ونحسب ان بني إسرائيل لم يرزقوا كل ذلك العدد الجم من الأنبياء ، إلا لحاجتهم إلى الوازع الدائم الذي يكبح جماح الغلاة من اولئك الغلاظ الرقاب ، ويصحح أخطاء الجهلاء المتعنتين الذين ينطلقون مع كل صائحة ، ويهبون مع كل ثائرة ولا يستمعون لنصيحة ناصح ، ولا يعتبرون بموعظة حكيم ، ولا يعرفون سداد الرأي من كبارهم وعقلائهم إلا بعد فوات الأوان .

ووالله لولا ان الثمن غال – بل جد غال – لتمنينا أن تقوم لهم تلك الدولة التي ينشدونها ، وأن يتسع لهم ذلك الملك الذي يحلمون به ويتهالكون عليه ... لأنهم لن ينالوه إلا فقدوه ، ولن يجتمعوا في مكان واحد « جيلا واحداً » أو أقل من جيل حتى ينقلب شرهم على أنفسهم ، وتقع بينهم تلك اللجاجة التي

اوقعت بينهم وبين غيرهم ، حيث كانوا وحيث يكونون .

لكنه كما أسلفنا ثمن غال ، بل جد غال .

لأنه يكلف العرب وطناً ، ويكلف الشرق حرية وأمناً ، ويكلف العالم بأسره ألوف الألوف من الأرواح ، تهدرها تلك الفتنة العالمية التي تثيرها الصهيونية . حيثما استقر لها قرار .

لكن العالم سيعرف هذه الآفة بغير هذا الثمن الجسيم .

ونرجو أن يعرفها على حساب « الصهيونية » ولا يعرفها على حسابه ، لأنه حساب عسير ، أيما عسر ، وبيل أيما وبال .

ان أمل الصهيونية اليوم أن تضرب الامريكيين بعضهم ببعض وأن تثير الجمهوريين على الديمقراطيين ، وتثير الديمقراطيين على الجمهوريين ، وتتسع في دسيستها حتى تضرب الدول واحدة بأخرى ، وحتى تشطر الدنيا على نفسها ، ولو حاق بها الدمار .

إلا ان القريب الذي هو أقرب من هذا فيما نرى — هو أن يتفق الامريكيون معاً على الصهيونية ، فتعلن الاحزاب جميعاً سياستها المتحدة في خطتها نحو روسيا الشيوعية ، وخطتها نحو روسيا الشيوعية هي خطتها نحو الصهيونية بلا خلاف .

ومتى شعر العالم العربي بأن خطر الصهيونية أعظم من معونتها فليس للصهيونية حول ولا قوة في توجيه السياسة الكبرى ، أو السياسة العالمية لأن هؤلاء الصهيونيين قد كان لهم الحول والقوة يوم كانوا يحاربون روسيا القيصرية بأموال اوروبة الديمقراطية . ويوم كانوا يحاربون النازيين بأموال الانجليز والامريكيين .

كانوا خارجاً من روسيا القيصرية فاستطاعوا أن يحاربوها وكانوا خارجاً من ألمانيا النازية فاستطاعوا أن يؤازروا خصومها ويشتركوا في تأليب العالم عليها .

أما وهم في قلب الولايات التحدة فهم لا يضربونها إلا بقوة منها ، وهم لا يملكون هذه القوة حتى يدق ناقوس الخطر الذي يفتح الاعين ، وينبه الضمائر ،

فيتفق المختلف ، وتطغى الحماسة المبصرة على الحماسة العمياء لانها حماسة وطـن يهتدي إلى سلامته ، وليست حماسة عصابة تلاحقها لعنة التعصب والكنود من عشرات القرون .

وبومئذ تقف الحماسة العمياء كما هي معصوبة العينين ، ولكنها ستقف كذلك مغلولة اليدين ، لا تقوى على كثير .

ان الحماسة المبصرة نعمة على نفسها وعلى العالم .

وإنما النقمة على نفسها وعلى من حولها هي الحماسة العمياء ولعلها عبرة لمن يعتبرون .

ولعلها هداية لمن يهتدي قبل فوات الأوان .

نذير من حيفا [1]

أذاعت الانباء ما سمته الصحف « سقوط حيفا » في أيدي الصهيونيين .وهي كلمة مضللة لاذهان الذين يسمعون بالنبأ على هذا الوجه وهم بعيدون عن المدينة. فإن القول بسقوط حيفا يوهم السامع من بعيد ان الصهيونيين قد استولوا على المدينة بقوة كبيرة أغارت عليها من خارجها . وليس الخبر على هـــذا الوجه بصحيح . فإن استيلاء الصهيونيين على المدينة لا يحتاج إلى اكثر من جلاء الجنود البريطانية عنها ، فإذا هي واقعة فعلا في أيدي الصهيونيين ، بغير حاجة إلى عمل من اعمال البطولة النادرة او الإغارة الخارجية . لان سكان المدينة يبلغون في الوقت الحاضر نحو مائة واربعين ألفاً ثلثاهم على وجه التقريب من اليهود . وقد مكنتهم السلطة البريطانية مـــن الإقامة في اهم مواقعها الاستحكامية . فهم يحتلون المواقع المهمة في جبل الكرمل ، كما يحتلون جوانب الميناء واكبر الشوارع التجارية . وفي المدينة مدرسة الصناعات الكبرى التي أقامها الصهيونيون ،وهي شاغلة لرقعة كبيرة من الارض تتسع لإيواء جيش منظم ، وتكفي صناعـــاتها لتموين حملة عسكرية . وقد اوشكت البلدية في الزمـــن الاخير أن تنحصر في أيديهم ، واصبحت مصانعهم ومخازنهم تتخلل كل حي من أحياء المدينة يعول عليه في تنظيم الإحاطة بها والإشراف عليها .

فليس بالصحيح ان حيفا سقطت في أيدي الصهيونيين . وانما الصحيح ان القوات البريطانية أسلمتها للصهيونيين ، وكان يكفي ان تنجلي عنها عـلى غرة

---

(١) الاساس ١٩٤٧/٤/٢٦ .

ليتم هذا التسليم . ومن المستبعد أن يكون الجلاء تدبيراً محلياً متروكاً لاختيار الموظفين المحليين في المدينة او في فلسطين على العموم . فإن حادثاً كهذا لا يمكن أن يتم بغير علم الحكومة الانجليزية ، ولو كان المشير به حكام فلسطين المحليين . ولكن الافضاء إلى الصهيونيين بالعزم على الجلاء امر يملكه الموظفون البريطانيون في المدينة . ويبقى ان تعلم هل حصل هذا الإفضاء بعلم الحكومة الانجليزية او على غير علم منها . فإن وسائل الاستطلاع عند الصهيونيين في حيفا غير قليلة ، إذ هم مبثوثون في كل حي من احيائها ، ورجالهم ونساؤهم مختلطون بالجنود والضباط والموظفين في السهرات والمساكن والأندية العامة . فليس بالمستغرب ان يطلعوا على نية الجلاء قبل وقوعه .

أما إذا كانت الحكومة الانجليزية هي التي اوعزت بابلاغ الخبر اليهم فهي لا تفعل ذلك إلا تنفيذاً لسياسة مرسومة تجري عليها في المستقبل . ولا نعرف سياسة توحي إلى الحكومة الانجليزية بهذه الخطة غير سياسة واحدة لا ثانية لها: وهي انها قد اتفقت مع الصهيونيين على قبول وصايتها ، وقدرت ان استيلاء الصهيونيين على حيفا يكره العرب على قبول تلك الوصاية ، فيصبح اليهود والعرب متفقين على قبول الوصاية البريطانية ، او اشتراك بريطانيا العظمى في الوصاية الدولية . وهذا تأويل ما سمعناه في انباء البرق من استعداد الانجليز للاشتراك في الوصاية إذا قبلها العرب واليهود .

على ان السياسة الانجليزية مسئولة عن هذا الحادث الجلل كيفما كانت الحال. لأن استيلاء العرب على حيفا لم يكن ميسوراً بغير مدد من خارج المدينة ينتظر ساعة الجلاء على قدم الاستعداد في كل ساعة . وذلك ما كان الانجليز يمنعونه كل المنع ، ويحبطون كل وسيلة من وسائله في داخل المدينة وخارجها . وكل منع لاستعداد العرب هو بطبيعته تيسير لسبق الصهيونيين إلى اخذ المدينة بأهون استعداد من داخلها ، فضلا عن المدد الخارجي الذي لا يكلفهم كبير عناء .

* * *

ان استيلاء الصهيونيين على حيفا أخطر حادث اصاب قضية العرب في فلسطين بعد قرار التقسيم . لكن العالم كله سيشعر بهذا الخطر في نطاق السياسة الدولية

لأن العالم لا يرى فرقاً بين وقوع حيفا في أيدي الصهيونيين ووقوعها في أيدي الشيوعيين .

وحيفا هي الميناء البحري الأكبر في شرق البحر الأبيض المتوسط ، وهي ملتقى أنابيب البترول وخطوط السكك الحديد وغيرها من خطوط المواصلات في الشرق الأدنى . وهي إلى جانب هذا وذاك مركز من أهم مراكز الصناعة والتجارة في هذا الجانب من العالم . ومتى فتحت أبوابها للشيوعيين فلا راحة للدول الكبرى ، ولا حاجة بروسيا الشيوعية إلى المنافذ البحرية التي كانت تتلهف عليها في الشواطيء الايطالية ، أو هي على الأقل تستطيع إرجاء النظر في أمرها إلى حين .

وسيعرف العالم ما يعنيه .

أما نحن – أبناء البلاد العربية – فالذي يعنينا من حادث حيفا أن نتنبه للنذير في أوانه ، وأن نتخذ منه حافزاً للعمل ودليلا على الوجهة التي ينبغي أن يتجه اليها .

والوجهة الأولى التي ينبغي أن يتجه اليها العمل هي الوجهة العسكرية ، فان البحث في شؤون المستقبل السياسية لا فائدة له الآن إذا ضاعت فلسطين ، ولن تبقى فلسطين في أيدي أبنائها بغير جهود عسكرية تكافيء جهود الصهيونية في السرعة والقوة والانتظام .

ولا يفيدنا على كل حال أن نتلقى الحادث بالفزع الذي يشل السواعد ويخلع القلوب ، وإنما نتلقاه باليقظة التي تفتح الأعين وتهدي إلى العمل الحاسم .

والعمل الحاسم هو العمل الذي لا غنى عنه الآن أما العمل الذي يستدعيه الغد البعيد والقريب فسيأتي في أوانه بفضل هذه اليقظة الناجزة ، وبمشيئة الله .

حيفا في يد روسيا [1]

بعد تسليم حيفا للصهيونية يحق لكل إنسان أن يتساءل : لماذا إذن كانت كل هذه الضجة حول الانتخابات الايطالية ؟ لماذا أوشكت هـــذه المسألة أن تثير الحرب العالمية بين روسيا من جهة وبين الكتلة الغربية من الجهة الأخرى .فلافرق على التحقيق بين قيام الشيوعية في موقع أو في عدة مواقع على شواطيء إيطاليا وبين قيام الشيوعية على شواطيء فلسطين . ونقول الشيوعية ولا نقول الصهيونية لأن الصهيونية في هذا الوضع هي الشيوعية بعينها وبغير اختلاف كثير أو قليل.

نعم إن الصهيونيين لا يملكون من الأساطيل البحرية ما يملكه الايطاليون الشيوعيون ، ولكنهم يملكون ما لا يقل عن الأساطيل في ساعـــة الحرج ، بل يملكون ما يفوقها خطراً في أوقات الحرب أو في أوقات السلام . فإذا كان ميناء حيفا في قبضة الشيوعيين فما هي المسافة بين هذا الموقع وبين شواطيء البلقان ؟ وما الذي يمنع أن يتدفق الجنود المتسترون بالمئات والألوف من رومانيا وبلغاريا والبانياوسائرالشواطيءالتي تحيط بالبحر الايجي منالغربوالشمال؟ وماالذييمنع ألوفاً من « الحجاج » أن يدخلوا فلسطين من هذا الطريق ، وأن يستقروا في هذا الميناء الواسع وما وراءه من مواقع الإستحكام ؟

لا مانع على الاطلاق .

بل هنالك كل موجب للترحيب بذلك المـــدد من جانب الصهيونيين الذين يدينون بالشيوعية ، ومن جانب الصهيونيين الذين لا يدينون بها على السواء،لأنهم

---

(١) الاساس ١٩٤٨/٤/٢٨

يوافقونها في الخطة ، وينتظرون منها ما لا ينتظرونه من الأمريكيين أو الانجليز .

ومهما يكن من خطر يخشى من الشيوعية على شواطيء إيطاليا فالخطر الذي يخشى منها وهي على شواطيء فلسطين لا يقل عنه ، إن لم يزد عليه . لأنها تستطيع في فلسطين أن تقبض على زمام التجارة في الشرق الأدنى . وتستطيع أن تقبض على موارد البترول وتستطيع ان تقبض على مركز المواصلات . وتستطيع أن تحصر تركيا وتضغط عليها من الجنوب والغرب والشمال . وتستطيع أن تهدد الأمم العربية إذاهي اجترأت على اتباع خطة سياسية تعارض خطتها التي تمليها عليها

ولهذا تحفزت روسيا للحادث كأنها كانت تعلم به قبل وقوعه . فقد تشبثت بقرار التقسيم إلى اللحظة الأخيرة ، وعارضت كل حل من حلول الوصاية إلى أيام معدودات . فلما استولى الصهيونيون على حيفا إذا هي تتحول من هذا الموقف في مدى يومين اثنين ، وإذا هي تشترك في لجنة الوصاية بعد أن قاطعتها منذ إنشاء هيئة الأمم المتحدة ، فلم يمض على تسليم حيفا يومان حتى أذاعت هيئة الأمم المتحدة أن روسيا قد اختارت الرفيق تساراباكين ممثلا لها في اللجنة ، ولم تبد سبباً واحداً من الأسباب المعقولة لهذا العدول السريع .

أما السبب الذي لا يحتاج إلى إبداء فهو تسليم حيفا بغير مراء ، لأنه الحادث الوحيد الذي طرأ على الموقف في هذه الأيام

وروسيا تقبل الاشتراك في الوصاية إذا استولى الصهيونيون على شواطيء فلسطين ، لأنها تحكم تلك الشواطيء من وراء الصهيونيين ، وتستفيد من الاشتراك في هيئة الوصاية أن تعرقل كل عمل لا يرضيها من شركائها في تلك الهيئة ، فلا تبالي بتنفيذ التقسيم يومئذ أو تأجيل تنفيذه ، لأنها تضمن السلطة الفعلية بمساعدة أتباعها وأعوانها بين الجماعات الصهيونية وتضمن تعطيل كل مشروع يتفق عليه الوصاة ولا توافقه . ثم تعطل كل قرار تتخذه هيئة الامم كلها من وراء هؤلاء الوصاة .

* * *

أيمكن أن يخفى هذا الخطر على ساسة مسئولين ؟

أيمكن أن يساق اليه اولئك الساسة وهم مكرهون أو مغمضو العيون ؟

هذا وذاك كلاهما عجيب مريب ، بالغ في العجب والريبة .

وقد سمعنا الكثير عنملايين الجنيهات التي رصدتها الصهيونية لترويج دعوتها وتحقيق مآربها . وسمعنا عن رشوة الاهواء والشهوات ، وليس المال في هذاالمجال بالشهوة الوحيدة أو الهوى الوحيد . سمعنا بهذا كله وهو غير هين وغير بعيد ، ولكن البعيد حقاً – بعد كل هذا – أن تقوى هذه الوسائل بفعل آحاد مسئولين أو غير مسئولين ، حتى توازن الخطر العالمي وتحجبه عن الانظار المفتوحة وهو منها لمحة عين .

* * *

إن سلامة العرب وسلامة العالم قضية واحدة . وان خطر الصهيونية وخطر الحرب العالمية شيء واحد . وعلى الدول الكبرى وزر الغفلة عن هـذه الحقيقة المبينة ، وعليها وزر اللجاجة في تجاهلها والاختلاف عـلى الخطة الحازمة التي تستلزمها ولا تحتمل التردد فيها . ولسنا نيأس من يقظة العالم إلى هذا الخطر قبل فوات كل فرصة واستعصاء كل علاج ولكن يقظة العرب أنفسهم هي معـقد الرجاء في هذا المأزق العصيب ، بل هي التي توقظ العالم ليدفع عن نفسه بلاء هذه الغفلة ، ولعله يتيقظ قبل فوات الأوان .

بين طريقين [1]

اشد من الشدة ما يرمي على الشدة .

هذا مثل يعرفه الخاصة ولا يجهله العامة ، وفيه مقطع الرأي في كل موقف نحتاج فيه إلى الموازنة بين امرين « احلاهما مر » كما يقول فارس الشعراء . ففي كل موقف من هذه المواقف يواجهنا سؤالان متلازمان لا يغني احدهما عن الآخر ، وهما : ماذا يحدث إذا أقدمنا ؟ وماذا يحدث إذا لم نقدم ؟

فلا يكفي أن ننظر في نتيجة الاقدام وحده ، لان نتيجة الإحجام قد تكون اعسر واخطر من الاقدام ولا بد لنا من احد الامرين ، لانهما معروضان علينا بغير اختيارنا على السواء .

وهكذا نسأل في موقفنا من مشكلة فلسطين .

اما ماذا يحدث إذا اقدمنا فليس من الخير ان نخوض فيه الآن ، لان مايحدث مرهون بالعمل ، وكل ما يقال اليوم في تقديره قد يفسد ما يعمل ، واقل ما فيه انه يطلع اعداءنا على ما ننتظره وما نقدره ، ويجعل المسألة مسألة تخمين وترجيح وهما من شأن المشرفين على الحركات السياسية والحركات العسكرية في هذا المقام .

ولهذا نسأل : ماذا يحدث إذا احجمنا ؟ ونعتقد ان الجواب عن ذلك واضح غير مختلف عليه .

---

(١) الاساس ١٤/٥/١٩٤٨ .

فإذا جلا الانجليز عن فلسطين واهلها من العرب متروكون للصهيونيين في حالة قتال ، فليس بالنتيجة خفاء .لان الصهيونيين مستعدون بالتسليح والتنظيم وليس للعرب المفرقين هناك مثل هذا الاستعداد في السلاح او النظام . فقد كانت حكومة الانتداب تجردهم من سلاحهم وتحول بينهم وبين التدريب في المعسكرات فلا هي تدخلهم في جيش نظامي ، ولا هي تسمح لهم بانشاء جيش مستقل عن الحكومة .

الصهيونيون متجمعون منظمون مسلحون ، يأتيهم المدد من خارج فلسطين . والعرب عزل مفرقون لا توجـد لهم هيئة حكومية تحميهم وتدبر شؤونهم وتتصرف في قيادتهم وتقوم في بلادهم بوظيفة الاشراف وتقرير الامن وتوحيد الجهود .

ونتيجة الصدام بين الفريقين هي سقوط فلسطين كلها في ايدي الصهيونيين ، وانهم لا يقنعون يومئذ بمشروع التقسيم الذي زعموا انهم يقنعون به الآن ، او يقنعون به إلى حين .

* * *

على ان ضياع فلسطين هو النتيجة الاولى لهذا الصدام ، لان وقوع فلسطين في قبضة « الصهيونية » خطر على كل قطر في الشرق الادنى ، يصيب العرب كما يصيب غيرهم على السواء .

هو خطر اقتصادي عاجل، ولا بد ان يتبعه الخطر السياسي والعسكري في زمن وجيز . لان الصهيونية لن ترجع عن حلمها بمملكة صهيون التي تمتد من الفرات إلى النيل . بعد ان تحقق لها ملك قائم يتلقى المدد من اقطار الارض ، ويستطيع المساومة بين الدول وهو قابض بكلتا يديه على ملتقى القارات الثلاث .

ومن المتوقع كثيراً ان يكون الخطر منذ الوهلة الاولى أوسع نطاقاً وابعد اثراً من حدود الشرق الادنى . لان قيام الصهيونية على شواطيء البحر الابيض معناه على التحقيق ان الروسيا الشيوعية ايضاً قائمة هناك ، وان مركز التهييج والثورة عامل دائب على العمل في كل بلد يحيط بفلسطين . ومعنى ذلك

بعبارة اخرى صدام عـــاجل بين الكتلتين الشرقية والغربية ، او هي الحرب العالمية الثالثة التي ينالنا منها ما ينال العالم بأسره ، وقد يكون نصيبنا منها اشد واقسى من نصيب الآخرين .

* * *

هذا إذا بقيت فلسطين بعد انتهاء الانتداب البريطاني في حالة قتال . اما إذا بقيت في حالة هدنة فالامر كله يتوقف على ما يجري في اثناء هذه الهدنة ، فالهدنة نافعة إذا تكفلت شروطها :

« اولا » بمنع إعلان الدولة الصهيونية على اثر انتهاء الانتداب .

« ثانياً » بمنع تدفق المهـــاجرين الصهيونيين الذين ينتظرون الاذن بدخول فلسطين في اقطار اوربة الجنوبية . وفي غيرها من اقطار المعمور .

و « ثالثاً » بمنع تحصين الصهيونية في مواقعها ، سواء بقيت في الاماكن التي احتلتها قبل نهاية الانتداب ، او رجعت إلى اماكنها التي تقررت لها في مشروع التقسيم .

و « رابعاً » إذا كانت الرقابة على تنفيذ شروط الهدنة رقابة عملية فعالة (فلا بد ان) [1] يتولاها اناس قادرون على تنفيذها ، ملتزمون لحدود الإنصاف بين الطرفين .

اما اذا كانت الهدنة لاتتكفل بشيء من ذلك فهي شر من الاشتباك العاجل لانها تؤجل الاشتباك اياماً او اسابيع ليعود الطرفان اليه وقــد تضاعفت قوة الصهيونية وتضاعف رجاؤها ، وقلت الثقة بما نستطيعه في ميدان القتال او ميدان السياسة .

* * *

وهذا كله محسوب بحساب الواقع والمصلحة .

فلم نذكر فيه كلمة الشرف او كلمة النخوة ، لكيلا يقال إننا نسبح في اجواء الخيال .

---

(١) ما بين القوسين ليس في الاصل .

على أننا نريد أن نقول إن حساب الشرف والنخوة لا يخالف حساب الواقع والمصلحة في كثير ولا قليل .

فاذا نسينا الواجب هاهنا ، ونفضنا أيدينا من المشكلة كلها في هذه المرحلة ، فقد سقطنا من كل حساب في تقدير امم العالم ، وأصبح من المتعين على هذه الأمم أن تعامل الصهيونية ولا تعاملنا، في كل شأن من شؤون الشرق الأدنى، واصبحت المسألة محلولة في وجه الصهيونية على أهون سبيل . فان لم تصبح كذلك وقامت الحرب العالمية من اثر هذا الموقف فنحن مصابون منها بما لا بد أن يصيبنا ، مع فرق واحد بين الحالتين ، وهو أننا نهون في انظار الأقربين والأبعدين ، ونسقط كما قدمنا من كل حساب .

وليس سقوط الأمة من حساب الأمم مسألة شرف ونخوة وكفى ، بل هي من مسائل الواقع والمصلحة في الصميم .

وقد سألنا أنفسنا : ماذا يحدث إذا أقدمنا ؟ وسألناها : ماذا يحدث إذا أحجمنا ؟ فاذا كنا قد أحسنا السؤال فعسى أن يحسن الجواب، وان يحسن الختام.

هو الواجب[1]

تؤدي الجيوش العربية واجبا إنسانيا كان ينبغي أن تؤديه هيئة الأمم المتحدة لو انها عملت بدستورها واخلصت في دعوتها وآمنت بالرسالة العالمية التي وجدت من اجلها .

فانما قامت هيئة الأمم لتأمين الناس في بلادهم ، وتمكينهم من حقهم في تقرير مصيرهم ، وتحريم الفتك بالآمن البريء في عقر داره وتأديب أعداء الإنسانية الذين يستبيحون دماء الأطفال والنسوة والشيوخ ويعذبون العاجز والمريض ، ويعتدون على الأعراض وحرمات الأخلاق والأديان .

فان لم تكن هذه رسالتها فلا رسالة لها .

وإن كانت هذه هي الرسالة التي قامت من اجلها فالذي تصنعه الجيوش العربية اليوم في فلسطين هو تلك الرسالة التي تخلت عنها هيئة الأمم الموقرة ، وهو واجب بني الانسان اجمعين ، تنهض به امم العرب وحدها ولا تبتغي من أحد أجراً عليه .

تنهض أُمم العرب اليوم لتحمي اهل فلسطين من شرور شيطانية لم يتعرض لها شعب من الشعوب لأنها شرور يوقعها بهم مجرمون يخرجون على كل شريعة وكل قانون . ويريدون مع هذا أن يقبضوا بأيديهم على زمام الشريعة والقانون ليحكموا ويتسلطوا ، لا ليصبحوا كما ينبغي لهم طرائد الحكومة والسلطات .

في أي بلد من بلاد العالم سمعنا ان الحكومة تسلم لمن يتراهنون على بطن الحامل

---

(١) الاساس ١٧/٥/١٩٤٨ .

ثم يشقونه ليكسب احدهم الرهان ؟

ان هذا بعض ما حدث وليس بشر ما حدث في فلسطين ، ولا نريد ان نسرده ونعدده فانه مؤلم كريه ، وإنه مع ذلك معروف غير مجهول . وقد قيل ان الصهيونيين استحقوا أرض فلسطين من حماتهم الأجاويد لأنهم تعرضوا للقتل والعذاب في بلاد الحضارة الأوربية ، فهل تكفل لهم اولئك الحماة الاجاويد بالسلامة من القتل والعذاب ، وبالفرائس التي يشبعون فيها شهوات التقتيل والتعذيب ؟

إن الشفاعة الكبرى لدولة صهيون هي شهادة افلاس لتلك الأمم التي تسمي نفسها بأمم الحضارة

لأن علاج الاضطهادات ان تكف الأمم عن الاضطهاد ، لا ان ترسل المضطهدين إلى بلاد يوقعون بها ما وقع بهم من الظلم والغشم ، في سائر بلاد الله .

وليس لأحد في العالم ان ينكر على الأمم العربية واجباً تؤديه باسم الانسانية جمعاء ، وتؤديه لنفسها بحق المحافظة على وجودها وهو اقدس الحقوق .

ان هذه الامم تنقذ نفسها من دولة صهيونية تدل بوادرها على خواتيمها ، ولن تكون هذه الخواتيم في مصلحة شعب عربي، ولا في مصلحة شعب من شعوب العالم جمعاء .

قيل فيما قيل ان دولة صهيونية قوامها مليون او مليونان لن تكون خطراً على خمسين مليونا من العرب ، فيما بين وادي النيل والعراق .

ويقال هذا وقائلوه يعلمون ان بضعة ملايين من الصهيونيين يسوقون دولا في ارجاء الارض تبلغ عدتها مئات الملايين !

فكيف بهم وهم اصحاب دولة قائمة — لا اقامها الله — ومن ورائهم كل هؤلاء متجمعين متآزرين يملي لهم الفوز في الطمع ، ويملي لهم الطمع في الطغيان والغرور .

دون ذلك ويفيق الموتى فضلا عن النيام ، ولو كان الموت موت النخوة وموت الكرامة وموت الضمير .

وباسم العقل يتكلمون !

أي عقل هذا الذي لا يعقل ما يرى بالعين ويلمس باليدين ؟

أي عقل هذا الذي يحرم على الإنسان كل نخوة وكل يقظة ولا يسمح له بشيء غير الخوف في ساعة حاضرة ، وغير الخوف الذي يعميه اليوم عن كل يأتي به الغد القريب ؟

ان العقل الذي لا يعقل غير الاستسلام الأعمى عن العواقب نقمة على الناس وليس بالنعمة التي ينتفعون بها ويحرصون عليها .

انه عقل لا يعقل ، لانه لا يرى أمامه إلا شيئاً واحداً لا يتحول عنه ، ولن يكون ذلك العقل عقلا يميز بين الامور ، فانما العقل قبل كل شيء تمييز ، وأحوج مايكون الناس اليه إذا احتاجوا إلى التمييز بين خطرين . فلا حاجة بهم إلى عقل لا يميز إلا بين الخطر والاستسلام وأي عقل هذا الذي يدعونا اليه اولئك العقلاء .

كل ما ليس بنخوة فهو عقل !

كل ما ليس بواجب فهو عقل !

كل خوف يذكر اليوم وينسى الغد فهو عقل !

كل ما استسلمت به ولم تجتريء به قط فهو عقل !

وساء ذلك عقلا تنزهت عنه حتى شراذم صهيون ، وانها لأحب الناس لمال واحبها لحياة ، واطبعها على جبن ، واطبعها على حساب .

فما عرف الناس قوماً احبوا الحياة والمال كما أحبها شراذم صهيون منذ كان لهم تاريخ معروف .

لقد ضرب بهم القرآن الكريم المثل فقال عز من قائل : « قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين . ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين . ولتجدنهم احرص الناس على حياة ، ومن الذين اشركوا ، يود احدهم لو يعمر الف سنة .. » .

ولقد رأينا من هؤلاء الذين احبوا الحياة هذا الحب من يجود بالمال ومن يجود بالحياة ، ومن يقتحم المخاطر ، ويتصدى للعالم بأسره في سبيل مملكة صيهيون !

أعاذنا الله من عقل لا يعقله احد ولا يعقله حتى الذين ضربت عليهم الذلـة

والمسكنة ، وباءوا بغضب من الله .

انما حسبنا من العقل ما هدانا إلى واجبنا في مفترق الطريقين :

واجبنا الذي لا نسلم بالنكوص عنه ، ولا يكون الخطر في قضائه اعظم من الخطر في اجتنابه ، ولكن في اجتنابه الخطر وما هو أشأم مـن الخطر : وهو الخزي والضياع .

ذلك واجب الروية ، وذلك واجب النخوة ، وذلـــك واجب الانسان لإنسانيته ، وواجب العربي لقومه ، وواجب الحي لحياته في سبيل البقاء .

وليس على امم العرب واجب غيره اليوم .

فقد نهضت به على بركة الله وستمضي في النهوض به ، وتبلغ به السلم والسلامة إن شاء الله .

فرض دولة

لا اعتراف بدولة [1]

ان القانون الدولي سوابق وتقاليد واحكام مبرمة وقواعد عامة متفق عليها بين امم الحضارة .

وليس في كل هذه الاصول التي يتألف منها القانون الدولي نظير قط للموقف الذي وقفته الولايات المتحدة ثم وقفته روسيا السوفيتية من تلك الدولة المزعومة التي يسمونها بدولة اسرائيل ، أياً كان الرأي الذي يأخذون به من فقه القانون الدولي ، إذا نحن تجاوزنا الواقع المقرر إلى البحث في نظريات الفقهاء .

فما الذي يخلق الدولة في عرف الاوضاع الدولية ؟

صحيح ان فقهاءهم يذهبون في هذا الأمر إلى مذهبين : احدهما ان الذي يخلق الدولة هو الاعتراف بها .

والثاني — وهو المعمول به — ان الذي يخلق الدولة هو توفير المقومات التي لا بد منها لقيام كل حكومة . وهذا هو المذهب الذي تطبقه المحكمة الدولية العليا ، وقد سجلته في جلساتها المنعقدة بمدينة بروكسل سنة ١٩٣٦، وهو آخر حكم من أحكامها صدر في هذا الموضوع .

وقد تناول هذا الموضوع عالم حجة من علماء القانون الدولي الحديث خاصة ،

---

(١) الاساس ١٩٤٨/٥/١٩ .

وهو سيرجون فيشر وليامز الذي عمل طويلا في لجان عصبة الامم ولجان تعويضات الحرب وغيرها من اللجان الدولية ، فقال في كتابه عن دلائل القانون الدولي الحديث : « ان هذا المبدأ الذي تأخذ به المحكمة الدولية يمكن ان يقال انه هو الرأي السائد الآن . لان النقائض التي تنشأ من الاخد بالرأي الآخر تبلغ من الجسامة حداً يصعب معه ان نرى كيف كان يلقى تأييداً يؤبه له في وقت من الاوقات » .

على إنه سواء تقرر هذا الرأي او تقرر نقيضه فالاعتراف بدولة إسرائيل مناقض لكلا الرأيين على السواء .

اذن ما هو الاعتراف ؟

انه كما اتفق عليه جميع الثقات ولخصه العلامة اوبنهايم في مرجعه الكبير هو: « تصريح من جانب الدولة المعترفة بأن هيئة او سلطة اجنبية تملك الشروط الضرورية لقيام الدولة وولاية الحكم والمؤهلات الحربية » .

فأين دولة اسرائيل المزعومة من هذه الشروط ؟

انها في الوقت الذي تطلب الإعتراف فيه بوجودها تطلب النجدة من الامم الاخرى لعجزها عن القيام بالحكم في موضع اختصاصها !

وما هو موضع اختصاصها ؟

انه موضع ليس له حدود تبين للناس الجهة التي تسري فيها احكامها وقوانينها والجهة التي لا تسري فيها .

وليس في جهة من الجهات التي تدعيها سكان مجمعون على قبول حكمها قبل قيامها او بعد قيامها .

فهذا هو إذن فرض دولة على مكان مجهول الحدود والسكان وليس اعترافاً بدولة لها حدود معلومة وسكان يطلبون الخضوع لسلطانها .

وليس لهذه الحالة نظير قط فيما مضى من السوابق والتقاليد وفيما تناوله بحث الفقهاء الدوليين إذا تجاوزنا الوقائع إلى النظريات .

كل حالة تقدمت بها الوقائع وتناولها البحث فهي مخالفة لهذه الحـــالة التي انفردت بالشذوذ المطلق الذي لا تعززه الوقائع او تعززه الآراء .

فانما كانت هناك حالات يثور فيها أبناء وطن من الاوطان على الدولة التي تخضعهم بالقوة ، فلا تستطيع تلك الدولة ان تحفظ الامن والنظام في حدود تلك البلاد المعروفة ، ويتفق ابناء البلاد الثائرة على حكومة يريدونها فيكون هنا محل للاعتراف تمكيناً للدولة المعترفة من التعامل مع الحكومة الجديدة .

والحال في فلسطين غير هذه الحال .

لان دولة اسرائيل هيئة تثور ويثور عليها نصف سكان البلاد التي تدعيها ، فلا استقرار ولا نظام ولا قانون ، وانما تقاوم تلك العصابة الثائرة دولا معترفاً بها تتعهد بالاستقرار وحفظ النظام والقانون ، وتبسط الامن فعلا في كل مكان وصلت اليه .

وحالة اخرى من الحالات التي وقع فيها الاعتراف بالحكومات الجديدة هي حالة الحكومات التي خرجت من بلادها ، كحكومة هولندة وحكومة ديجول وما اليها .

وتلك حالة حرب قد انقطعت فيها العلاقات بين الدول المعترفة والدول التي تحكم تلك البلاد بالقوة فلا مشابهة بينها على الاطلاق وبين الحالة فيما يسمى بدولة اسرائيل . تلك اذن حالة فرض واكراه لشعب في بلاده على قبول حكومة لم يتوافر لها شرط من شروط الحكومات ، وليس في قانون الدول ما يجيز لامة اولمجموعة من الامم ان تفرض مثل هذه الحكومة ، ولا سيما اذا كانت هذه الحكومة في ايدي اناس طارئين على البلاد باعترافهم واعتراف انصارهم وخصومهم على السواء .

* * *

لقد كان فقهاء الولايات المتحدة يجنحون زمناً الى المبدأ القائل بأن الاعتراف وحده كاف لقيام الحكومة او الدولة .

وكان يحدوهم الى ذلك ان الولايات المتحدة نفسها كانت امة ثائرة على دولة تخضعها بالقوة العسكرية . ولكن الفرق عظيم بين دولة الولايات المتحدة التي اعترفت بها الدول وبين دولة اسرائيل . لان دولة اسرائيل لم يكن لها رئيس يتولى الكلام باسمها فضلا عن سائر الشروط التي لا بد ان تلاحظ في كل اعتراف .

ثم تغيرت الاحوال الدولية ونشأت عصبة الإمم ، ونشأت بعدها هيئة الامم المتحدة وتقررت فيها شروط متفق عليها لكل دولة تشترك فيها ، وليس لدولة اسرائيل شرط واحد من هذه الشروط ، وليس لها من المقومات بعض ما يدعيه ثوار اليونان الذين ضنت عليهم الولايات المتحدة باعترافها ، وحالت دون الاعتراف من الآخرين .

* * *

فليست هنا مباديء قانون ولا سوابق قانون .

كل ما هنالك هو وسائل عملية سيرجع اليها الفصل في مصير دولة اسرائيل والوسائل العملية التي تعمل في هذه المسألة تجري على هذه الخطوات .

« اولا » ان تعترف الدول كما اعترفت الولايات المتحدة وروسيا وان يتقرر انتظام الدولة الجديدة في هيئة الامم المتحدة ، ويعرض الخلاف بينها وبين الدول العربية للتحكيم .

فان لم يكن هذا فالوجهة الاخرى هي ان تزعم الولايات المتحدة او تزعم روسيا ان مشكلة فلسطين تهدد السلام في العالم وتطلب اتخاذ عمل ناجز لتأمين السلام .

ولا بد أولا ان تتفق الدول الكبرى على هذا الطلب وأن تؤيده الكثرة من أعضاء مجلس الأمن بعد اتفاق الدول الكبرى عليه .

فاذا قررت ان الاجراءات الاقتصادية كافية لتحقيق الغرض من حفظ السلم العالمي فنحن في الموقف الذي كنا فيه ، لو بقيت الولايات المتحدة وحدها في الميدان وإذا قررت ان الاجراءات الاقتصادية غير كافية . وان استخدام القوة الدولية ضروري لتنفيذ خطة المجلس ، فقد بقي الاتفاق على هذه القوة ، وبقي أن نرى كيف يستطيع الرئيس ترومان أن يجازف باشراك روسيا وغيرها من هذه القوة الدولية التي تذهب إلى فلسطين ، فدون ذلك صعاب داخلية وخارجية لا يقوى عليها الرئيس ترومان ، ولم يقو عليها من قبل فيما هو اهون من هذا العمل الجسيم .

* * *

وينبغي أن نذكر ان الاعتراف بنوعيه – سواء كان فعلياً أو قانونياً – لا يقيد المعترفين إلا إذا استطاعت الدولة المعترف بها أن تثبت وجودهـــا . وأن يستقر لها كيان .

وما دامت المسألة هنا مسألة الوسائل العملية فقد نرى غـــداً ان الوسيلة العملية الناجعة في هذا الموقف هي ذهاب كل أثر للصهيونية في ارض فلسطين .

وسيذهب كل أثر لها إن شاء الله .

عاقبتهم في الولايات المتحدة [1]

من المعروف عن مصدر النفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة ان عدة اليهود فيها تبلغ خمسة ملايين يعملون على وفاق وتواطؤ على خلاف كل طائفة اخرى نزحت إلى تلك البلاد ، ويقيم منهم في نيويورك وحدها اكثر من مليونين يديرون أكثر من مائتي وكالة تجارية واقتصادية تعمل في أهم المرافق الكبرى كتجارة القطن والسكر والبن والتبغ والجواهر والجلود واللحوم المحفوظة وإدارة خطوط السكك الحديدية ويباشر بعضها عملا يعتبر من اهم الأعمال في السيطرة على أسباب النفوذ السياسي : وهو شركات النشر والاعلان . لأن صحافة الولايات المتحدة تظهر في عشرات الصحف ولا تستطيع تحصيل نفقات الورق والتحرير بغير الاعتماد على مورد ثابت ، كمورد الاعلانات .

لهذا سميت نيويورك على ألسنة المتندرين من ظرفاء الامريكيين «جيويورك» أي يورك اليهود . وأصبحت زعيمة المدن الأمريكية الكبرى التي يكثر فيها اليهود ولكنهم لا يبلغون فيها هذه الكثرة ، ولا يحتاجون اليها لتحقيق النفوذ في تلك المدن اكتفاء بنفوذهم في العاصمة العالمية .

والرئيس ترومان يحسب كل حساب لهذه القوة الانتخابية ، لأنه سيخوض معركة الانتخاب بعد بضعة أشهر ، ولا يملك من النفوذ الشعبي ما يستغني به عن هذا التأييد .

---

(١) الاساس ٢١ مايو سنة ١٩٤٨ .

لكننا ننقص من تقدير النفوذ الصهيوني إذا حصرناه في دوائر المال دون غيرها .

فالواقع ان الصهيونية تستخدم العلم كما تستخدم المال ، ولا سيما في اوقات الحاجة إلى الكشوف العلمية لتسخيرها في ميادين القتال .

فقد كان وعد بلفور نفسه غنيمة من غنائم الكشوف العلمية لأن بريطانيا العظمى شعرت بالنقص الشديد في المواد الأولية التي تصنع منها المواد المتفجرة أثناء الحرب العالمية الماضية ، فتكفل لها الزعيم الصهيوني حاييم وايزمن —وهو من كبار علماء الكيمياء — باستخراج بعض الأحماض كالـ (آستون) من الحبوب الميسرة بغير جهد كبير ، وهو حمض يدخل في المتفجرات كما يدخل في الأدوية والمخدرات . فكان وعد بلفور هو المكافأة التي طلبها ثمناً لكشوفه العلمية .

أما في الحرب العالمية الأخيرة فقد كانت القنبلة الذرية أمضى سلاح فيها ، بل كانت هي سلاح النصر في أيدي الأمريكيين خاصة وكانت مذكرة « اينشتين » هي الأساس الذي اعتمد عليه الرئيس روزفلت لتقرير النفقات الكبيرة التي خصصت لمباحث الذرة ، وصنع القنابل الذرية .

ومن عجائب الأقدار ان اول نفوذ علمي لليهود في القارة الامريكية كان من عمل العرب ومن صنع الثقافة العربية ، لأن يهود اسبانية والبرتغال كانوا يعرفون اللغة العربية وينقلون منها الخرائط الجغرافية التي استعان بها كولمبس في كشف العالم الجديد وكان واضعو تلك الخرائط يقدرون وجود ركن مجهول يقابل ركن الهند في جهة الغرب من العالم المعروف ، فسافر بعض الهنود مع البعثة بهذه الشفاعة العلمية ، وكان منهم لويز الطوري المشهور !

* * *

إلا ان الصهيونيين يعتمدون على شيء آخر في الولايات المتحدة غير دوائر العلم والمال ، وغير دوائر السياسة الحزبية .

لأن العطف على اليهود قد أصبح في أوائل القرن الحاضر بدعة من بدع الديموقراطية الامريكية ، يوم كانت روسيا تضطهد اليهود في بلادها وكانت بلادها — حكومة وشعباً — تمثل الجهل من جهة وتمثل الطغيان القيصري من

الجهة الأخرى .

فاستفاد اليهود من هذه البدعة ، واستطاعوا أن يقاوموا حملة الكنائس هناك ، لأنهم صوروا لدعاة الديمقراطية الحديثة ان رجال الدين يصدرون في حملاتهم على اليهود عن نزعة رجعية تعارض التقدم وحرية التفكير .

* * *

هذه هي أهم مصادر النفوذ التي تعول عليها الصهيونية في الولايات المتحدة .

هذه هي الدرع الواقية والسلاح الماضي .

وهذا أيضاً هو المقتل المكشوف ، فان نفوذ الصهيونية في الولايات المتحدة هو الذي ينفعها اليوم هناك ، وهو الذي سيقضي عليها غداً ، كما حدث في بلاد الالمان .

قد يقال وما الذي تغير في مصادر ذلك النفوذ ؟ وما الذي يقضي عليها بعد استقرارها في البلاد ثلاثة قرون ؟

فيجب ان نذكر ان السياسة الامريكية خرجت من عزلتها الاولى وهذا هو التغيير الذي ستظهر آثاره لا محالة في وقت قريب ، إذا هي لم تظهر الآن .

كان نفوذ الصهيونية قوة داخلية حين كانت الولايات المتحدة تنعزل بسياستها عن سياسة العالم بأسره فكانت الصهيونية تناصر هذا الفريق ، او تحارب هذا الفريق ، وكلاهما من الامريكيين .

أما اليوم فان تغليب الدعوة الصهيونية على السياسة الامريكية معناه تسخيرها في سياسة العالم ، وتعريضها للمصادرة والعداء في كل موقف من المواقف العالمية .

ولا بد من اصطدام بين مصلحة الصهيونية ومصلحة الامة الامريكية في بعض هذه المواقف الحرجة ، ولا بد من غلبة الشعور القومي على كل مناورة حزبية يستطيعها الصهيونيون .

والمثل على ذلك قريب .

فماذا تصنع الصهيونية مع بريطانيا العظمى ؟

وماذا تصنع مع روسيا الشيوعية ؟

لو أعطيت الصهيونية ودها لحاربت بريطانيا العظمى وأيدت روسيا الشيوعية ولكن هل تستطيع ؟

هل تستطيع ان تفصل بين الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى في الحرب الثالثة مثلا ، وان تجمع بين الولايات المتحدة وروسيا معاً في حرب بريطانيا العظمى ؟

لقد حاولت أن تقرب بين روسيا والولايات المتحدة بهذه المفاوضات الاخيرة وخيل اليها ان المفاوضات تتناول المسائل العالمية وتمهد للاتفاق عليها بين الدولتين فما هو إلا ان ظهرت هذه النية حتى بادرت الولايات المتحدة تنفض يدها من هذه المحاولة وتعلن انها لا تفاوض الروس في شأن من الشئون غير العلاقات الروسية الامريكية .

فاذا اصطدمت مصلحة الصهيونية ومصلحة الامة الامريكية بطلت المناورات الحزبية ، وبرزت الدوافع القومية وبرز معها ذلك الشعور الكامن من وراء المنافسات والموروثات وسوء الظن المتغلغل في النفوس ، ولن تكون الصهيونية يومئذ أسعد مكانا في نيويورك مما كانت في رومة وبرلين .

وان الصهيونيين لمسلطون على أنفسهم حيث كانوا ، لانهم يعملون كمن ركبه الشيطان فلا يستريح ولا يريح .

انهم سيتعقبون انصارهم بطلب بعد طلب ، واعنات بعد اعنات ، حتى يرى أولئك الانصار انفسهم ان خصومة الصهيونية ارحم لهم من تأييدها .

وسنرى مصداق ذلك في الولايات المتحدة كما رأيناه في غيرها ، ولعله انتظار لا يطول .

لو كانوا يعتبرون (١)

لو كان ساسة امريكا في الوقت الحاضر يعتبرون بالحوادث التي يشهدونها بأعينهم لاعتبروا بمصير العلاقة بين الصهيونية والدولة البريطانية ، وهم يرون كل يوم في هذه الفترة الحاضرة دليلا متكرراً على مبلغ الوفاء الذي ينتظر من الصهيونية لمن يحسنون اليها .

فليس في البلاد الاوربية بلد أحسن إلى اليهود عامة كما أحسنت اليهم الدولة البريطانية في جميع أنحائها .

فقد فتحت لهم أبوابها يوم كانت جميع الابواب مغلقة في وجوههم ، وبفضل ترحيبها بهم وعطفها عليهم أمكنهم أن يهاجروا جماعات جماعات إلى امريكا الشمالية ، وكان معظم اقطارها يومئذ في حوزة الدولة البريطانية .

وبلغ من الحجر على اليهود في اوربة وامريكا ان هولندة نفسها — صاحبة الشركة المعروفة باسم شركة الهند الغربية — منعت دخولهم الى ارضها والى كل أرض تابعة لحكومتها ، ولم ترفع عنهم هذا الخطر بعد جهد جهيد إلا بسعي شديد من اليهود الذين كانوا يساهمون في تلك الشركة ، وعلى شريطة التعهد من جانبهم ان ينفقوا من أموالهم على ابناء قومهم ولا يكلفوا الدولة ولا الشركة كثيراً ولا قليلا في الذهاب والاياب او في أثناء الاقامة .

أما الدولة البريطانية فقدفتحت لهم الابواب في الجزر البريطانية والمستعمرات

---

(١) الاساس ١٩٤٨/٥/٢٤

الامريكية بغير تفرقة بينهم وبين سائر الاجناس .

وزادت على ذالك انها سمحت لهم بالتجنس في بلادها بالجنسية الانكليزية ، وسوت بينهم وبين أبنائها في الحقوق السياسية والمدنية ، فتولى الكثيرون منهم مناصب الوزارة وتولى أحـــدهم رئاسة الوزارة وهو « دسرائيلي » او لورد بيكنسفيلد ، فزاحم عليها أشهر ساستهم في القرن التاسع عشر : غلادستون .

وكانت تحتج على المذابح والمصادرات التي يتعرض لهـــا اليهود في الممالك الاوربية وغيرها وتؤلب الدول معها على الاحتجاج .

ثم أعلنت لهم وعد بلفور وانزلتهم في ارض فلسطين . فلم تمض على ذلـــك أعوام حتى انقلبوا على الدولة البريطانية وناصبوها العداء ، وحاولوا في اثناء الحرب العالمية الثانية ان يمنعوا الولايات المتحدة من المشاركة في هذه الحرب ، مع انها ستحارب اعدى اعدائهم في العصر الحديث : وهم النازيون .

وعمدت عصابات الصهيونيين في فلسطين إلى قتل الانجليز او جلدهم وصلبهم في المزارع والميادين العامة ، ولم تدخر وسعاً في العدوان عليهم والانتقام منهم بكل ما تستطيع .

لماذا ؟

لأن هؤلاء الصهيونيين لا يشكرون جميلا ولايقنعون من المحسن اليهم باحسان ولا يزالون يرهقونه بالطلب بعد الطلب حتى يهلك نفسه في سبيلهم ، أو يعجز عن مطاوعتهم والاستجابة لمطالبهم ، فينقلبوا عليه .

كان على الدولة البريطانية ان تبيح لهم قبول جميع المهاجرين مـــن اقطار الارض بما رحبت ، وان ضاقت بهم ارض فلسطين من اقصاها إلى اقصاها ، ولم يبق فيها مورد رزق لابناء البلاد .

كان عليها ان تسمح لهم بشراء الارض في كل بقعة من بقاع الشمال والجنوب وان لم يبق فيها لعربي واحد شبر من الارض يعيش فيه .

كان عليها ان تغضي عن عصاباتهم لتقتل وتنهب بغير حساب ولا عقاب .

كان عليها ان تضرب الدول العربية ولا تبالي بغضبها او رضاها في امر من الامور .

كان عليها ان تسلمهم دفة سياستها في العالم يديرونها كما يشاءون ، وان خسرت في سبيل ذلك كل مصلحة وكل علاقة تحرص عليها حكومة من الحكومات .

كان عليها ان تضيع ذلك كله بغير سؤال ولا مراجعة ، وإلا فهو العداء اشد العداء ، بغير روية وبغير حياء .

استأسدوا معها حين وجدوا الحرية والمصانعة ، وقتلوا من رجالها من قتلوا وجلدوا من جلدوا وأساءوا إلى من اساءوا اليه ، ولم نسمع يوماً ان حصانا تحت جندي من جنود النازيين اصيب بمكروه على ايديهم ، وقد اذلهم النازيون في بلادهم ، وفي سائر البلاد التي خضعت لهم ، إذلالا لم يعرفه في التاريخ احد من الناس ، بل لم يعرفه احد من سوائم العجماوات .

وما جرى لهم مع الانجليز يجري لهم الآن مع الامريكيين ، وان لم يبلغ معهم بعد خاتمة المطاف .

مشروع التقسيم . وماذا بعد مشروع التقسيم ؟

اعتراف بالدولة اليهودية . وماذا بعد هذا الاعتراف ؟

رفع الحظر عن السلاح . وماذا بعد رفع الحظر عن السلاح ؟

إرسال مدد يحمي الدولة اليهودية في عقر دارها وماذا بعد هذه الحماية .

ليكن بعد ذلك ما يكون ، وان اشتعلت الحرب التي لا تبقي على احد من ابناء العالم المعمور .

في هذا بعض ما يعتبر به الساسة الامريكيون ، لو انهم يعتبرون .

ونقول « الساسة الامريكيون » ونعني ما نقول : لاننا نعلم حق العلم ان الصهيونية مكروهة بين العديد الاكبر من ابناء الولايات المتحدة ، وانما يسترها بعض الستر انها كانت حتى الآن تلعب الاعيبها في محيط السياسة الداخلية ، فيرضى عنها فريق من ابناء البلاد حين يسخط عليها فريق .

أما وقد تعدى الامر محيط السياسة الداخلية إلى آفاق السياسة العالمية ، فدون ذلك وتحبط جهود الصهيونية ولو اوتيت اضعاف حظها من الثراء ، والحيلة والنفوذ .

ولا يستهينن احد بما نراه من احتجاج الاساتذة الاجلاء في جـامعة القاهرة وجامعة بيروت ، فانهم خير من يعبر عن الرأي القديم بين ابناء بلادهم ، وان لهم في وطنهم لمكانا مرعياً بين جميع طبقاتها . ولن يضيع صوتهم بغير صدى قريب .

ولعلنا لا نغلو إذا قلنا ان الاحتجاج غير مقصور على دوائر العلم الامريكية في الشرق الادنى فقد يكون الساسة ايضاً على رأي اولئك العلماء الاجلاء، كما تدل الظواهر التي يختلفون في تفسير بواطنها « على مقتضى العرف » في الشئون السياسية ، او الشئون الدبلوماسية .

وان اليوم الذي تنخذل فيه الصهيونية بين الامريكيين لهو اليوم الذي يغترون فيه بمقدرتهم فينسون أنفسهم ويتجاوزون حدودهم ،ويخيل اليهم انهم يستطيعون ان ينتقموا من الدولة البريطانية بالتفرقة بينها وبين الولايات المتحدة ، او بربط السياسة الامريكية بالسياسة الروسية الشيوعية . فدون ذلك وينتهي سلطان ترومان ومن هو اعظم من ترومان . بل دون ذلك وينقطع رجاء ترومان في اصوات الناخبين التي من اجلها يصانع الصهيونيين ، ويقدم على امور لم يقدم عليها مثله في ارض العجائب والافانين ! .

بقايا النازية تؤيدها الديموقراطية (١)

كان اليهود اول ضحية لنظام العصابات التي عرفت باسم قمصانها الملونة في ألمانيا ، قبل قيام الحكومة الهتلرية وبعد قيامها . ومن نقائض الايام وسخرية المقادير أن نظام هذه العصابات قد اختفى من ألمانيا ومن سائر أنحاء الدنيا ، ولم يبق لهم من أثر في غير فلسطين ، وبين اليهود !

فليست عصابات أراجون وشترن والهجانا إلا عصابات « نازية » في أنظمتها ووسائلها واعتمادها على الارهاب وحده في تحقيق أغراضها وإكراه المعارضين لها على قبولها ، ولو كانوا من بني إسرائيل .

ومن لغو الكلام أن يقال إن هذه العصابات شيء والهيئات « الرسمية » بين الصهيونيين شيء آخر. فالواقع أن هذه الهيئات الرسمية خاضعة كل الخضوع لهؤلاء الإرهابيين ، وأنها إذا خالفتهم الرأي في بعض التفصيلات لم تجسر على تنفيذ هذه المخالفة ولا على إعلانها ، وأن الكلمة الاولى هي كلمة هؤلاء الإرهابيين ومن شايعهم من المتطرفين ، حتى في إعلان الدولة التي سموها بدولة إسرائيل . فان مجرد هذه التسمية دليل على أن « الهيئات الرسمية » المزعومة تنفذ برنامج الإرهابيين والمتطرفين. لان المعروف أن الدولة اليهودية الاولى قبل السيد المسيح قد انقسمت إلى قسمين : أحدهما في الجنوب ويسمى مملكة يهوذا ، والآخر في

---

(١) الاساس ٢٦/٥/١٩٤٨

الشمال ويسمى مملكة إسرائيل . والقسم المهم في الدعوة الصهيونة هو قسيم « يهوذا » أو قسم الجنوب . لان الغرض الاول والغرض الاكبر في الدعوة الصهيونية هو إعادة بناء الهيكل المعروف بهيكل سليمان ، وهو في مملكة يهوذا حيث يستقبله الصهيونيون بالبكاء والنحيب في انتظار اليوم الذي يعود فيه كما كان ، ويبطل من حوله كل حرم مقدس يتعبد فيه المسلمون والمسيحيون ، فاعلان الدولة باسم دولة إسرائيل لا معنى له إلا ان هذه الدولة لا تزال ناقصة عندهم ولا تتم في نظرهم إلا إذا أعلنوا بعدها دولة يهوذا وأقاموا فيها هيكل سليمان .

فلم يكن هؤلاء « الرسميون » العقلاء إذن إلا منفذين لبرنامج الإرهابيين والمتطرفين ، وإلا أعوانا طائعين أو كارهين في حركة العنف والتهديد وشريعة العصابات .

إن الغدر وحده هو الشريعة التي تدين بها هذه « النازية » الصهيونية . ويا لها من مضحكات ان تقترن النازية بالصهيونية بعد ان فصل الزمن بين النازية وبين كل شعب من شعوب العالم . وهم لا يتورعون عن استخدام الغدر مع ابناء قومهم إذا خالفوا لهم امراً يفرضونه عليهم . فقتلوا غير قليل من اليهود لانهم فكروا في العودة إلى بلادهم . ولو لا هذا الارهاب لترك فلسطين ألوف من اليهود الذين وصلوا إليها مخدوعين فزالت أوهامهم بعد حين . وهم يخيفون بعضهم بعضاً كما يخيفون غيرهم كلما ظنوا بواحد منهم هوادة في خطة العنف والانتقام . فقتلوا أناساً من أعوانهم الفدائيين لأنهم كانوا يدافعون في محاكماتهم السرية عن بعض المحكوم عليهم بالموت ، وكان هؤلاء المحكوم عليهم بالموت من اليهود المترددين .

وإيمانهم بالعنف إيمان جنون لا يبالون عقباه . ومن أمثلة ذلك قتلهم لأخي الضابط « فاران » الإنجليزي بالمواد المتفجرة التي أرسلوها إلى أخيه في البريد . فإن السخط الذي أثاره عليهم هذا الحادث في البلاد الإنجليزية يضيرهم أضعاف ما يضيرهم ترك فريسة من فرائسهم بغير انتقام . ولكنهم لا يبالون ما يفعلون إذا كان فيه إشباع لما فطروا عليه من الغدر والنقمة وسوء الطوية .

وهم لم يربحوا شيئاً بالرهان على بطون الحوامل ، ولعب الورق على ظهور العذارى العاريات ، ثم التمثيل بجثث القتيلات من هؤلاء وهؤلاء . ولكنه تهوس بالشر يملك عليهم كل شعور وكل تفكير ، ويسمونه هم غيرة على قضية دينية أو قدسية ، وما هو حقيقة إلا نزعة من نزعات الإجرام الوحشي يملي لهم فيها ذلك الغل المكبوت في نفوسهم ونفوس آبائهم أجيالا بعد أجيال .

وليس من سياسة هؤلاء الأوغاد أن يتفاهموا مع أحد ، أو ينشئوا بينهم وبين غيرهم علاقة مصلحة وإقناع . فإنهم يحرمون على ناشئة اليهود أن يتعلموا العربية ، ويفرضون عليهم تعلم العبرية ولو استطاعوا الكلام بغيرها من اللغات الأجنبية . فهم يبيتون النية على عداء صراح لا يأذن بالتفاهم والوئام في الحاضر ولا في المستقبل القريب او البعيد .

إن دول العرب وحدها هي التي تستطيع أن تريح العالم من شرور هذه العصابات .

ومن المستحيل أن يفلح في مقاومتها أولئك « الرسميون » الذين يسمون أنفسهم بالعقلاء أو المعتدلين . فانهم إذا كانوا من قبل يدارونها خوفاً واستسلاماً ، فهم مضطرون بعد إعلان دولتهم إلى السكوت عنها لضرورات السياسة أو ضرورات المحافظة على المظاهر الحكومية . إذ ليس في مقدور حكومة تدّعي أنها قادرة على رعاية القانون في بقعة من بقاع الأرض أن تصرح بعجزها عن مقاومة العصابات التي لا تعترف بسلطان القانون ، فلا محيد لها من مداراة تلك العصابات ، أو مجاراتها على أهوائها ، أما منعها أو فرض العقوبات عليها فذاك فوق ما تستطيع .

هذه هي العصابات التي تحميها الديمقراطية .

هذه هي العصابات التي تسوي « الديمقراطية » بينها وبين قوى النظام القانون التي تكفلت باراحة العالم من شرورها حين أصبح العالم كله في خطر من عواقب هذه الشرور .

وبين إجرام المجرمين وسلام العالم كله قضاء لا يملكه رئيس ولا وزير ، وإنما يملكه ضمير الإنسان وتملكه قدرة الله .

خطر على الإنسانية

ونذير جاء في أوانه[1]

على شناعة حرب الجراثيم ، ومع إجماع الأمم على استنكارها ، لم نكن نستبعد من الصهيونيين أن يلجأوا إليها في معارك اليوم ، ولا في أية معركة تقع بينهم وبين أمة أخرى .

وإذا كان فريق من الصهيونيين أو كان الكثيرون منهم يدينون بالمبادىء الشيوعية ، فهذه الجريمة وما هو أشنع منها ليست مما يستبعد منهم لسببين لا لسبب واحد . فان الصهيونية لا تدين برابطة أخلاقية تربط بينها وبين الأمم الأخرى ، وكذلك تنكر الشيوعية كل أصل من أصول الأخلاق غير مصلحة الدعوة الطائفية . فلا حرام ولا حلال في أصول الأخلاق ، وكل ما أعان على نشر الدعوة وتحقيق مصلحة الطبقة الحاكمة فهو حلال مباح .

وإذا كانت الشيوعية لم تستخدم الجراثيم في حروبها قبل اليوم فهي لا تكف عنها لأنها محظورة في عرفهم ، أو لأنها عمل قبيح في رأيهم ، وإنما تكف عنها لأنها لا تحقق مصلحتها ولا تنشر دعوتها إذ كانت تخشى أن يقابلها أعداؤها بمثل عملها على سبيل القصاص ، فتخسر من هذه الحرب الإجرامية أكثر مما تستفيد .

أما الصهيونيون فلهم أسلاف في الشر والغلظة لا نصفهم نحن كما نعرفهم ،

---

(١) الاساس ٢٨ - ٢ - ١٩٤٨ .

بل ندع لأنبياء بني إسرائيل أن يصفوهم كما عرفوهم منذ ألوف السنين ، وكما جاء في التوراة التي يدين بها الصهيونيون . ففي التوراة أن موسى عليه السلام كان يقول لهم : « أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة... انكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم ويصيبكم الشر في آخر الأيام » . وبعد موسى بنحو ألف سنة كان نبيهم حزقيل يصفهم بالوصف نفسه ، ويقول لهم إنهم شعب غليظ الرقاب وإنهم « البنون القساة الوجوه والصلاب القلوب » ، ويكرر في كل إصحاح أنهم بيت متمرد مصرٌ على العصيان .

وقد قرأوا في التوراة أن بني إسرائيل لما كانوا في أرض مصر وأجمعوا النية على الخروج منها استعاروا « من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً » وخرجوا بها وبقطعان لا تحصى من الغنم والماشية وسلبوا المصريين .

وليس ايسر على الرؤوس العوجاء التي يفكر بها الصهيونيون ان يفسروا ذلك باستباحة كل شيء في معاملة الأمم ، وان روابط الاخلاق لا تربطهم بغيرهم ، ولا تحرم عليهم في كل زمان ما هو حرام باجماع بني الإنسان .

وقرأوا في التوراة ان الله سلط على المصريين الطاعون والاوبئة ، وجعل ماءهم دماً وملأه بالضفادع والحشرات .

وليس ايسر على رؤوسهم العوجاء من ان يفسروا ذلك اليوم باستباحة الاوبئة في محاربة الاعداء ، وانهم هم يجوز لهم ان يفعلوا ذلك وإن لم يقع شيء منه بفعل الله .

هذه هي طواياهم التي لا ندعيها عليهم ، ولا يستطيعون ان ينكروها لانها اقرب شيء إلى طريقتهم في الفهم وطريقتهم في الاعتقاد .

والذين ينتظرون من امثال هؤلاء ان يجربوا حرب الجراثيم ينتظرون منهم شيئاً لا يوافق طبائعهم ، ولا يوافق ما عهد منهم في تاريخهم ، ولا يوافق مبادىء الصهيونية ولا مبادىء الشيوعية وهم يقرونها ويعترفون بها في غير حياء .

* * *

ان الأمم قد اتفقت على تحريم حرب الغازات وحرب المواد الكيمية ، وكان اتفاقها على تحريم حرب الجراثيم اشد حزماً واوسع إجماعاً من ذلك الاتفاق .

وبلغ من التشديد في تحريم حرب الجراثيم ان اللجنة المختصة بالتسليح رأت في تقريرها النهائي الذي وضعته سنة ١٩٣٠ ان تحرم استخدامها في جميع الاحوال ، حتى في حالة القصاص من الدول التي تستبيحها خيانة منها ومخالفة لاحكام الاتفاق ، مع ان المعاقبة بالقصاص مبدأ معترف به في غير هذا الضرب من المخالفات . ولكن الصهيونية لا تدين بحرام او حلال في معاملة احد من الناس ، سواء في حالة السلم او في حالة القتال من باب اولى ، لانها تعامل جميع الناس معاملة الإعداء الذين يغتصبون « الحق » من شعب الله المختار .

وليس تلويث الماء في غزة مستغرباً من اصحاب هذه « العقلية » الإجرامية ، لانها تفسره على هواها تفسيراً ترضاه ولا يرضاه عقل إنسان ، وليس للمغتصب عقل يفسر الاشياء كما تفسرها سائر العقول .

وهذا هو النذير الذي جاء في اوانه ، عسى ان يفتح العيون العمياء على الخطر الجانح الذي يحيق بأمم العالم لو قامت لهذه الصهيونية دولة ترتبط بها الدول وهي لا ترتبط بها بعهد من العهود .

إنه نذير للعالم كله ، وليس للعوب وحدهم او لجيران الصهيونية الذين يعيشون من حولها .

فماذا يكون مصير العالم لو قامت فيه دولة ترتبط بها الدول في معاملات وعهود ، وهي لا ترتبط بأحد منها بشيء على الإطلاق .

ماذا يمنع هذه الدولة ان تتوسل بحرب الجراثيم ، وما هو شر من حرب الجراثيم ، كلما وقع بينها وبين جيرانها خلاف .

بل ماذا يمنعها ان تتوسل بهذه الوسائل لتحقيق كل غاية يعييها ان تحققها بالقوة العسكرية او بأساليب السياسة ؟

إن مجموعة الامم الإنسانية تدخل فيما بينها دولة تحميها المواثيق الدولية ولا تحتمي فيها بميثاق .

والقنبلة الذرية سلاح لا تستطيعه كل أمة . ولكن الجراثيم سلاح لا يعيي اضعف الدول ، ولا يحتاج إلى مشقة في الاختراع ولا في التكاليف . فأي امان لعالم تقوم فيه دولة معترف بها على هذه العقيدة وعلى هذه الاخلاق ؟

هذه هي الحقيقة التي ينبغي ان تبرز لامم العالم في هذه الآونة ، وهي في الواقع حقيقة بارزة من سوابق التاريخ ومشاهدات العيان ومن دلائل الاخلاق التي تدل في كل مكان على طوية هؤلاء الصهيونيين وديدنهم المتفق عليه في جميـع معاملاتهم ، وخلاصته في كلمتين ان الحرام كله مباح في سبيل ما ارادوه.

دولة تفتح عهدها بمذابح دير ياسين ، وتثني بعدها بحرب الجراثيم . افهذه هي الدولة التي يعترفون بها في عشر دقائق لأنها « لقطة » لا يطاق انتظارها بضع ساعات ؟

إنها لفاجعة في صورة مهزلة . والويل لمن تلحق به جريرتها في تاريخ بني آدم ، فانها لشر من كل جريرة احاقت بهم قبل اليوم .

في أسبوعين [1]

بدأت معركة فلسطين منذ أسبوعين ، وفي خلال هذين الأسبوعين كانت خلاصة الأعمال والأخبار في ميدان المعركة وفي غير ميدانها خلاصة مشرفة لنا محققة لرجائنا . لا ندري بم نفخر مما نرى ونسمع : شجاعة الجيش من أكبر ضباطه إلى أصغر جنوده، ، أم بحسن تنظيمه وتدريبه وحزم قيادته في رسم خططه والإشراف على حركاته . هذه مفخرة وتلك مفخرة ، وكلتاهما جديرة بأعرق الجيوش وأكرم الأمم . وإن قيادة الجيش المقدام المتلهف على الحركة لأصعب في بعض الأحوال من قيادة الجيش المتخاذل المتهيب ، ولكن هـــذه الصعوبة قد واجهتها قيادة بصيرة تحسن علاجها والأخذ بزمامها ، فلا تندفع مع الحماسة حيث ينبغي أن تتريث ، ولا تنخدع بالنجاح حيث تكون خدعة النجاح شراً من خدعة الأعداء ، ولكنها على هذا تبلغ من السرعة في عملها غاية ما يبلغـــه جيش في مكانها ، وتنتفع بالأيام والساعات جهـــد الانتفاع في حالتي الأناة والإقدام . ومع إحسان القتال تحسن المسالمة وهي في ميدان النار والحديد . فلا إساءة إلى أسير ، ولا انتهاك لمغلوب ولا مخالفة لادب المقام بين أهل البلاد ولا تقصير في واجب التعاون مع الجيوش البواسل التى تشترك في شرف الدفاع عن هذه القضية العادلة : قضية الحرية والكرامة الإنسانية .

ان السطور التي يكتبها جيش مصر في هذه الايام جديرة بالصفحة الناصعة

---

(١) الاساس ٣١ – ٥ – ١٩٤٨

التي تكتب عليها :

صفحة مصر الخالدة ، صفحة تاريخهـــا العريق المجيد . اننا لم نكسب معارك القتال وكفى ، إننا كسبنا أنفسنا ، وكسبنا في ميدان السياسة الوطنية وفي ميدان الاخلاق القومية غنائم لا نحصيها اليوم جميعها ، لانها ستبقى في أيدينا أياماً بعد أيام ، وأعواماً بعد أعوام .

* * *

وإذا تحولنا من ميدان القتال إلى داخل البلاد وجدنا أمامنا مفخرة كهذه المفخرة وشرفاً كهذا الشرف ، ولمسنا في كل مكان دليلا على بعث جديد يرضينا عن سمعتنا ويعزز الثقة بأنفسنا ويملي لنا في أسباب الغبطة والرجاء .

فليس أجمل من حماسة الشعب إلا قدرته على ضبط عنانه والسيطرة عــلى شعوره وصدق معاونته للقائمين بأمره .

فلم تسجل أيام هذه المحنة العصيبة حادثاً واحداً من حوادث العدوان . وقد رأينا ألف دليل يسوغ قيام الاحكام العرفية بيننا ولم نر دليلا واحداً يسوغ الخوف منها والحذر من الخروج بها عن حدودها .

والذين أساءوا إلى حقوق الضيافة في هذا البلد قد حيل بينهم وبين الإساءة إليه في أحرج أوقاته ، ولكنهم هم لم يتعرضوا قط للإساءة اليهم في غير حدود القانون والنظام ، وليس في العالم بلد يكفل لسكانه في مثل هذه الآونة ضماناً أعدل من هذا الضمان وأماناً اكرم من هذا الامان .

* * *

أما في ميدان السياسة فقد علمنا أن الخطوة التي خطوناها هي أسلم الخطوات وأكرمها ، بل هي أوجب الخطوات وألزمها أياً كان مصيرها في الغد القريب أو البعيد ، وهي بمشيئة الله مصير محمود .

فلو لم تتحرك جيوش الامم العربية لنجدة فلسطين لكانت فلسطين كلها في هذين الاسبوعين دولة صهيونية من أقصاها إلى أقصاها . ولاعترفت بها كل دولة

من دول الارض ، ولم ينحصر أمر الاعتراف بها في هذه الدول التي كانت على نية الاعتراف بها قبل إعلانها لانها سترى أمامها حقيقة واقعة غير مشكوك في مصيرها ، وتتمثل أمامها دولة قائمـــة غير مخشي عليها من جيرانها الذين يعارضونها ، ولن ينتظر من دول العالم أن تبلغ في عداوة الصهيونية ما لم يبلغه العرب أنفسهم ولم يبلغه أبناء فلسطين . وكان غاية ما ندرك بسياسة الإحجام أن نقف أمام أنفسنا موقف الخزي والخسَّة ، وأن نقف أمام العالم موقف المهانة والصغار ، وأن يستخف بنا الصهيونيون وأعوان الصهيونيين ، فلا يحسب أحد لنا حساباً في شأن من شئون الشرق كله ، ويحسبون للصهيونية بعد الآن كل حساب .

تلك نتيجة محققة لا شك فيها من نتائج سياسة الإحجام .

أما الآن وقد تحركت الجيوش العربية لنجدة فلسطين ، فأي نتيجة كائنة ما كانت تضارع تلك النتيجة المحتومة في مهانتها وسوء عقباها ؟ وأي نتيجة كائنة ما كانت تصيب فلسطين والبلاد العربية بمثل ما تصاب به من سياسة الاحجـــام ؟ وكيف ننصف أنفسنا في مسألة من مسائلنـــا فضلا عن مسألة فلسطين ؟

هذا إذا كان قصارى الشر كله قيام دولة صهيونية وعجز العرب عن الظفر حتى بنصيبهم الذي قبله الصهيونيون من خطة التقسيم . لكن الشر لن ينتهي بقيام الدولة الصهيونية ، بل يكون ذلك ولا جدال مبدأ الشر المحذور الذي لا يعرف له ختام . وسيكون إحجام الدول العربية محرضاً على الطمع وحافزاً على استشرائه وتعجيله ، فيحدث منه في شهور ما كان مقدوراً له أن يحدث في أعوام او أحقاب . ونفرح يومئذ بالعقل والحكمة حين لا يبقى لنا من العقل والحكمة الا ما نعلم به أننا كنا أغفل من المجانين ، وأغبى من العجماوات !

* * *

لقد كانت خطوة إلى الامام او خطوة إلى الوراء .

أما الخطوة الناكصة فهي خطر محتوم في الحاضر العاجل وفي المستقبل القريب والمستقبل البعيد .

واما الخطوة المقدمة فهي نجاة من ذلك الخطر المحتوم على الاقل،وهي فوق ذلك واجب وكرامة ، ورجاء في مصير خير من مصير الإحجام على أية حال .

نحن إذن على هدى .

نحن إذن على صواب .

فلنمض على بركة الله ، وبمعونة الله .

حِسَابٌ وحِسَابٌ (١)

المشهور عن الصهيونيين أنهم «قوم بارعون» في الحساب ، ولكن الحقيقة التي ظهرت من أعمالهم في الزمن الاخير على الخصوص ، هي أنهم بارعون في نوع واحد من الحساب فقط وهو حساب « العملة » وما يتعلق بهـــا من الارباح والخسائر والمواثيق والرهون .

اما حين يتعلق الحساب « بالقيم الإنسانية » فهم يخطئون الحساب كثيراً ، ولا يعتمدون في « التسليف » على ضمان صحيح .

* * *

انهم حسبوا قوة خصومهم في فلسطين فأخطأوا الحساب .

حسبوا « اولا » ان الجيوش العربية لا تتحرك لمنع قيام الدولة الصهيونية ، ثم حسبوا قوتها على فرض تحركها ، فصغروا من شأنها واستضعفوها وقال بن غريون وغيره عن جيش شرق الاردن انه لم يشم رائحة البارود ، وقالوا مثل ذلك عن غيره من الجيوش العربية .

وقد اخطأوا ولا شك في الحسبتين .

فان الجيوش العربية قد تحركت في اللحظة التي قررت ان تتحرك فيها ، وقد عرف ساسة صهيون ان الانوف العربية تشم رائحة البارود جيداً ، وتشم كل

---

(١) الاساس ٢ - ٦ - ١٩٤٨

رائحة تطيب للأنف او تعافها الانوف ، وان « طول الانف » لا ينفع صهيون كثيراً في هذا الميدان !

ان تلك الانوف الطويلة هي التي اعوزها الشم واعوزها الشمم ، فلا تأنف من شيء ، ولا تميز بين الطيب والخبيث .

حسبة لم يحسبها الصيارفة.

ولكن « الغُشم » في هذا النوع من الحساب هم الذين حسبوا ما بين ايديهم فضبطوا حسابهم ، فلم يصغروا من شأن خصمهم ولم يكبروه ، ولم يبالغوا في الوزن ولم يطففوه .

فكل ما عند صهيون من حول وقوة داخل في الكفتين ، وعلى حساب هذا الوزن الصحيح تعمل الجيوش ويعمل الساسة ، وتعمل الشعوب .

* * *

انهم أخطأوا الحساب حين ظنوا أن الغدر والعدوان على الحرمات حسبة رابحة ، فلم يخسروا قط في عمل من الأعمال كما خسروا في هذا الغدر والعدوان .

لم يبق بعد مجزرة « ديرياسين » عربي يتردد فيما ينبغي أن يعمل ، ولم يبق لصهيوني حجة في قيام دولة تؤتمن على الرعايا من غير قومها ، ولا على الرعايا من صميم قومها .

لأن المجرمين الذين جاوزوا حد الوحشية في الاجرام لا يقومون على حراسة القانون والنظام .

وكل ما يقال في ستر هذا العار الدامغ ينقلب على الصهيونية ولا ينفعها .

فإذا قيل أن فظائع دير ياسين وما اليهـــا من عمل العصابات المتمردة فليس للحكومة التي تغلبها العصابات المتمردة حق في ولاية الأمور .

ويبقى ان يعلم الناس ما هو العقاب الذي أنزلته « الحكومة المحترمة » بتلك العصابات الباغية ! .

ان كانت لا تعاقبها فهي متواطئة معها .

وان كانت عاجزة عن عقابها فهي في حاجة إلى الحماية وليس من حقها أن تتولى حماية الآخرين .

وقد فرح الصهيونيون بألعوبة الرايات البيضاء التي رفعوها في غير موضع للتغرير بالمقاتلين .

فرحوا بجريمتهم في تلويث الماء بجراثيم الأمراض ، ولكنهم لم يكسبوا من هذه الألاعيب والجراثيم في حينها ، ولن يكسبوا منها بعد حينها ، وخسروا حتى الآن أضعاف ما كسبوه وسيخسرون بعد الآن أضعاف ما خسروه .

حسبة ضائعة على قواعد الجمع البسيط والطرح البسيط ، ولكنه ضياع لم يدخل للصيارفة في حساب .

وليس العرب من صيارفة العملة ، ولا ممن يحملون فيهـا رصيد الأرباح والخسائر ، ولكنهم حين أكرموا الأسرى وهم موتورون محنقون ، وحين عفوا عن الاثم والعدوان وهم قادرون متحكمون ، وحين عاملوا الغادرين بالأمانـة والصدق وهم في حل من جزائهم بمـا يستحقون ، كانوا في الواقع هم الغانمين الظافرين بكل تقدير وعلى كل وزن صحيح .

لم يغنموا سمعة الشرف وحدها بل غنموا معها نهوض الحجة في كل مطلب يطلبونه ، وأول هذه المطالب أنهم أصحاب حق في حكم وطنهم ، وأنهم أهل لائتمانهم عـلى رعاياهم ، ولو كانوا من الد أعدائهم ، وأحق الناس بالنقمة واهدار الحقوق .

* * *

والحسبة الكبرى التي غلط فيها تقدير الصيارفة البارعين هي حسبة المناورات الامريكية ، او المناورات الشيوعية .

انفقوا الملايين من الذهب ليقيموا دولة إسرائيـل في البيت الأبيض أو في الكراملين .

انفقوا المال والجهد ، وأنفقوا غير المال والجهد ، ليحلوا قضية فلسطين في هذه العاصمة او تلك من العواصم الأمريكية أو الأوربية .

وحقيقة الأمر ان قضية فلسطين لا تحل إلا في فلسطين ، وان المصير الذي تصير اليه هذه القضية هو المصير الذي يتقرر في بلادها سواء انفقوا ما أنفقوه من أموال وجهود ، أو حفظوه وادخروه لينفعهم في مصرف أو سوق !

لكن الصهيونيين يحسبون وعندهم دفتر واحد ينظرون في أرقامه قبل النظر في كل حساب .

وليس في هذا الدفتر حساب للقيم الإنسانية ، او لعله حساب على الهامش لا يدخل في الرصيد الأصيل .

وقد حسبوا جهدهم ...

وستأتي ساعة الحساب الأخير ، ويومئذ لا محالة يعلمون مـــا هو المحصول الصحيح ، بين حساب وحساب .

من توفيق إلى توفيق [1]

من علامات النجاح في قضية فلسطين ملازمة التوفيق للخطوات التي خطاها قادة العرب حتى الآن في ميدان القتال وفي ميدان السياسة .

ان دخول الجيوش العربية أرض فلسطين كان عملا حكيما غاية في الحكمة ، ولم يكن قصاراه انه عمل يدل على الجرأة والشجاعة .

وليس من الضروري ان ننتظر عاقبة هذه الحكمة في نهاية الأمر لأنها قد ظهرت حتى الآن فيما منعناه على التحقيق بدخول الجيوش العربية إلى أرض فلسطين .

فلو لم تتقدم هذه الجيوش للعمل هناك لأصبحت فلسطين كلها دولة صهيونية تتخطى حدود التقسيم ولا تجد أمامها من يجبرها على التزامها ، ولكانت دولة إسرائيل التي أعلنوها قد شملت دولة « يهوذا » في مقرها القديم . لأن دولة يهوذا هي المقصودة بمملكة صهيون حيث يبكي المعتصمون من اليهود اليوم عند بقايا هيكل سليمان فيما يزعمون ، ويترقبون اقامة الهيكل مرة أخرى وبقاءه هناك إلى آخر الزمان !

ولا يجوز ان تخامرنا ذرة من الشك في حدوث هذا كله خلال بضعة أيام لو لم تتحرك جيوش العرب عند اعلان دولة إسرائيل.

---

(١) الاساس ٤ - ٦ - ١٩٤٨

فان الصهيونيين لا يترددون في ضم فلسطين برمتها إلى دولتهم المزعومة إذا نظروا أمامهم فلم يجدوا من يقاومهم او يصمد لقوتهم ويحول بينهم وبين تحقيق تلك الامنية التي بيتوا النية عليها منذ تهدم الهيكل في عهد الرومان .

ومتى فعلوا ذلك سقطت حجة الدول التي تعارض قيام الدولة الصهيونية خوفاً على السلم في الشرق الأوسط ، ثم خوفاً على السلم في العالم بأسره . فان كانت لا تبادر يومئذ إلى اقرار تلك الدولة فهي لا تجد من وقائع الحالة في الشرق الأدنى ما يتيح لها أن تمنع الآخرين من اقرارها ومعاملتها ، إذ لا مناص للدول من التعامل مع حكومة قائمة في تلك البلاد .

ان تحرك الجيوش العربية إلى أرض فلسطين قد منع هذه الكارثة بغير جدال ، وحسبها أنها نجحت في دفع هذا الخطر ليوصف عملها بأنه عمل حكيم حازم ولا يكتفي في وصفه بأنه عمل من أعمال الجرأة او اعمال الاضطرار .

* * *

ومثل هذا العمل في الحكمة والحزم موقف الدول العربية من طلب الهدنة او وقف القتال أربعة أسابيع .

فهذا الموقف لم يضيع على العرب شيئاً ، ولكنه ضيع على الصهيونيين وأعوانهم فرصة من فرص التشهير والدعاية تفيدهم ولو بعض الفائدة في هذا المأزق الذي وقعوا فيه .

وأيسر ما كانوا يذيعونه ويشيعونه ان العرب قوم متعنتون متشبثون لا يقبلون التفاهم بينهم وبين شعوب العالم ، فلا عجب إذن في أن تخفق معهم كل محاولة للصهيونية في سبيل التفاهم والوفاق .

أما اليوم فقد أوصدت في وجوههم ابواب هذه الدعاية ، وأصبحوا هم في موقف يعرضهم لتهمة التعنت والتناقض والاصرار على سوء النية .

فما نظن ان أحداً كان ينتظر من العرب قبولا للهدنة اوفى من هذا القبول .

ولا يصح في رأينا ان يسمى قبولا بشروط وقيود ، وإنما هو في الواقع تفسير لمعنى الهدنة كما ينبغي ان تكون عليه .

ولن يعارض احد هذا التفسير الجلي إلا انكشف منه سوء النية وأثبت على نفسه أنه لا يريد السلام والتوفيق ، بل يريد لاحد الفريقين ان يستكمل عدته لاستئناف القتال .

فليس من الهدنة او وقف القتال ان يفتح باب الهجرة على مصراعيه لدخول المدد من الجنود المقاتلين خلال هذه الأسابيع .

ومن التناقض الذي يقع الصهيونيون فيه لا محالة ان يعلنوا عجز عاصمتهم عن تموين نفسها ويطلبوا فك الحصار عنها وعن غيرها ، وهم في الوقت نفسه يطلبون إباحة الهجرة إلى تلك المواقع التي عجزت عن تموين سكانها المقيمين فيها .

فليس أدل على سوء النية من هـذا التناقض ، وليس أدل على الخداع والانطواء على الغدر من الالحاح في قبول المهاجرين ، مع هذا العجز المعترف به في موارد التموين .

ان موقف العرب من طلب الهدنة قد وضع الصهيونية في هذا الموضع الذي لا تحسد عليه .

فاذا اخفق الوسيط في مسعاه فلن يخفق لأن تفسير العرب للهدنة تفسير غير مقبول ، ولن يستطيع ان يقول ان العرب طلبوا شيئاً لا يجوز لهم ان يطلبوه ، ولكنه سيخفق لاصرار الصهيونيين على مطالب تناقض معنى الهدنة وتناقض الرغبة في السلام والكف عن القتال .

ولن يقول الوسيط غير ذلك وهو محتفظ بأول وصف ينبغي ان يتصف به وسيط في مثل هذه المهمة الإنسانية ، وهو وصف الحيدة والإنصاف وصدق الموازنة بين الأسباب .

لن يستطيع وسيط في العالم ان يقول ان العرب متعنتون لأنهم لم يقبلوا امداد أعدائهم بالرجال وتزويدهم بالمؤونة وحرمان انفسهم مما يباح لأولئك الاعداء .

فان قال ذلك فهو خير على الأقل مما كان يقوله هو او غيره لو رفض العرب وقف القتال رفضاً قاطعاً بغير تفسير .

ونحسب ان احالة الأمر على الوسيط لتفسير معنى الهدنة هو خطوة أولى

من خطوات التراجع التي اضطرت اليها بعض الدول بعد التورط في اعترافها بدولة إسرائيل .

فهي لا تطلب من العرب او الصهيونيين شيئاً تميل به إلى هؤلاء ، او إلى هؤلاء ، ولكنها تحيل الأمر على وسيط السلام لتنفض يدها من التمادي في محاباة الصهيونيين ، او من الظهور أمامهم بما يعدونه خذلانا لهم في هـــذا المأزق العصيب .

وأياً كان مآل السعي الذي يتولاه وسيط السلام الآن فالعرب موفقون فيما اختاروه من جواب بطلب الهدنة .

وإذا اقترن التوفيق بميدان القتال وميدان السياسة فالعاقبة ان شاء الله للمجاهدين ، وللصابرين .

أسطورة الأساطير

مملكة صهيون[1]

كل مشكلة فلسطين ، بل كل مشكلة الشرق الأدنى في هذه الايام ، هي مشكلة خرافة من خرافات الاساطير .

ونسميها خرافة لأنها لم تتحقق من قبل ، ولن تتحقق أبداً ، إذ هي غير قابلة للتحقيق . هي غير قابلة للتحقيق إذا نظرنا اليها بعين التاريخ . وهي غير قابلة للتحقيق إذا قلبناها على جميع الفروض ، وقدرنا وقوعها على أي وجه من الوجوه .

ان التاريخ يقول لنا ان دعاة صهيون ، او مملكة إسرائيل ، لم يعيشوا قط في سلام مع أحد ، ولم يعيشوا قط في سلام مع أنفسهم ، ولم يعيشوا قط في سلام حيث كانوا ، أياً كان مقامهم بين الناس .

خرجوا من جزيرة العرب ، ثم خرجوا من العراق . ثم خرجوا من ارض كنعان ، ثم خرجوا من ارض مصر ، ثم خرجوا من ارض فلسطين متفرقين . لم يقبلهم أحد ولم يقبلوا احداً حيث حل لهم ركاب . فلما قامت لهم دولة ، او دويلة في عهد شاؤل الاول ، كان ذلك من جراء النزاع القديم بينهم ، وسبيلا إلى نزاع جديد .

تنازعوا على خلافة كاهنهم الاول صمويل فلم يقبلوا احداً من ابنائه ، فلما

---

(١) مجلة الإذاعة ٥ - ٦ - ١٩٤٨

ارغموه على مبايعة شاؤل الأول عادوا يتمردون على شاؤل هذا الذي اختاروه، ووقع النزاع بين هذا الملك وبين داود عليه السلام، وانتهى امر شاؤل إلى الجنون من تعاقب المشكلات عليه، ثم مات منتحراً في الميدان، بعد ان هزمه الفلسطينيون.

ولم يفارق داود الحياة حتى انقسمت مملكته الصغيرة إلى شطرين: شطر في الجنوب ويسمى مملكة يهوذا، وشطر في الشمال يسمى مملكة إسرائيل. ثم زالت المملكتان بعد قليل. ولم يعد إلى القوم شيء من الاستقلال إلا في عهد المكابيين، فإذا بالنزاع يحتدم بينهم من جديد. وظل هذا النزاع قائماً بين فريقهم من الفريسيين والصدوقيين حتى دخلوا في حوزة الرومان.

وعلى عهد الرومان قامت لهم دويلة صغيرة تحكمها أُسرة هيرود. فلم ينقطع فيها النزاع بين الإخوة تارة، وبين الجيران تارة أُخرى، حتى ذهبت ريح هذه الدويلة بعد جيلين اثنين!

وفي طوال هذا الزمن لم يستقروا على سلام قط بينهم وبين احد من جيرانهم، فلا يفرغون من فتنة حتى يشتبكوا في قتال.

تلك هي مملكة صهيون في التاريخ: شيء لم يقبله دعاته ولم يقبله غير دعاته. ولم يتحقق لها وجود في ظل سلام على عهد من العهود.

ولما انبعثت دعوة صهيون في العهد الاخير، كان المخالفون لها من رجال الدين خاصة اكثر من المؤيدين.

فأناس منهم يقولون إن مملكة صهيون وعد وعد به الله شعبه المختار. ولكنه لا يتحقق كما جاء في النبوءات إلا بعد ظهور المخلص الموعود، وهو عندهم يظهر في آخر الزمان ولا يظهر في هذا الزمان.

وأُناس آخرون يريدونها مملكة سياسية دنيوية، ويرون انها تتحقق بالمال او بالسياسة، ولا ينتظرون ظهور المخلص الموعود. ولا يزالون مختلفين إلى اليوم.

وينبغي ان نعلم انه خلاف صحيح يقوم على سبب صحيح. فان كثيراً من رجال الدين يأبون ان يخرج الامر من ايديهم ليتولاه رجال السياسة وقادة

الجماهير ، ويسكتون احياناً من باب المداراة ، او من باب العطف مع الشك الشديد في عواقب هذه المحاولات .

* * *

اما مملكة صهيون كما يتصورها دعاتها فهي مطلب بعيد المنال ، سواء جمحوا مع خيالهم او جنحوا إلى بعض الاعتدال . فالمعتدلون يريدونها مملكة تمتد من وادي النيل إلى النهر الكبير اي الفرات . والجامحون مع الخيال يريدونها سيادة على العالم كله ، لانهم شعب الله المختار ، والعالم كله هبة من الإله لهذا الشعب المختار . ودون هذا وذاك اهوال لا يقوى عليها شعب من الشعوب .

والسيادة على العالم مطلب لم يتحقق يوماً من الأيام لأمة واحدة كائناً ما كان شأنها من القوة والثروة والحيلة والتدبير . والسيادة على الشرق من وادي النيل إلى وادي الفرات مطلب في هذا العصر الحديث لا تقره الدول الكبرى، ولا يقره أبناء هذه البلاد .

وغير صحيح ان الصهيونيين يقنعون بما دون هذا أو ذاك ، فإن الاسم الذي اختاروه لدولتهم حديثاً يدل على الطمع فيما وراء هذه الدولة ، فقد سموها مملكة إسرائيل انتظاراً منهم لإعلان مملكة يهوذا في الجنوب . وهذه المملكة – مملكة يهوذا – هي بيت القصيد من كل هذه الدعوة : هي الوسيلة لإعادة هيكل سليمان في بيت المقدس أو أورشليم . فلا بد بعد مملكة إسرائيل من مملكة يهوذا ، ومن إعادة الهيكل ، وهو الأمنية الكبرى لكل صهيوني في كل مكان .

* * *

ندع إذن مملكة صهيون في التاريخ . وندع كذلك مملكة صهيون في أوهام الخيال . ونقول إن القوم سيقنعون بمملكة إسرائيل حيث قامت، فكيف يمكن أن تقوم هذه المملكة ؟ وكيف يمكن أن تدوم ؟

أتكون وطناً قومياً لجميع اليهود في أرجاء العالم ؟ إن عدة اليهود في أرجاء العالم خمسة عشر مليوناً او يزيدون بعض الزيادة . ومن البديهي أن مملكة

إسرائيل لن تتسع لهذا العدد كله ، لأن مملكة داود في شمالها وجنوبها لم تتسع لأكثر من ثلاثة ملايـين ، مع غيرهم من السكان . فلا بد أن تقتصر مملكة إسرائيل الجديدة على مثل هذا العدد على أكبر تقدير . وهي مع ذلك مضطرة إلى الإغارة على من حولها ، لتوفر أسباب المعيشة لمليونين او ثلاثة ملايين ، في بقعة لم تتسع الآن لأكثر من مليون ، ولا تزال في كفاح عـلى العيش والعمل لضيق هذا الحيّز من الأرض عن سكانه الأصلاء وسكانه الطارئين .

ولو استطاعت أن تدبر هذا – وهو غير مستطاع – بقيت مشكلة أُخرى ، هي المشكلة الكبرى .

هل توصد مملكة صهيون أبوابها في وجوه يهود العـالم ؟ إذن ينقسمون ويتخاصمون : قسم في المملكة وقسم خارج المملكة ، ولا بد من هذا الانقسام .

على أنهم في مملكة صهيون نفسها لا يتفقون ، فلن تخلو هـذه المملكة من فريق يريد التوسع ويريد المدد من الخارج . وهؤلاء يدعون إلى فتح أبواب الهجرة لكل راغب فيها ، ويستعينون بذلك على التوسع والإغارة ، وتهديد جيرانهم بالغزو والسيطرة السياسية أو الاقتصادية .

ويقاومهمولا شك فريق المعارضين في قبول المهاجرين ، فلا وفاق في الداخل ولا وفاق في الخارج ، وذلك دأبهم القديم ، بل دأب كل دعوة تقوم في مكانهم على هذا الأساس .

وأياً كان وضعهم ، وأياً كان مصير الهجرة إلى دولتهم ، فلن يعيشوا في سلام ، ولن يتركوا العالم كله ، ولا العالم من حولهم في سلام .

إنهم يقيمون دولتهم في ملتقى القارات الثلاث .

انهم يوزعون أنصارهم في كل قطر من الأقطار .

إنهم في تاريخهم حيث كانوا لم ينقطعوا عن المشاكسة والنزاع ، فلا بد لهم من المساومة والإيقاع بين الدول الكبرى ، ولا بد لهم من خلاف مع جيرانهم ، ومن خلاف مع أنصارهم ، وفي طليعتهم انصارهم من الصهيونيـين في مختلف البلدان .

ودولة – إذا قامت – لن تقوم إلا على هـــذه الاركان ، لن تقوم ، ولن تدوم .

قيل إن هذه الدولة الكبرى ، او تلك الدولة الكبرى ، تعترف بوجودهم إلى حين او تعترف بوجودهم في كل حين . ذلك خبر قديم وليس بالخبر الجديد . ذلك خبر سمعه التاريخ قبل خمسة وعشرين قرناً ، في عهد قورش ملك فارس ، فقد كان أقوى الملوك في زمانه ، وقد اعترف لهم بوجودهم ، وأذن لهم في بناء الهيكل ، فبنوه وتنازعوا فيما بينهم ، وتنازعوا من حولهم ، وسعوا بالوقيعة بين شعوب زمانهم ، فعاد الهيكل فتهدم ، وعادوا فتفرقوا ، ولا يزالون متفرقين .

إن هؤلاء القوم لا سلام لهم ، ولا سلام للناس جميعاً في دولة يقيمونها ، سواء قنعوا بها او طمعوا فيما وراءها. لانهم إذا قنعوا بدولة محدودة نازعهم انصارهم وأعوانهم ، ولم ينقطع النزاع بينهم وبين جيرانهم . وإذا لم يقنعوا كانوا خطراً على سلام الدنيا بأسرها ، وهيهات أن تؤثرهم الدنيا على سلامها وسلامتها . وإن قبلتهم الدنيا متفرقين فيها ، معرضين عن خرافتهم التي جلبت عليهم الشؤم ولا تزال تجلبه عليهم وعلى الناس .

قد تعيش الخرافة إذا لم تكن خطراً على العالم ، ولكن الخطر على العالم يهدم القوة نفسها ، كما هدم خرافة الشعب الممتاز في عقيدة النازيين ، وخرافة الدولة المقدسة في عقيدة الفاشيين ، وكلتاهما عقيدة لا تقوم على الخرافة وحدها ، بل تقوم على قوة لا نظير لها من قوى الحديد والنار .

ولدت دولة صهيون !

ماتت دولة صهيون !

واعترف بها قورش قديماً ، واعترف بها أشباه قورش في الزمن الحديث . فما قامت بالامس ، وما هي اليوم بقائمة ، وإذا هي قامت فلن تدوم .

القسط الأوّل (١)

باللغة التي يفهمها الصهيونيون نستطيع ان نقول ان اعتراف الولايات المتحدة بميلاد دولتهم «اللقيطة» كان هو القسط الاول من أقساط الفشل الذي سيصيبهم لا محالة ، ولا نقول سوف يصيبهم في تلك الولايات .

لقد صاح زعيمهم هناك – حين سمع بنبأ الاعتراف – انه شيء رائع .. انه شيء جميل !

وجاءت انباء البرق تزف إلى العالم انهم قضوا ليلتهم تلك راقصين مهللين في شوارع نيويورك ، وانهم تجاوزوا أطوارهم من نزوة الفرح والابتهاج .

ولولا ان الصهيونية « مرض جنوني » لما انخدع الصهيونيون بهذه الظواهر الكاذبة التي تنذرهم ببداية النهاية في البلاد الامريكية .

لان هذا النجاح «المعكوس» قد جاء في عهد غير عهودهم الاولى التي تعودوا فيها ان يستخدموا نفوذهم في سياسة تلك البلاد .

ففي تلك العهود الاولى كان قصارى الامر ان يضربوا حزباً من الاحزاب السياسية بحزب آخر يجاريهم في أغراضهم إلى حين ، وكلهم امريكيون .

أما اليوم فاللعب بالسياسة الامريكية يعرض البلاد بجميع احزابها وهيئاتها لصدمات الحوادث العالمية .

---

(١) الاساس ٧ - ٦ - ١٩٤٨

ودون ذلك وتبطل الحيلة ، ويسقط نفوذ الزعماء .

فاذا أراد الصهيونيون اليوم ان يلعبوا بالسياسة الأمريكية كان معنى هذا انهم يفصلون بينها وبين حلفائها الطبيعيين في مشكلات العالم او في الحرب الثالثة إذا قدر لها الوقوع في زمن قريب او بعيد .

وكان معنى ذلك انهم يسخرونها لخدمة أعدائها ، ويتخذونها آلة لقضاء مصالحهم دون مصالحها .

وليس ذلك في طاقتهم ولا في طاقة حزب او زعيم .

* * *

ولهذا قلنا منذ أسبوعين إن عاقبة الصهيونية في الولايات المتحدة ستبدأ من طلائع هذا النجاح الموهوم : نجاحهم في الاعتراف بدولة إسرائيل !

وتساءلنا : « ماذا تصنع الصهيونية مع بريطانيا العظمى ؟

وماذا تصنع مع روسيا الشيوعية ؟ هل تستطيع ان تفصل بين الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى في الحرب الثالثة مثلا ؟ وهل تستطيع أن تجمع بين الولايات المتحدة وروسيا معاً في حرب بريطانيا العظمى ؟

فإذا اصطدمت مصلحة الصهيونية ومصلحة الأمة الأمريكية بطلت المناورات الحزبية وبرزت الدوافع القومية وبرز معها ذلك الشعور الكامن من وراء المنافسات والموروثات وسوء الظنة المتغلغل في النفوس ، ولن تكون الصهيونية يومئذ أسعد مكاناً في نيويورك مما كانت في رومة وبرلين »

ثم قلنا : سنرى مصداق ذلك ولعله انتظار لا يطول .

* * *

لم يمض على ذلك أسبوعان حتى قرأنا في الأنباء البرقية « ان حكومة الولايات المتحدة شرعت في اتخاذ اجراءات قانونية ضد عدد من الجماعات اليهودية التي تواصل الدعوة منذ عامين إلى مواجهة بريطانيا العظمى بالأعمال الارهابية »

وجاء في تلك الأنباء على رواية الديلي اكسبرس « أن وزارة العدل الأمريكية

أرسلت إلى رؤساء هذه الجماعات تنذرهم بحل جماعاتهم بعد الاعتراف بدولتهم ، وإلا عوملوا معاملة الجواسيس الذين يخدمون دولة أجنبية في بلادها ».

ويؤخذ من تلك الأنباء ، ان اللجنة السياسية التي تعمل لحساب الصهيونية حلت على أثر ذلك الانذار ، وان رابطة فلسطين الحرة وقفت حملاتها على بريطانيا العظمى ، فراراً من تطبيق قانون الجاسوسية على أعضائها .

وليس هذا بالبداهة ما أراده الصهيونيون من مؤازرة الولايات المتحدة، فماذا يصنعون الآن مع صديقهم ترومان ؟

هل يحملون عليه فيخسرونه ويخسرون خصومه ؟

هل يؤيدونه وهم يتلقون هذا الإنذار من وزرائه ؟

أياً كان موقفهم منه فبوادر الأحوال تدل على أمل ضعيف في النجاح .

ولكنهم على ما نعتقد لا يرون خيراً منه على فرض نجاحه ، لأنه سيعمل يومئذ لكسب الرأي العام بعد العمل على كسب الأصوات من الناخبين الصهيونيين ، وشتان بين العملين قبل الانتخاب وبعد الانتخاب .

* * *

وهذه هي الفاتحة بعد أسبوعين من يوم الاعتراف بدولة إسرائيل .

نعم هذه هي الفاتحة وليست هي العاقبة المنتظرة بعد شهور أو بعد سنين ، إذا تمادى الصهيونيون في اللعب بالسياسة الأمريكية على ديدنهم المعروف .

ولن يعصمهم نفوذهم من تلك العاقبة المحتومة .

بل سيكون نفوذهم هذا هو البلاء الذي يجر عليهم سوء النكال .

فان نفوذهم في البلاد الألمانية لم يكن دون نفوذهم في الولايات المتحدة ، ولم تكن علاقاتهم فيها بدوائر السياسة ودوائر المال ووسائل النشر والكتابة في الصحف والمؤلفات الأدبية أضعف من علاقاتهم بهذه الدوائر في أمريكا الشمالية .

فماذا حدث من جراء هذا ؟

حدث أن هذا النفوذ كان هو البلاء الذي جنى عليهم حين اصطدمت دعايتهم بالمصالح الوطنية .

فوجدوا السلامة في الأمم التي قل فيها نفوذهم، وتعرضوا للعطب والتشريد حيث بلغ هذا النفوذ غاية مداه .

وما حدث في ألمانيا سيحدث في الولايات المتحدة ، مع اختلاف في أساليب التنفيذ لا يغير كثيراً ولا قليلا في خاتمة المطاف .

أليس بين الصهيونيين من يتعظ بما كان ويتقي ما سيكون ؟

انه لسؤال يخطر للسائل مع العجب والدهشة . لانه يعلم أن الصهيونيين لا يتجردون من ملكات الذكاء أو ملكات الدهاء على الخصوص .

ولكن الواقع كما قلنا في صدر هذا المقال أن الصهيونية مرض جنوني ، وان جنونها هو جنون « الفكرة المتسلطة » التي تبتلى بها الجماعات كما يبتلى بها الأفراد .

والفكرة المتسلطة على الصهيونيين هي أنهم « شعب الله المختار » وان شعوب الأرض جميعاً مطية لهم لبلوغ ما وُعدوا به من السيادة على العالمين !

فاذا عملوا للصهيونية كان شأنهم كشأن المريض الذي يعقل كل شأن من شئونه إلا شأناً واحداً هو الذي يتصل بالفكرة المسلطة عليه .

فهم يحسبون أن العالم مطية لهم ، ولا يعلمون أنهم هم مطية الشيطان ، لأن الشيطان لا يفتح أعين مطاياه ، حتى تنفتح بعد الأوان.

ذات السلاسل مرة أخرى (١)

من أنباء المعارك في فلسطين أن الصهيونيين يربطون بعضهم بعضاً بالحبال ، لتحول بينهم وبين الفرار . قلنا تلك علامة خير ، وبشير للعرب بحسن الخاتمة ، ونذير للصهيونية بمصيرها القريب، وبئس المصير ! ففي هذا الميدان نفسه، وقبل ثلاثة عشر قرناً من معارك اليوم : كانت معركة العرب والروم على أشدها في ميدان فلسطين وشرق الأردن ، وكان الروم مستيئسين في قتالهم كما يستيئس الصهيونيون اليوم ، وكانوا يخشون من خورهم وجبنهم أشد من خشيتهم لبأس خصومهم وقوة مراسهم، فكانوا يربطون أنفسهم بالسلاسل ليقطعوا على هاربهم سبيل الفرار . فكان ثباتهم في السلاسل أنفع للعرب من فرارهم في الميادين منطلقين ، يولي كل منهم وجهه حيث ساقته قدماه . وكانت وقعة السلاسل المشهورة التي عرفت في فتوح الشام باسم « ذات السلاسل » وانقشع بعدها ظل الدولة البيزنطية عن تلك البلاد إلى آخر الزمان .

علامة خير إن شاء الله .

وهي اليوم علامة خير قبل انتظار الخاتمة التي لا مهرب منها ، لأنها دليل على فقدان الثقة ، وفقدان العقل، وفقدان الأمل ، وتحكيم اليأس وحده حيث ينبغي أن تحكم الثقة والروية والرجاء. فلا ثقة عند من تخونه نفسه فيربطها بحبل ليحول بينها وبين الفرار . ولا عقل عنده كذلك ، لأن القتيل المربوط يعوق

---

(١) الاساس ١٩٤٨/٦/٩

شركاءه في القيد كما يعوقهم الجبان الهارب ، وقد تكون حرية الحركة ألزم للمحاربين من تقييدهم بالإقدام أو بالثبات .

ومن المحقق أن الصهيونيين المقاتلين جميعاً في حكم هؤلاء المربوطين ، وإن لم يربطوا أنفسهم بحبال تلمسها اليد وتراها العين . فقد تبين بعد استسلام كل طائفة من طوائف الصهيونيين أنهم كانوا يقاومون مكرهين ، وأنهم كانوا يؤخرون الاستسلام خوفاً من تهديد المتعصبين منهم ، وإذعاناً لحكم الإرهاب المسلط عليهم ، أو تصديقاً للمخاوف التي كانوا يتوقعونها على أيدي العرب ، كما وقع في روعهم من تهويل الدعاة المتعصبين ، تضليلا بأتباعهم ، أو اعتقاداً منهم أن الناس جميعاً مطبوعون مثلهم على الشر وسوء الطوية والتحلل من مبادىء الأخلاق . كلهم مربوط بحبل ظاهر أو مستور . وكلهم مسوق بوهم يصطدم بالواقع لا محالة ، وقلما يثبت وهم على صدمة واقع . ودع عنك الصدمات بعد الصدمات .

ونحسب أن حبالهم هذه لم تفارقهم في بيوتهم ولا في أرغد أيام سلمهم وراحتهم قبل اشتباكهم بالقتال مع الجيوش العربية . فقد رأيناهم في تل أبيب ورأيناهم في بيت المقدس ، ورأيناهم في المستعمرات ، ورأيناهم على الشاطىء في أوقات فراغهم ولهوهم ، فلم نر وجهاً واحداً ينم على ارتياح إلى ما مقامه حيث يقيم ، وكأنهم جميعاً مربوطون حيث كانوا برباط من الوهم أو برباط من الضرورة .

ولسنا نغتر بهوسة المتعصبين منهم ، ولا نظنهم على إيمان صادق بقضيتهم ، يقاوم ضغط الواقع وتجارب الصدمات التي لا مناص لهم منها . وإنما هي نزوات أغرار يروقهم أن يجدوا لهم بقعة من الارض ، وقطيعاً من الناس ، يتحكمون فيهم ، ويظهرون بينهم بمظاهر البطولة والسيادة ، ويلعبون معهم بعض الاعيب المغامرة والمفاجأة ، ثم يسترسلون في هذه الألاعيب إذا أمنوا مغبتها وحمدوا مظاهرها ، ولكنهم لا يستمرون ولا يعرفون الدأب والثبات إذا دارت عليهم الدائرة ، وكلفتهم الحوادث ما لا يطيقونه من كفاح دائم وعلاج حاسم لمشكلاتهم في الداخل والخارج ، وقد تكون مشكلاتهم الداخلية في وقت قريب

أثقل عليهم من مشكلاتهم الخارجية وأعصى على العلاج .

ان سيوف المجاهدين كفيلة بتحطيم هذه السلاسل التي تربطهم بدولة إسرائيل. أما السلاسل التي قيدهم بها قضاء الله ، فلا حيلة لاحد فيها لانها في يد القضاء .

* * *

وإذا كانت قلة الثقة بأنفسهم ستخذلهم آخر الامر في ميدان القتال ، فإن قلة الثقة بهم في ميادين السياسة أصدق نذير لهم بالخذلان ، مهما يكن نصيبهم اليوم من النجاح . فقد نجح هؤلاء القوم حتى اليوم في شيء واحد هو أصدق ضمان للفشل والخيبة، وهو اعتقاد الأمم جميعاً أنهم لا يحفظون جميلا ولا يعرفون الوفاء لصديق .

أساءوا إلى العرب ولم يحسن اليهم أحد كما أحسن العرب . وأساءوا إلى الإنجليز وهم أولياء نعمتهم في التاريخ الحديث . وأساءوا إلى كل دولة على قدر ما أسلفت لهم من خير وحماية . وليس هذا برأس المال الرابح ولو كان في أيدي الصهيونيين،فإنهم يعلمون أن الثقة رأس المعاملة وإن كانت معاملة لصوص. ولا ثقة لأحد بهم ، وليس في الدنيا حبال تتصل إذا انقطعت حبال الثقة مرة بعد مرة، ورثّت بطول العهد وطول الابتذال.

وليثق بهم مع هذا من يشاء ، فلا حاجة بأحد إلى مجازاته على غفلته ، لأنهم هم كفيلون له بما يستحقه من جزاء .

التقدير الصحيح (١)

إذا كان الاتفاق قد تم على المتاركة – أو وقف القتال من الجانبين في فلسطين – فليس هذا الاتفاق بالمستغرب في الموقف الحاضر ، وإن اختلفت أسبابه عند الصهيونيين وعند الأمم العربية . فأما الصهيونيون فهم لا يحققون أملا بالاستمرار في القتال . وأما العرب فهم لا يضيعون أملا بوقف القتال . وتلك هي خلاصة الأسباب الصحيحة التي تدعو إلى هذا الاتفاق .

* * *

ومن اللحظة الأولى ظهر أن الصهيونيين قد أساءوا التقدير من جملة وجوه ، فتبين لهم عجزهم بعد بضعة أيام . قدروا أن الدول العربية لا تتفق على خطة واحدة فاتفقت . وقدروا أنها لا تقدم على دخول الحدود الفلسطينية بجيوشها فدخلت . وقدروا أنها لا تصمد للقتال فقاتلت وصمدت وانتصرت . وقدروا أن اعتراف الولايات المتحدة بدولتهم المزعومة سيتبعه اعتراف الدول الكبرى وسائر الدول الأخرى فلم يحصل ما قدروه . لهذا جاءهم القتال بما ليس في الحسبان ، فلم يبق لهم إلا أن يلتمسوا المخرج من هذا الموقف الذي لا خير لهم فيه .

أما العرب فلم يخطئوا التقدير في شيء واحد كان ينبغي عليهم أن يقدروه . لم يخطئوا تقدير قوة الصهيونيين في فلسطين ، بل لعلهم قد أخطأوا الخطأ

---

(١) الاساس ١١ – ٦ – ١٩٤٨

الواجب ، أو الخطأ المحمود في هذه الحال فقدروا لهم قوة أكبر من قوتهم الحقيقية ، واستعدوا لهم على أساس هذا التقدير . فكان الخطأ هنا أسلم عاقبة من الصواب . ولم يخطيء العرب تقدير الموقف من جانب الدول الكبرى أو من جانب هيئة الأمم المتحدة على الإجمال . فكان عملهم صواباً من جميع الوجوه ، أياً كان موقف الأمم المتحدة من قضية فلسطين بعد دخول الجيوش العربية . كان دخول هذه الجيوش واجباً ، وكان صواباً على كل احتمال يخطر على البال . فإن هذه الجيوش لو لم تدخل فلسطين — لكان قيام الدولة الصهيونية في أرض فلسطين من أقصاها إلى أقصاها نتيجة محققة لا خلاف فيها . ويومئذ تسقط حجة العرب ، وتسقط حجة المعارضين في قيام الدولة الصهيونية ، وتسقط مكانة العرب في محيط السياسة العالمية وفي نظر أنفسهم بغير جدال . أما إذا دخلت الجيوس — كما فعلت — فما هي النتيجة على أي احتمال يخطر على البال ؟

إن حدثت المعجزة المستحيلة واتفقت الدول على منعهم بالقوة العسكرية فلهم العذر الواضح الذي لا يعابون عليه . وستكون النتيجة يومئذ أسلم من قيام الدولة الصهيونية في فلسطين من أقصاها إلى أقصاها بغير مقاومة ، وبغير حجة للاعتراض من جانب المعترضين — وإن لم تحدث المعجزة المستحيلة — وهي لم تحدث فعلا — فالصواب كل الصواب فيما فعلوه وفيما توقعوه .

* * *

والآن وقد وصل التفاهم على المتاركة إلى هذه المرحلة فما الذي ننتظره أيضاً على جميع الفروض وجميع الاحتمالات ؟

إن وفى الصهيونيون بعهودهم فلا خسارة على العرب ، وإن غدروا بها فالعرب هم الرابحون ، ولا يزال في أيديهم بعد وقف القتال كل ما كان في أيديهم قبل وقف القتال .

* * *

ولا شك أن الصهيونية قد بالغت في تقدير قوتها في مجال السياسة العالمية كما

بالغت باستضعاف قوة العرب في هذا المجال . فنحن نعلم كما يعلم الصهيونيون أن « الصهيونية » عصابة عالمية مبثوثة في كل ركن من أركان العالم . ونعلم أن هذه العصابة تعمل بسلاح المال وسلاح الدعاية وسلاح التغرير وخدمة الأهواء والشهوات . ولكن الصهيونيين لم يعلموا - أو كأنهم لم يعلموا - أن القضية العربية أيضاً قضية عالمية يحسب لها حساب في سياسة الدول وفي شعور الأمم على اختلاف المعتقدات . فالشرق الأوسط في أيدي الأمم العربية ومن يشعرون بمثل شعورها. ومن وراء الشرق الاوسط سبعون مليون مسلم في الضين لا تخرجهم من حسابها دولة تهتم بسياسة الشرق الأقصى ، ولا دولة تهتم بالصراع بين الشيوعية والديمقراطية في تلك الأرجاء . ومن وراء الشرق الاوسط كذلك سبعون مليون مسلم في الهند لا يضيع صوتهم هباء في سياسة تتعلق بالقارة الآسيوية . ومن وراء هذا كله عالم المسيحية التي لا يرضيها أن تسود دولة صهيون في أرض فلسطين وهذه كلها قوى عالمية لا تسقط من الحساب ، ولن يتجاهلها سياسي رشيد او غير رشيد إلى زمن طويل .

* * *

وإذا كانت الصهيونية قوة عالمية فالأمر الذي لا يغيب عن البال عند الموازنة بين هذه الأمور ان الصهيونية خطر عالمي محذور العواقب ، وليست فلسطين العربية خطراً عالمياً على أي اعتبار ينظر إليه الاصدقاء او الاعداء . فليس في بقاء فلسطين للعرب خطر يهدد العالم من قريب او بعيد . وليس قيام الدولة الصهيونية مأمون العواقب بأية حال .

* * *

من أجل هذا نعتقد اعتقاد اليقين ان المستقبل البعيد على الاقل في جانب العرب إلى النهاية . أما المستقبل القريب فلن يسفر عن نتيجة تخرج عن واحدة من هذه النتائج الثلاث :

دولة إسرائيل تقيمها دول العالم وتتفق على تعزيزها بالقوة العسكرية ولم يكن ذلك ميسوراً حتى الآن ، وليس في المستقبل ما يجعله أيسر مما كان .

او وطن عربي يعيش فيه اليهود ويستمتعون فيه بما يكفله لهم النظام والقانون ، وهو حل أقرب إلى التحقيق من قيام دولة إسرائيل .

فإن لم يكن هذا ولا ذاك فالحل الوحيد هو الحل الذي يصل إليه العرب والصهيونيون في ميدان فلسطين بعد انتهاء الموعد المضروب لوقف القتال .

إن التقدير الصحيح في جانبنا على كل فرض من الفروض ، لاننا نعمل مع الحق ومع الصواب ومع السّداد ، وفي ذلك بعون الله ضمان النجاح .

يالهـا من دولة [1]

نقض الصهيونيون شروط الهدنة ولم يعملوا بها ساعة واحدة في ميدان واحد من ميادين فلسطين .

ومن العبث ان نبحث عن غرض سياسي أو عسكري يتوخاه الصهيونيون من نقض هذه الشروط بعد قبولها ، إن كانوا قد قبلوها .

ومن العبث أيضاً أن نبحث عن حكمة مقصودة من عصيان جيش صهيون لحكومة صهيون ، إن كانت الحكومة المزعومة على رأي وكان الجيش المزعوم على رأي آخر كما يقال .

إن طبيعة الغدر والتمرد وحدها كافية لنقض شروط الهدنة أياً كان المرتبطون بها من « دولة إسرائيل » .

وإن أسخف السؤال لهو سؤال الذي يسأل : لأي حكمة مقصودة أو لأي غرض سياسي أو عسكري ينقض الغادر المتمرد عهوده ؟

ينقضها لأنه غادر متمرد ولا حاجة به إلى سبب آخر .

وليس تاريخ هؤلاء المتهوسين كله إلا تاريخ غدر وتمرد منـــذ كان لهم تاريخ معروف .

إن الشهادة في ذلك لشهادة التوراة والتلمود لا شهادة أحد من الغرباء عن الصهيونية والصهيونيين .

فليس في أسفار التوراة سفر واحد خلا من وصف هؤلاء المتهوسين بالعصيان

---

(١) الاساس ١٩٤٨/٦/١٤ .

والتمرد ونقض العهود وصلابة الرقاب وحب المخالفة واللجاج . بذلك وصفهم انبياؤهم من موسى الذي قال لهم « أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة » إلى يوشع الذي قال انهم « تعدوا عهدي الذي أمرتهم به بل أخذوا من أموالهم بل سرقوا بل أنكروا » .

وهكذا في سلسلة متواصلة إلى آخر الأنبياء من بني إسرائيل ، ولولا ضلال أصيل في طباعهم لما احتاجوا وحدهم إلى جميع هؤلاء الهداة !

إن تاريخ هؤلاء المتهوسين لعجب عاجب في هذه الخلة الرديئة المزمنة التي لا تفارقهم في عهد من العهود ولا في عقد من العقود .

فقد أقسم « يشوع » لخصومهم على المسالمة فثاروا عليه ، وجاء في الاصحاح التاسع من كتاب يشوع « ... ولم يضربهم بنو إسرائيل لأن رؤساء الجماعة حلفوا لهم بالرب إله إسرائيل . فتذمر كل الجماعة على الرؤساء » .

فاذا كان هذا شأنهم مع موسى ويوشع وسليمان وشعيب وحزقيل فمن يكون هذا الحايم أو هذا الغريون أو هذا الشرتوك حتى يطمعوا منهم في وفاء لم يقدروا عليه مع الأنبياء ؟

هذا إن صح ان رؤساء عصابة إسرائيل يريدون الوفاء بشروط الهدنة التي قبلوها ، ولم يكن شأنهم في الغدر وشأن أتباعهم سواء .

دولة تقوم بين الدول .

يا لها من اعجوبة معدومة النظير في زمان الأعاجيب .

من الذي يتكلم باسمها ؟ من الذي يحافظ على عهدها ؟ من الذي يحاسبها على نقض مواثيقها ؟

حكومة فيما زعموا تعترف بها دول محترمة ، ولا تدري هذه الدول المحترمة ما هو كيان تلك الحكومة المعترف بها ؟ وما هو نظامها ؟ ومن هو القائم بحفظ النظام فيها ؟ .

أملكية هي ام جمهورية ؟ ادكتاتورية هي ام دستورية ؟ من الذي يبرم معاهداتها؟من هم رعاياها ؟ ما هي قوتها العسكرية ؟ من الذي يحكم تلك القوة ؟ ومن الذي يصدر الأوامر اليها ؟ .

لو انها رواية هزلية من تأليف مخبول سقيم الوجدان لما بلغت في السخف هذا المبلغ ، ولما كانت نقائضها أعجب من هذه النقائض التي يحار فيها الخيال .

وهذه هي دولة إسرائيل التي تبرم معها عهود ويؤمن لها جانب وتقوم العلاقة بينها وبين حكومات العالم وشعوبه ، ويخيل إلى احد من الساسة انه يستطيع أن يجلس وكلاؤها مع وكلاء الأمم العربية في مجلس واحد للتفاهم والاتفاق ! .

ان الهدنة لم تكن من مرادنا ولا من مصلحتنا ، ولم نقبلها إلا لقطع الألسنة وإبراء الذمة ، وتجربة كل وسيلة يخطر على بال المخلصين من محبي السلام انها تجدي في معاملة الصهيونية .

ولكننا لو أردنا الهدنة عامدين مختارين لنصيب « دولة إسرائيل » في الصميم من مقاتلها لما استطعنا ان ننال منها بعض ما ناله بأيديهم هؤلاء المتهوسون لغير حكمة مفهومة ولغير قصد معقول .

فان نقض الهدنة من جانبهم حقيقة واقعة لا بد من ثبوتها .

ونقض الهدنة لا معنى له إلا ان « دولة إسرائيل » دولة عاجزة أو دولة غادرة لا يقوم بينها وبين جيرانها ، ولا غير جيرانها ، عهد مرعي أو معاملة مأمونة .

فماذا كسب الصهيونيون بهذه الحماقة ؟

إن الآفة كلها ان يبحث الباحثون عن غرض مقصود لأعمال هؤلاء المتهوسين في مجال الحرب أو مجال السياسة .

فانما هم فريسة مرض دفين ، وفي هذا المرض الدفين وحده تفسير لهذه الحماقات التي تفهم غاية الفهم إذا نظرنا إلى بواعثها ولا تفهم على وجه من الوجوه إذا نظرنا إلى غاياتها وأغراضها .

ومن التشريف للصهيونيين ان يظن بهم انهم يخدمون بني إسرائيل اويخدمون قضية من القضايا القومية كائنة ما كانت .

فانما هو شر مكظوم يلتمس له مصرفاً يندفع فيه ، ولا يزال يتخبط بصاحبه

كما يتخبط كل متهوس بكل ضرب من ضروب الجنون ، حتى يعطب به أو يبرأ منه ، ولا معدى له قط عن عاقبة من العاقبتين .

وإذا كان حقاً على العرب أن يبرزوا هذه الحقيقة لمن لا يزال في عمى عنها ، فلعله من الحظ الحسن ان الصهيونيين من جانبهم لا يقصرون في ابرازها ، ولا يزالون بالعالم حتى يلمسها ولا يستطيع التحول عن رؤيتها .

ساعدهم الله !

لا على الماضي

ولا على الحاضر فعلام يبنون المستقبل ؟ (١)

عندما نستمع إلى أقوال الساسة الاعلام. ساسة اوربة وامريكا الذين حكّموا انفسهم بأنفسهم في قضية فلسطين ، يخيل الينا ان القوم قد تعاهدوا على ان يغمضوا اعينهم عمداً عن كل حقيقة من حقائق الماضي ، وكل واقعة من وقائع الحاضر ، وراحوا بعد ذلك ينشئون المستقبل كله خبط عشواء ، ويحسبون انهم واصلون من هذه الطريق إلى حل « موفق سعيد » يحسن السكوت عليه !

* * *

ان هؤلاء الساسة الإعلام يحسبون — او يقولون انهم يحسبون — ان الصهيونيين لا يطمعون في اكثر من البقعة التي ظفروا بها في قرار التقسيم ، وانهم متى استقروا هناك أمنوا فيها ، وأمن الذين من حولهم عاقبة مكرهم ، وأمن العالم كله من شر هذه القضية إلى آخر الزمان !

لكن الصهيونية نفسها تنتمي إلى صهيون .

وليست صهيون واقعة في حدود الارض الاسرائيلية التي اعترف بها قرار التقسيم .

بل هي واقعة في صميم بيت المقدس القديم .

---

(١) الاساس ١٦/٦/١٩٤٨ .

وهي قديماً مقر القلعة التي كان يقيم فيها الملك داود ، وإلى جانبها الهيكل الذي بناه الملك سليمان .

وصهيون هي عنوان الحركة كلها .

وهيكل سليمان هو بيت القصيد .

فكيف يخطر على بال هؤلاء الساسة الاعلام ، ان الصهيونيين لا يطمعون في صهيون ، ولا ينظرون إلى بناء الهيكل من جديد ؟

وكيف يخطر لهم انهم سيعيشون مع جيرانهم في سلام ، وينسون انهم صهيونيون لم يجتمعوا ولم يتحركوا ولم يبذلوا كل مابذلوا من جهد ومال وشرف إلا من اجل صهيون ؟

انما يخطر هذا وامثاله للساسة الاعلام لأنهم أغمضوا اعينهم عمداً عن الماضي ، واغمضوا اعينهم عمداً عن الحاضر ، ونظروا إلى المستقبل البعيد والقريب وهم مغمضون . فلم يبصروا شيئاً ، وهيهات يبصرون .

* * *

ويخيل الى هؤلاء الساسة الاعلام فجأة انهم يحتكمون الى الماضي حين يقولون برجعة بني إسرائيل إلى أرض فلسطين .

ويخيل اليهم ان العرب دخلاء على فلسطين ، وان ابناء إسرائيل هم ابناء البلاد الاصلاء .

يخيل اليهم ذلك لأنهم يتوهمون كما قال لهم اليهود ان العرب فتحوا فلسطين بعد قيام الدعوة الاسلامية ، ولم يكن لهم وجود فيها قبل بعثة محمد عليه السلام .

ومن المؤسف ان دعاة الصهيونية قد نجحوا في ترويج هذه الخرافة حتى صدقها الكثير من الاوربيين والإمريكيين .

بل نجحوا فيها حتى صدقها اناس من العرب انفسهم ، فسمعنا منهم من يقول في امريكا ان شأن اليهود في فلسطين كشأن الهنود الحمر في القارة الامريكية . فاذا وجب ان تعود فلسطين إلى من كانوا فيها قبل الفتح العربي وجب ان تعود امريكا الى قبائل الهنود التي كانت تسكنها قبل كولمبس وقبل هجرة المهاجرين اليها من

البلاد الاوربية .

لكن الواقع ان القصة كلها خرافة ينقضها التاريخ ، بـــل تنقضها نصوص التوراة التي يؤمن بها اليهود .

ففي التوراة ان العبرانيين وفدوا من العراق الى فلسطين فوجدوا فيها ابناء البلاد الاصلاء ، وهم الكنعانيون .

وليس الكنعانيون الا سلالة عربية يدل عليهم اسم ارض « كنعان » بمعنى البلاد المنخفضة .

ولا تزال مادة « كنع » وخنع وقنع في معجمات اللغة العربية التي نتداولها اليوم ، تفيد معنى الهبوط والانخفاض .

فالعرب اسبق الى فلسطين من اقدم القادمين اليها من قبائل اليهود المهاجرين من العراق .

وليس لأبناء اسرائيل حق فيها بحكم التاريخ القديم ، ولا بحكم الهجرة الحديثة التي لا تقوم على اساس ، ولا يقبلها ابناء البلاد .

* * *

ومن طرائف الشواهد التاريخية على ألسنة الساسة الاعلام ان مستر بيفن وزير الخارجية البريطانية خطب في شفيلد فقال : انه من المستطاع أن يحل العرب واليهود مشكلة فلسطين ويعيشوا في سلام ، لأنهما شعبان ينتميان الى عنصر واحد هو العنصر السامي ولا يختلفان في شيء سوى الدين ، ومن الضروري ان يجدا حلا لمشكلاتهما ويعيشا معاً في وئام .. » .

والبلوى كلها في الشواهد التاريخية على هذا المنوال .

فان اسلاف الصهيونيين لم يختلفوا مع احد قط كما اختلفوا مع انفسهم ومع اقرب الاقربين اليهم .

تمردوا على العرب قبل اربعة آلاف سنة وهم ساميون فخرجوا من الجزيرة العربية ، وتمردوا على البابليين وهم ساميون ينتمون الى « باب ايل » فخرجوا من العراق ، وأغاروا على الكنعانيين فطردهم الكنعانيون الى مصر ، وعادوا الى كنعان فاختصموا فيما بينهم وانقسموا بين مملكة شمال ومملكة جنوب ، ولا

يزال تاريخهم كله كما تدل عليه كتبهم المقدسة تاريخ التحاسد بين الاخ واخيه والاخت واختها ، او تاريخ الشحناء والبغضاء بين بني العمومة من القبائل والاسباط ، ولم تجمعهم جامعة في يعقوب ، ولا جامعة في ابراهيم ، فكيف تجمعهم مع العرب جامعة في سام بن نوح من قبل الطوفان او بعد الطوفان .

ان الصهيونية ليست عصبية في وجه العرب ، ولكنها عصبية في وجه العالم كله ، لانها تقوم على ان الصهيونيين وحدهم شعب مختار ، وان العالم كله شعب غريب يسمى باسم « الجوييم » .

وما لم نبطل هذه الخرافة كل البطلان فلا راحة للعرب من الصهيونية ولا راحة منها للعالم في شرقه وغربه ، بل لا راحة للصهيونيين انفسهم لو كانوا يستريحون ويريحون .

وليس المطلوب من العرب ان يعيشوا مع الصهيونية في سلام لانهم لايطلبون شيئاً منها ، ولكن المطلوب من الساسة الاعلام ان ينظروا الى الماضي وينظروا الى الحاضر ويعلموا انهم لا سلام لهم في المستقبل القريب ولا في المستقبل البعيد اذا بقي للصهيونية معناها الوحيد : ومعناها الوحيد انها تطمع في فلسطين وما وراءها ، وان الخطر منها طاغ لا محالة على القارات الثلاث التي يتوسط بينها شبح الدولة الاسرائيلية. ولا امان من هذا الخطر الا بالقضاء على خرافة صهيون قبل ان تتعلق بها آمال لن تنتهي أبداً الى سلام .

ماذا كان يُراد بنا ؟[1]

لا ندري كيف كان يمكننا ان نتنبه الى مدى الخطر الجسيم الـــذي كان محدقاً بمصر من داخلها لولا معارك فلسطين ولولا الاحكام العرفية التي أتاحت للحكومة المصرية ان تشدد الرقابة على الخطرين والعابثين بأمن البلاد ونظامها الاجتماعي ومصالحها الوطنية .

ان هذه الرقابة قد كشفت للغافلين منا في ايام معدودات عن ارض ملغومة نعيش فوقها ولا ندري متى تتفجر تحت اقدامنا . فالاسلحة والذخائر التي ضبطت عند بعض المراقبين من الخطرين تفوق كل حاجة فردية يمكن ان يتعلل بها اولئك الخطرون . وهم في الواقع لا يحتاجون الى السلاح والذخيرة افراداً متفرقين اذا ارادوا أن يعيشوا في هذا البلد كما يعيش غيرهم من الافراد . والى جانب السلاح والذخيرة أوراق سرية تدل على تواطؤ شديد مع الصهيونية في كل حركة من حركاتها العدوانية ضد هذه الامة وضد كل امة عربية . والى جانب هذا وذاك اوراق ومنشورات تدل على تواطؤ شديد مع الدعوات الهدامة التي تعمل على تقويض المجتمع المصري من اساسه ، واختلاق اسباب القلق والفتنة بين جميع طبقاته . والى جانب كل هذا اناس منبثون بين المرافق العامة التي تتوقف عليها سلامة البلاد .

طابور خامس كامل العدة يعمل في أمان ، بل يتمتع احياناً بحماية القانون والنظام ، ليهدم كل دعامة من دعائم القانون والنظام .

---

(١) الاساس ١٨/٦/١٩٤٨ .

أي خطر يستهدف له هذا البلد مع بقاء هذه الجراثيم القاتلة بين احشائه ، قادرة على الفتك آمنة من الرقابة ؟

وأي خطر ينجو منه هذا البلد لو قامت في الشرق القريب دولـــة مستقلة تسخر هذا الطابور في خدمة مطامعها ؟

منذ أعوام مضت لجأت هذه الامة إلى مقاطعة البضائع الانجليزية فاحتجنا إلى البحث عما يغني عنها من البضائع الألمانية . فاذا هي قد اختفت من الأسواق!

أين ذهبت ؟ وكيف انقطعت مع تجدد الحاجة اليها ؟ انهـــا انقطعت لأن السماسرة من هؤلاء الخطرين الذين يعملون لحساب الصهيونية العالمية قد حكموا عليها بالمصادرة وتعقبوا كل من يجسر على استيرادها بالمحاربة والتهديد .

حكموا ونفذوا . واستطاعوا ان يفعلوا ذلك وليس في أيديهم من أسباب النفوذ غير السمسرة والوساطة بين التجار . وعرفنا يومئذ ان هؤلاء السماسرة — بغير دولة وبغير مساعدة حكومية او مساعدة علنية معترف بهـــا — كانوا يستطيعون ان يخربوا كل متجر يعرف طريقاً لاستيراد البضائع غير طريقهم ، أو يعتمد على أحد غيرهم في المعاملات التجارية بغير إذن منهم .

سماسرة فقط لا اكثر ولا اقل . فكيف إذا عمل هؤلاء السماسرة ومن ورائهم ذلك الطابور الخامس بما يملك من الاسلحة والاموال ، وما يسخره من عناصر الشغب والفتنة وتحريض عمال هذا المصنع او ذاك على الاضراب والتخريب ؟

وكيف إذا عمل هؤلاء جميعاً ومن ورائهم دولة مستقرة في فلسطين بـــين القارات الثلاث ؟

وأية دولة ؟ دولة تخدمها السمسرة العالمية ويخدمها الجنيه والدولار . دولة تتصل بها المصارف والشركات وتطلع على اسرار المتاجر والمصانع والاسواق . دولة لها في كل بقعة من بقاع الشرق مئات من الجواسيس ، ومئات من الدعاة ومئات من الشركاء في منافع الاستغلال .

اي استقلال يبقى لهذا البلد مع قيام هذه الدولة على مقربة منه ، واي حرية تبقى له في شئونه الاقتصادية او السياسية ؟ وأي بلاء لا يهدده في نظامـــه الاجتماعي كلما طاب لتلك الدولة ان تشغله بفتنة او ترغمه على مطلب من المطالب؟

إن الذين يحسبون بالارقام ، ويظنون ان الحكمة كلها حساب بالارقـام ، يستطيعون الآن ان يحسبوا .

ان الذين جاهدوا في سبيل الخلاص من الاحتلال البريطاني يستطيعون الآن ان يقدروا ضخامة الجهاد الذي يواجهنا به هذا الخطر الجديد .

انه خطر بغير احتلال ، لأن الطابور الخامس يغنيه عن جيوش الاحتلال .

انه خطر بغير سيطرة حكومية ، لانه يكمن في احشاء الامة ويثيرها على حكومتها ، ويسخر الامة والحكومة معاً فيما يرضيه .

وعندنا مع ذلك حكماء ينامون او يتناومون عن هذا الخطر ، ويشيرون على الامة بأن تنام عنه ملء عينيها وهم متكفلون بالبقية !

بل عندنا حكماء كانوا يستكثرون الاحكام العرفية في الرقابة على هـــذا الخطر وهو يعمل سراً وعلانية من وراء جيش مصر والجيوش العربية .

وقانا الله من خطر الصهيونية .

ووقانا الله من خطر الحكمة .

فلا ندري والله ايهما احق بالاتقاء .

خرجوا «مأزورين»

غير مأجورين (١)

منذ يومين خرج من ميناء حيفا آخر جندي من جنود الدولة البريطانية ، دولة الانتداب على فلسطين .

بماذا شيع الصهيونيون دولة الانتداب ؟

لكي لا ينسى القوم ، ولكي يتذكروا فتنفعهم الذكرى يجب ان نسأل اولا : كيف استقبلوا دولة الانتداب ؟

انهم حين اعلن الرئيس ترومان اعترافه بدولتهم قبل بضعة اسابيع قضوا ليلتهم في نيويورك يرقصون ويهللون ، وتجاوبت اصواتهم بالفرح في انحاء العالم كله . ان هذه الفرحة لم تكن شيئاً مذكوراً إلى جانب فرحتهم بصك الانتداب البريطاني قبل ثمان وعشرين سنة . غرقت حكومة لندن يومئذ في سيل من البرقيات التي تعلن لها الشكر والولاء من شعب اسرائيل . وانعقدت مؤتمراتهم تؤيد هذا الشكر وهذا الولاء . واعلن زعماؤهم انهم لن ينفصلوا عن جامعة الامم البريطانية . ورقصوا وطربوا وشربوا الانخاب في صحة بلفوو وقوم بلفور . ثم تولى البريطانيون حكومة الانتداب فعلا في جميع انحاءفلسطين فصنعوا للصهيونيين ما لم يحلموا به في تاريخهم كله،وأعطوهم فوق ما وعدوهم،

---

(١) الاساس ١٩٤٨/٧/٢ .

لأنهم وعدوهم ان ينشئوا لهم وطناً قومياً دون الاخلال « بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين » . ولكنهم تجاوزوا ذلك فتركوا الصهيونيين يخلون بجميع تلك الحقوق . اطلقوا ايديهم في شراء الاراضي الزراعية وغير الزراعية ، وضيقوا على العرب ليكرهوهم على بيع الارض والجلاء عنها . فتحوا لهم أبواب الهجرة حتى اصبح عدد اليهود في فلسطين قبيل انتهاء الانتداب عشرة أضعاف عددهم عند بدء الانتداب . عينوا لفلسطين حاكماً عاماً من اليهود . أسلموا الوكالة اليهودية زمام الحكم في البلاد، فلم يكن للحكومة البريطانية مرجع غيرها في اختيار الموظفين وتنفيذ القوانين تركوهم ينشئون القلاع والحصون في شمال البلاد وجنوبها ظاهرة ومستورة كأنهم في ميدان قتال . زودوهم بالسلاح وباعوهم منه ما باعوا ، ووهبوا لهم منه ما وسعهم أن يهبوه . صنعوا لهم ما لم يكن في استطاعتهم أن يصنعوا أكثر منه للانجليز من صميم الجزر البريطانية لو كان الانجليز هناك في موضع اليهود .

والآن

لقد استقبلوهم أمس بالفرح والتهليل

فكيف يودعونهم الآن ؟

نوجز الجواب فنقول : إن الصهيونيين الآن لو خيروا في مدينة واحدة من مدن الكرة الأرضية ينسفونها نسفاً ويجعلون عاليهاسافلها لما اختاروا مدينة غير العاصمة الانجليزية .

ولا يجهل انجليزي واحد هذه النية من جماعة الصهيونيين اليوم، بل نحسبهم قد علموها قبل نهاية الانتداب ؟ بل قبل التفكير في التخلي عن الانتداب بسنوات.

ومن أضاحيك الجد أنني سألت يهوديا بعد نسف « هيروشيما » أتريد بيضة من هذا البيض الذي تكفي الواحدة منه لتدمير مدينة كاملة ؟ قال : ولم لا ؟ قلت . وماذا تصنع بها ؟

سألته هذا السؤال ولا يخطر لي على بال إلا انه سيقول : انه ينسف بها برلين، أو ينسف بها معقلا من معاقل العرب المعارضين للصهيونية . فما راعني إلا انه يجيب في غير تردد ولا روية : ابيعها !

وذهبت يومئذ إلى فلسطين وقصصت القصة على جماعة فيهم بعض الانجليز ، وأخذت أسرد أسماء المدن التي خطر لي انهم يختارونها للنسف بالقنبلة الذرية فاذا بواحد من الانجليز يقاطعني قائلا : كلا ، لا تقل برلين ، بل قل لندن ، فهي أول هدف يخطر للقوم في هذه الأيام .

وما شأن واشنطون ؟ وما شأن نيويورك نفسها وفيها ما فيها من عصابات الصهيونيين ؟

ليست نيويورك اليوم بأعز على الصهيونيين من عزة لندن قبل ثلاثين سنة ، ولن يحتاج الأمر إلى ثلاثين سنة ، ولالثلاثين شهراً ! لنسمع صيحتهم عليها كما سمعنا صيحتهم على دولة الانتداب ، قبل نهاية الانتداب .

فلينصروهم إذن كما شاءوا . لينصروهم ولينتظروهم ، فلن يخيبوا ظنهم في كنودهم بعد انتظار يقصر او يطول .

* * *

في أعقاب الشهر الماضي جاءت الأنباء بنشوب الفتنة بين عصابة بن غريون وعصابة ارجون او عصابة شتيرن في شوارع تل أبيب . وسمع بالنبأ بعض أصحابنا من العرب فقالوا انها مناورة واصطناع .

كلا ، ولا كل هذا . فمهما يبلغ من سوء الظن بالقوم فشيء واحد لا يساء بهم الظن فيه وهو استعدادهم الدائم للخصام والانقسام . فما كانت لهم من صناعة قط في تاريخهم كله غير صناعة الحقد واللجاجة والشكاسة والخصام. بذلك وصفهم تاريخهم القديم ، وبذلك وصفهم تاريخهم الحديث ، وبذلك وصفهم القرآن الكريم حيث قال : « بأسهم بينهم شديد ، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » .

وبالأمس القريب فقط عقدوا مؤتمرهم التقليدي في سويسرة فتضاربوا فيه بالأكف وتماسكوا بالتلابيب .

كلا ، إنها صناعة عندهم لا تحتاج إلى اصطناع . فما يتفقون على رضى ، وما يجتمعون على شكر او ولاء . وسينصرهم من ينصوهم اليوم وهم يجهلون ما يصنعون . فلينصرهم من يشاء ، ولينتظر منهم « حسن » الجزاء . إنهم راجعون عنهم لا محالة في آخر الأمر « مأزورين » غير مأجورين ولا مشكورين إلى يوم الدين .

لو كانوا يخلصون (١)

لو كانت هذه الدول الكبيرة تخلص في طلب السلام حقاً لعرفت من حملة فلسطين حقائق كثيرة ترسم لها الخطة الوحيدة التي تحفظ السلام في بلاد الشرق الأدنى ، وتحفظ السلام من ثم في جميع أنحاء العالم .

فقد كشفت حملة فلسطين عن حقائق عدة لا يماري فيها احد ممن راقبوها وفهموا دلالتها بمعزل عن الغرض وسوء النية . وقد كانت كلها مكشوفة لمن شاء أن يرقبها ويفهم معناها .

فمن هذه الحقائق ان الدول العربية قوة عسكرية يعتمد عليها كل الاعتماد في الدفاع عن الاقليم الذي تشغله من الكرة الأرضية . فهي القوة الإقليمية المنشودة في هذه البقاع . وهي على حداثة عهدها بالاستعداد قد استطاعت في مدى اسبوعين ان تكبح عدواً مستعداً للعمل العسكري في عقر داره منذ سنوات . استطاعت في مدى اسبوعين ما لم يستطعه المارشال أللنبي وجيوش الحلفاء في بضعة شهور . نعم إن المارشال أللنبي كان يحارب في جبهة فلسطين جيشاً كان من قادته مصطفى كمال بطل الترك المشهور . ولكن يضاف إلى ذلك ان الأرض التي كان يقتحمها لم تشتمل على قلاع فوق الارض وقلاع تحت الارض كتلك القلاع التي بناها الصهيونيون في أنحاء فلسطين من الشمال إلى الجنوب. ويضاف اليه أيضاً ان جيوش الحلفاء وعتادهم كان أكبر من جيوش العرب وعتادهم بكثير ، و كانت

(١) الاساس ١٩٤٨/٧/٥ .

حريته في العمل أوسع من الحرية التي يشعر بها المقاتلون مـــن العرب ، وهم محاطون بالدسائس الدولية في كل سبيل .

ومن الحقائق التي كشفت عنها حملة فلسطين ان الأمم العربية هيئات محترمة يمكن التعامل معها والاعتماد على وعودها . بل يمكن التفاهم معها لمصلحة السلام في العالم ولو كان هذا التفاهم في غير مصلحتها . فقد قبلت وقف القتال أربعة أسابيع . ولو انها مضت في القتال خلال هذه الأسابيع الأربعة لقضت على خصمها أو وضعته في الموضع الذي لا يقوى فيه على شيء .

وقد قبلت وقف القتال وهي تخلص النية في الوفاء بشروط الهدنة كما قبلتها ، ولم يحدث قط في خلال ذلك انها خالفت عهداً ، او اعتذرت بعصيان احد من أتباعها وتصرفه في الامربغير مشيئتها . فهي هيئات محترمة تصلح للتعامل معها والاعتماد عليها في محيط السياسة الدولية والخطط العالمية .

وهي من الوجهة العسكرية ، ومن الوجهة السياسية ، اهل لأن تتولى الامر في أقاليمها ، وان تكفي هيئة الامم المتحدة مؤونة اتقاء الخطر على هذه الاقاليم وظهر من حملة فلسطين ان الجامعة العربية سد منيع في وجه كل مذهب هدام وكل دعاية تناقض مباديء الانسانية وقواعد السلام .

ظهر هذا في الوقت الذي ظهر فيه ان الصهيونية في اوكارها لغم مشحون بكل مادة من مواد الفتنة والشغب والدس والتمرد والايقاع ، وانها – وهي لم تملك شيئاً – تشعل النيران بين الامم ، ويتجه كل فريق منها إلى جبهة من الجبهات الدولية للايقاع بين الجميع ، وانها لا تسالم احداً من جيرانها ، ولا تعرف السلام بينها وبين أبنائها ، فضلا عن سلام تعمل له بين الأنصار والخصوم .

وليس بأقل الحقائق ولا آخرها تلك الحقيقة البارزة التي لا تزال تتجلى في كل شأن من شؤون الجامعة العربية التي تتعلق بأعضائها ، فلا خلاف على المسائل المشتركة بينها . وإذا تعددت وجهات النظر امكن التقريب بينها حتى تتلاقى على رضى ومودة بين أعضاء الجامعة كلها ، وان كانت المسألة المعروضة مـــن أخطر المسائل واصعبها على الحل حين تعرض لطائفة اخرى من الامم .

فهذه امم الكتلة الغربية . وهذه امم الكتلة الشرقية . وهذه امم اوربـــة

وامريكا التي تختلف بينها على امور تخصها ، ولا علاقة لها بالوجهة التي تتجه اليها كل من الكتلتين .

بل هذه هيئة الامم برمتها في جميع مشكلاتها ومباحثها لم تكد تنتهي في مسألة واحدة إلى مثل هذا الوفاق الذي تنتهي اليه امم الجامعة العربية في جميع المسائل وجميع المناقشات .

فطريق السلام بـيّن ، وطريق الخطر بـيّن .

فماذا صنعت هذه الدول الكبرى التي وكلت نفسها بحراسة السلام في العالم، واقامت نفسها للحكم على امه والوساطة في مشكلاته ؟

عدلت عن طريق السلام الوحيد الى طريق الخطر الوحيد ، وجاءت إلى هذا الركن الآمن من الارض فأبت إلا ان تدس فيه شرذمة من الأفاقين ينذرون بالخطر في كل علاقة لهم وكل امل وكل تدبير . ينذرون بالخطر في العلاقة بين كل عصابة منهم وعصابة اخرى، وينذرون بالخطر في العلاقة بينهم وبين جيرانهم من جميع الجهات . وينذرون بالخطر في العلاقة بين الامم الكبرى . ويقال لهم شأنكم وما تريدون . ويقال للعرب كفوا عن العمل ، وان كان العرب لا يطلبون منهم الا ان يتركوهم يعملون ، ولا يتجاوزون في عملهم حداً من الحدود المشروعة التي يلتزمها كل شعب كريم .

أفي الحق خفاء ؟

كلا ، ليس به من خفاء ، فلعلهم يبصرون ، ولعلهم يخلصون .

الوسيط الحاسم [1]

لقد أبلغ العرب عذراً ،

ولا شك ان الساسة الغربيين قد عرفوا ذلك لو انهم أرادوا ان يعرفوه . فانهم ليعلمون ان الامم العربية قبلت الهدنة ، وانها لم تقبلها لأنها خدمة لها ، ولا لأنها كانت في حاجة اليها .

فقد كان المضي في القتال انفع للامم العربية وايسر عليها من وقف القتال . ولكنها قبلت الهدنة لانها أرادت ان تقطع كل حجة ، وان تعطي كل فرصة ، وان تثبت ان الحل الوحيد لقضية فلسطين هو إرغام الصهيونين على قبول الحل الوحيد ، وهم لا يقبلون حلا من الحلول وهم مختارون .

ويمكن ان يقبل الصهيونيون اقل مما يطمعون فيه ، ولكن هل يمكن ان يقبل العرب اقل مما طلبوه . فما هو هذا الشيء الذي يمكن ان يقبلوه ؟ انهم يطلبون ان تبقى فلسطين ويبقى من شاءفيها من ابناء فلسطين اليهود، ويتجاوزون ذلك فيقبلون من هاجر اليها وعاش فيها آمناً مأمونا كما يعيش سائر الرعايا في الامة الواحدة. هذامايطلبه العرب و كل ما دونه فهو قضاء على فلسطين بالتمزيق العاجل ، وقضاء عليها بالضياع في وقت قريب . وقد تمكن الصهيونيون في بضع وعشرين سنة من اغتصاب ما اغتصبوه من ارض فلسطين وهم محكومون ، فاذا حكموا بعد اليوم فلا حاجة إلى بضع وعشرين سنة لالتهام مـــا بقي منها ، ولا

---

(١) الاساس ١٩٤٨/٧/٩

نهاية مـــن ثم للخلاف الذي يزعم الساسة الغربيون انهم يريدون ان ينتهي ، ويعرضون ما يعرضون من الحلول لحسمه ومحو اسبابه ومنع تجديده .

فاذا كان الصهيونيون لا يقبلون حلا من الحلول كائناً ما كان وهم مختارون طائعون . وإذا كان العرب لا يستطيعون ان يقبلوا دون ما طلبوه . فلماذا لا يتركهم هؤلاء الساسة الغربيون يفضون مشكلتهم فيما بينهم ويلجأون إلى الحل الحاسم الوحيد ، وهو حل السلاح ؟ انهم يخافون على السلام !! اي سلام ؟ وممن يخافون عليه ؟ يخافون عليه من انفسهم . يخافون عليه من النزاع فيما بينهم . يخافون عليه من مناوراتهم وأحابيلهم ومطامعهم وسوء تدبيرهم . ولا خطر على سلام العالم من غير هذه الآفات . وهذه الآفات لن تقضي عليها حـــلول قضية فلسطين أياً كانت هذه الحلول ، لأنها آفات باقية متأصلة في السياسة الغربية ، لا تتوقف على قضية فلسطين وحدها ، ولا تعدم بعد قضية فلسطين ألف قضية من قبيلها ، ما دامت المطامع هي المطامع ، وما دام سوء التدبير هو سوء التدبير .

ومن المحزن حقاً ان تبلغ سياسة العالم من السخف ما لا تبلـــغه اضاحيك الأطفال . فقد كان الناس يضحكون إذا سمعوا حديث الطفل الذي طلب من أمه أن تأخذ معها شيئاً من الحلوى لأنه ينوي ان يبكي في الطريق ! هذا مضحك من طفل صغير ، ولكنه إذا سمع من ساسة العالم الفخام فهو الحزن جد الحزن والبلاء أفدح البلاء . وماذا يقول هؤلاء الساسة الفخام غير هذا حين يوصون بتلك الحلول خوفاً على قضية السلام ؟ اقبلوا هذه الحلول لأننا نخشى ان نتنازع بيننا ، ونخشى أن يطمع بعضنا في بعض وأن يأكل بعضنا بعضاً ، ولا نملك الوفاق ولا نهتدي يومئذ إلى حل من الحلول . وهذا هو الخوف على سلام العالم مـــن قضية فلسطين ! هو خوف الساسة الفخام من أنفسهم ، وخوفهم من النزاع فيما بينهم ، وظن باطل منهم يظنونــه إذا خطر لهم ان التسليم للصهيونية في فلسطين يفض الإشكال ويحسم النزاع. فالواقع انه يوقع الدنيا في إشكال لانهاية له بين الصهيونيين والعرب ، وبين الصهيونيين وأنفسهم ، وبين كل دولة ودولة اخرى لها علاقـــة بالعرب أو علاقة بالصهيونيين ، أو علاقة بالشرق القريب على العموم .

وإنما الحل الوحيد الذي يريح الساسة الغربيين أنفسهم هو الحل الذي عول

عليه العرب اليوم . هو حكم السيف دون غيره ، لأنه دون غيره الحكم الذي يعنو له الصهيونيون راغمين .

فليمض السيف ، وليفعل الله ما يشاء . وان العرب لمطمئنون إلى مشيئة الله وعدالة الله . فانهم لا يضمرون كيداً ولا يبغون على أحد . وإنهم ليدفعون عن أنفسهم شراً لم يجلبوه . وانهم ليعملون لصلاح انفسهم وصلاح العالم ، وصلاح الصهيونيين أنفسهم ، لو كان الصهيونيون يعقلون. ومن عمل لذلك فلن يخذله الله.

وإن في استئناف القتال في أول شهر رمضان لبشير بحسن العاقبة ، واقتراب النهاية فيه . نهايته إن شاء الله عيد يحتفل به العرب منتصرين .

إلى أين يذهبون [1]

اقوى دعاية يعتمد عليها الصهيونيون في دعايتهم بين الأمم الغربية ، وامم أمريكا الشمالية والجنوبية على الخصوص ، هي دعامة الجهل المطبق بكل شيء يتعلق بالصهيونية . جهل مطبق بتاريخ اليهود ،وجهل مطبق بحقيقة الأحوال في فلسطين ، وجهل مطبق بأغراض الصهيونية من إنشاء « الوطن القومي ،في ارض الميعاد المزعوم . جهل مطبق لاينحصر في طبقات الدهماء وأشباه الدهماء ،بل يشمل كثيراً من المتعلمين وأشباه المتعلمين . وربما كان هناك أناس من المتعلمين الذين عرفوا شيئاً عن تاريخ اليهود ، وشيئاً عن حقائق الأحوال في فلسطين ، ولكنهم لا يحضرون ما عرفوه على بالهم : لأنهم لا يكترثون به ولا يجدون من مزاولات حياتهم اليومية ما يضطرهم أن ينظروا اليه نظرة مراجعة واستقصاء .

مثال ذلك ضابط من هؤلاء كان يقاتل في ميادين الشرق الأدنى ، وكان على ما يظهر يمقت القتال ويمقت من أجله هذه الميادين التي يقاتل فيها ، فكان يقول على مسمع من بعض الشرقيين : لا خير في الشرق ولا خير من الشرق يرجى . فقال له بعض سامعيه : ولكنك مسيحي . ألست كذلك ؟ قال : بلى . وماذا في هذا ؟ قال محدثه : فيه انك نسيت موطن السيد المسيح الذي تنسب اليه ، فانه من مواليد هذا الشرق الذي تجرده من الخير . فلاح عليه كأنه فوجيء بخبر لم يسمع به من قبل . وقال : صحيح ، ولكنه غاب عن بالي حتى الآن .

---

(١) الاساس ١٩٤٨/٧/١٠ .

فالغربيون في مسائل هذا الشرق بين جاهل وعارف ، ولكن عـارفهم كجاهلهم في السهو عن حقائق الأمور .

على هذا الجهل ، أو على هذا العلم الذي يشبه الجهل ، يعتمد الصهيونيون في الترويج لدعوة الوطن القومي في فلسطين . فهم يستدرون عطف الغربيين بتصوير الشدائد التي يتعرضون لها في كل مكان ، وتصوير فلسطين كأنها المأوى الوحيد الذي يعصمهم من هذه الشدائد ، ويتيح لهم في ربوعها حياة الحرية والسلام .

ما هي فلسطين ؟ وكم من الملايين الطارئين تتسع لهم ارض فلسطين .

لو كان بين العاطفين على القضية الصهيونية في فلسطين اناس يسألون انفسهم على هذا المنوال لعرفوا من اللحظة الأولى ان الصهيونية تخدعهم عـن حقيقة أغراضها ، وان العرب على حق حين يثورون على ذلك الوطن القومي المزعوم . فان عدة اليهود في العالم نحو ستة عشر مليونا ، يقيم منهم سبعة ملايين في بلاد لا يريدون الهجرة منها ، كالولايات المتحدة وبريطانيا العظمى واوربة الغربية. فاذا بقي منهم تسعة ملايين ، وكان المقصود ان تتسع فلسطين لنصف الملايين التسعة ، فليس في فلسطـين متسع لهؤلاء ولا لنصف هؤلاء . إلا ان يكون الغرض هو السطو على ما جاورها من البلاد ، وخلق المشكلات التي لا نهاية لها في رقعة من الأرض ترتبط بالسياسة العالمية أوثق ارتباط ، لأنها تقع عند ملتقى القارات الثلاث .

وإذا كان الاضطهاد هو مبعث القضية الصهيونية من اساسها كما يقولون ، فالحل الصحيح لهذه المشكلة هو البحث عن الأسباب التي تعرض اليهود للاضطهاد في كثير من البلدان ، ثم البحث في إزالة هذه الأسباب . هذا هو الحل المعقول . اما ان يصبح الاضطهاد أساساً معترفاً به لحل المشكلات على حساب اهل فلسطين فليس هو بالحل المعقول ، ولا هو بالحل الدائم ، ولا هو بالحل الذي يشرف اعداء الاضطهاد وعشاق المباديء الانسانية .

ولكن الواقع ان الصهيونيين لا يطلبون مكانا يستريحون فيه من الاضطهاد ، ولو انهم طلبوه لوجدوه وذللوا عقباته وعاونهم على تذليلها اصحاب الشأن فيه ، ولم يلجأوا هنالك الى انتزاع شبر من الأرض من إنسان . فقد عرضت فرنسا

عليهم مساحة واسعة في جزيرةمدغشقر. وعرضت عليهم روسيا مساحة اوسع منها في بيروبيجان . وقال الخبراء ان كولومبيا البريطانية ووادي نهر يوكن فيهما متسع لعشرين مليونا من السكان . وأشار عليهم الدكتور ستنبرج – وهو يهودي يبحث عن وطن حر لليهود – بالهجرة الى الفضاء الخصب في كمبرلي من استراليا الغربية . ووافقت حكومة استراليا الغربية على اقتراحه ، كما وافق عليه مؤتمر نقابات العمال في جميع البلاد الاسترالية . وعندهم ارجاء واسعة في افريقية الجنوبية ، وأرجاء واسعة في اقاليم الولايات المتحدة ، وارجاء اوسع من هذه وتلك جداً في البرازيل ، حيث لا يزيد السكان اليوم على سبعة واربعين مليونا، وهي تتسع مع التعمير والاصلاح لأكثر من اربعمائة مليون ، يعملون في الزراعة واستخراج المعادن وصناعات التعدين وما يرتبط بذلك كله من اعمال التجارة والاقتصاد .

فلماذا لا يذهبون إلى قطر من هذه الأقطار ؟ انهم لا يذهبون اليها لأنهم في الواقع لا يبحثون عن مكان يذهبون اليه ليحكموا انفسهم ويرفعوا عن كواهلهم وطأة الاضطهاد كما يزعمون ، وانما يبحثون عن مملكة العالم : مملكة صهيون التي وعدوا ان تحكم العالم كله ، ولا تكون عندهم إلا حيث تكون صهيون ، اي بيت المقدس في فلسطين !

ومن اليسير على ما نعتقد ان يفهم العالم هذه الحقيقة ببذل الجهد في الدعاية التي تقاوم الدعاية الصهيونية . من اليسير ان يفهم العاطفون المخدوعون انهم يسلمون العالم إلى جنون الهوس الديني ولا يستجيبون لداع من دواعي الرحمة حين يعطفون على مملكة صهيون . ومن اليسير ان يفهم الساسة المتعمدون لتأييد الصهيونية عاقبة هذا الخطر القريب ، لأنه خطر لا يحتاج في ادراكه إلى نظر ثابت بعيد .

ولو كان السؤال هو : الى اين يذهبون ؟ وكانت ارض فلسطين هي المأوى الأمين لهم ، وهي الحل المعقول لقضيتهم ، لكان العرب اول العاطفين على طلاب السلم والامان . ولكن السؤال هو : لماذا يريدون فلسطين ؟ ومتى سئل هذا السؤال فليس له من جواب غير الحذر الشديد والجهد الجهيد للوقوف بينهم وبين ما يريدون .

وهل دولتهم ليست «عقوبات» (١)

ارحم اعدائك من يدفع الحيرة عنك ، ولا يدع لك سبيلا إلى التردد فيما تختار. واعوان الصهيونية لا يحيرون العرب حين يخيرونهم بين الرضى بقيام دولة اسرائيل وبين ما يسمونه بالعقوبات الاقتصادية . لأن دولة اسرائيل او الصهيونية حيث قام لها نفوذ مستقل — هي عقوبات اقتصادية دائمة ، فضلا عما فيها من الخطر السياسي والخطر الاجتماعي ، وغير ذلك من الأخطار .

ان العرب لا يجهلون ما يصيبهم من نفوذ الصهيونية — ولا نقول دولة اسرائيل — في الشرق الاوسط . فان العرب يعلمون ان شراذم من الصهيونيين ، بغير دولة تسندهم وبغير نفوذ سياسي من أبناء ملتهم ، قد اوشكوا ان يحتكروا أسواق الشرق وان يأخذوا المسالك على كل من يزاحمهم في هذه الاسواق ، ولو كان من صميم اهل البلاد وكان لديه من رأس المال ما يعينه على المنافسة والثبات ذلك لأن هذه الشراذم الصهيونية تعتمد على مراجع المال في كثير من الاقطار الاوربية والأمريكية ، وتشتغل بالسمسرة والوساطة في عقد الصفقات واعمال الاصدار والايراد . فاذا قام إلى جانب هذه الشراذم نفوذ قريب منها ، واستطاع ان يجمع في يديه ازمة الحركة التجارية والاقتصادية ، فهذه هي العقوبات الدائمة التي لا فكاك منها ، يضاف اليها اخطار المطامع السياسية والمساومة بين الامم في كل موقف من مواقف السياسة العالمية .

---

(١) الاساس ١٩٤٨/٧/١٦ .

ان عصابات صهيون — وهي بعد عصابات لا تنضوي الى حكومة رسمية — تنفق اضعاف مـــا تنتج ، وترجـــع في سداد الفرق بين نفقتها وانتاجها إلى المعونة من خارج فلسطين . ولكن هذه المعونة لا تدوم ، ولا بد لها من حدود. فاذا قامت حكومة لها موظفون ولها جيش ولها مشروعات تنفق عليها ، فكل ما تعتمد عليه تلك الحكومة — او معظمه — هو المال الذي تبتزه مـــن البلاد العربية ، والاحتكار الذي تفرضه على تلك البلاد ، مستعينة بسماسرة الاصدار والايراد في كل قطر ، وبأعوان السياسة الصهيونية الذين يساعدونها اليوم ، وهم يزدادون ولا ينقصون متى ظهرت في الميدان حكومة تضيف وسائلها الى وسائل الأفراد والجمعيات .

هذه « عقوبات » اقتصادية لا شك فيها ، وهي عقوبات دائمة لا تلبث ان تتعدى العبث بالاسواق الى العبث بكل استقلال يملكه الآن من يصاب بتلك العقوبات .

اما العقوبات الاقتصادية التي يهددنا بها اعوان الصهيونية فهي ولا شك امر نهتم به ولا يصح ان نواجهه بغير اكتراث . ويجب ان نعلم منذ الساعة انها شدة نواجهها ونتخذ العدة لها . ويجب ان نعلم ان هذه العدة تحتاج الى جهد كبير من الحكومة ، وتحتاج الى تضحية كبيرة من الامة . واذا كنا ننتظر من ابنائـــنا واخواننا في ميادين القتال ان يواجهوا التضحية بالحياة ، فمن المروءة والانصاف أن نواجه نحن التضحية بما دون الحياة ، وهو الاستغناء عـــن بعض الكماليات وبعض الحاجيات ، إذا قضت الضرورةبالاستغناء عما نحتاج اليه يجب ان نعلم هذا منذ الساعة . ويجب أن نعلم معه ان مسألة العقوبات تقترن بحقائق اخرى ليست كلها في مصلحة الصهيونيين .

فمن هذه الحقائق ان في العالم أمماً كثيرة لا تخضع لقرار يصدر من مجلس الأمن أيا كان هذا القرار .

ومنها أننا لا نعرف في العالم أمة صديقة ولا عدوة تشتري مـــن مصر محصولاتها لأن مصر تحتاج إلى المال ، ولكنها جميعاً تشتريها لأنها في حاجة اليها ، وهي الآن أحوج اليها من كل زمان .

ومنها ان اليهود في الشرق العربي هم أول من يصاب بالعقوبات الاقتصادية ، لأن الكثيرين منهم يعيشون ويربحون من الصفقات الخارجية التي تتعرض لهذه العقوبات .

ومنها ان قطع الموارد الخارجية في أيام الحرب العالمية الأولى ، وفي أيام الحرب العالمية الثانية ، قد أفادنا من بعض الوجوه ، وإن عرضنا لكثير أو قليل من الأضرار .

فنشأة الصناعة الوطنية ترجع إلى تلك الأيام التي انقطعت فيها الموارد الخارجية ، واشتراك المصريين في شئون بلادهم الاقتصادية يرجع إلى هذه المحنة وما شاكلها ، فهي على الجملة شر لا يخلو من خير ، و « عقوبات » قسرية لا تخلو من درس مفيد !

والمسألة بعد مسألة اختيار لا حيرة فيه . فنحن لا نحار حين يقال لنا إنكم مخيرون بين التمهيد لدولة صهيون وبين احتمال العقوبات الاقتصادية . لا حيرة بحمد الله في هذا الاختيار .

وإذا بلغ الأمر مبلغ القوة الغاشمة فذلك خير من التسليم الذي يزري بنا أمام أنفسنا وأمام العالم . فلأن يتم ما نأباه ونحن معذورون خير من ان يتم ولا عذر لنا فيه ولا كرامة . هذا إذا اتفقت القوة الغاشمة على عمل يقف في طريقنا . وما نظنها قد كتب لها اتفاق .

الصهيونية والشيوعية [1]

بين الصهيونية والشيوعية تحالف ظاهر في هذه الأيام على الخصوص ، وعندنا انه تحالف طبيعي لا غرابة فيه ، ولكنه يبدو غريباً إذا قصرنا النظر على ظواهر الأحوال .

فكثير من اصحاب الملايين الصهيونيين ، يؤيدون الشيوعية وينشرون الدعوة لها ويجتهدون في خدمتها ، مع ان الشيوعية كما يقولون تحارب رؤوس الأموال .

وكثير من الشيوعيين يؤيدون الصهيونية ويساعدونها بمايستطيعون داخل فلسطين وخارجها ، مع ان الصهيونية دعوة قومية دينية ، والشيوعية كما هو معلوم مذهب مادي ينكر الأوطان كما ينكر الأديان .

فلا وطن في الشيوعية ، لأن الوطنية في عرف الشيوعيين خدعة من الطبقة الحاكمة لتسخير الطبقات الأخرى في خدمة مصالحها .

ولا دين في الشيوعية . لأن الدين عند الشيوعيين حيلة لتخدير الشعوب ، أو هو أفيون الشعوب كما يقولون ، ينخدع به الفقراء لينسوا نصيبهم من الدنيا ، انتظاراً للنعيم في الدار الآخرة .

فالعجب إذن ان يؤيد الشيوعيون حركة تقوم على الوطن وعلى الدين : العجب ان يؤيدوا الصهيونية وهي دعوة إلى وطن قومي يحتله أبناء دين معين ، وهم اليهود .

---

(١) الاذاعة ١٧ يوليه سنة ١٩٤٨ .

ولكنه عجب في الظاهر فقط دون الحقيقة .

أما إذا نظرنا إلى الغاية التي يعمل لها الشيوعيون والصهيونيون فلا عجب فيه على الاطلاق . لأن الغاية واحدة في الدعوتين .

فالشيوعية تدعو إلى إزالة الأديان والأوطان وإنكار كل شيء غير المسائل المادية أو المسائل المالية . ومتى زالت الأديان والأوطان واصبح الحكم في العالم للمادة وحدها ، فالصهيونية هي التي تقبض على زمام العالم ، ودولة صهيون هي التي تسود فيه .

وما هي دولة صهيون ؟

ان الصهيونية تنسب إلى قمة صهيون التي كان يقيم فيها الملك داود في بيت المقدس . ويعتقد الصهيونيون انهم شعب الله المختار ، وان دولة صهيون ستعود مرة اخرى على الأرض ، لتحكم العالم كله ويعود الأمر إلى شعب الله المختار ، فتخضع له جميع الشعوب .

وقد كان كارل ماركس — مؤسس الشيوعية المادية — يهوديا ثم تحول إلى الديانة المسيحية ، ليخفي أغراضه من دعوته إلى مذهبه . وهو في الحقيقة قد عمل في خدمة الصهيونية عملا لم يعمله قط أحد من دعاة الصهيونية الظاهرين . لأن الصهيوني لا يقنع أحداً غير اليهود ، ولا يستطيع ان ينشر الدعوة إلى سيادة اليهود بين اناس لا ينتمون إلى جنس إسرائيل ولا يدينون بالعقائد اليهودية ، ولكن الشيوعي ينشر مذهبه بين جميع الأمم ، ومتى انتشر مذهبه قامت دولة صهيون وحدها ، لأنها لا تجد عائقاً في طريقها ، بعد زوال الأوطان والأديان ، وقيام الأمر كله على الماديات .

ان كارل ماركس لم يكن قط رجلا معروفاً بالرحمة والعطف والمودة في حياته الخاصة أو في حياته العامة .

ان اصحابه انفسهم كانوا يصفونه بجمود العاطفة ، وغلبة الكراهية في نفسه على كل شعور .

ومن الخطأ الشائع انه نشر مذهبه لنصرة الضعفاء والفقراء .

فالواقع انه نشر مذهبه لإلغاء جميع العقائد الروحية والمثالية ، وتفسير

التاريخ كله بشيء واحد وهو المال ، ولذلك سمي مذهبه بالتفسير المادي للتاريخ.

فالتاريخ الانساني كله – في رأي كارل ماركس – هو تاريخ المال .

والعقائد والأديان والأخلاق والفنون والآداب ، كل اولئك لا يعتبر في رأيه إلا وسيلة لتغليب مصلحة واحدة ، وهي مصلحة القابضين على زمام المال .

وقد كان المال في أيدي الفرسان .

ثم اصبح المال في أيدي التجار واصحاب الصفقات .

ثم اصبح المال في ايدي اصحاب الصناعات ، او اصحاب المعامل والشركات الصناعية .

ثم يقبض العمال والصناع على زمام المعامل والمصانع فتظهر الشيوعية ، وتنحصر الطبقات كلها في طبقة واحدة .

ومن هنا جاء اهتمامه بالعمال والصناع .

لم يجيء هذا الاهتمام من طريق العدل والانصاف . وانما جاء من طريق الايمان بالمال وحده ، أو من طريق الكفر بكل عقيدة غير عقيدة المال .

فالمهم في مذهب كارل ماركس هو تغليب المادة على كل شيء .

وتغليب المادة على كل شيء هو الوسيلة التي يقبض بها الصهيونيون على كل شيء .

ومن ثم كان كارل ماركس هو اكبر الصهيونيين ، وكانت الشيوعية هي اكبر خدمة للصهيونية ، وكان هذا الاتفاق العجيب بين مذهب قومي ديني ، وبين مذهب ينكر جميع الاوطان والأديان.

وليس هنا محل البحث في حقيقة هذا المذهب من الوجهة العقلية او التاريخية وانما محل البحث ان المذهب كله ينتهي الى خدمة الصهيونية ، وان كارل ماركس لو أراد خيراً بالضعفاء والفقراء لكانت له الف وسيلة غير الغاء الاديان والأوطان ، فان العمال والصناع قد بلغوا من الحقوق في البلاد الديمقراطية ما لم يبلغوه في بلاد الشيوعيين ، دون حاجة إلى الغاء وطن او دين . ولكنه لم ينشر مذهبه لخير احد من طبقة من الطبقات ، وانما نشره لنشر المادية والغاء كل عقيدة غير العقيدة المادية ، وهذا هو بيت القصيد ، وهذا هو الزمام الذي اراد كارل

ماركس ان يضع به العالم في ايدي ابناء قومه اي في ايدي الصهيونيين .

يدور البحث الآن في الصهيونيين هل هم أبناء جنس او ابناء دين .

والبحث العلمي قد يثبت ان الصهيونيين لا ينتمون جميعاً إلى بني إسرائيل ، وقد يثبت ان اليهودية عقيدة آمن بها اناس من غير بني اسرائيل ، وبخاصة في القرون التي تقدمت مولد السيد المسيح .

وقد يثبت البحث العلمي ان ابناء اسرائيل أنفسهم قـــد تفرقوا في جهات الأرض ، فاختلطت انسابهم بأنساب الأمم ، كما يحدث عند كل هجرة وعند كل اختلاط .

ولكن البحث العلمي شيء ، وخطر الصهيونية شيء آخر .

فحظر الصهيونية يقوم على اعتقاد الصهيونيين أنفسهم ، ولا يقوم على مكان هذا الاعتقاد من العلم أو من التاريخ .

والصهيونيون يعتقدون انهم سلالة بشرية خاصة ، وانهم يستحقون حكم العالم لأنهم من نسل اسرائيل ، وقد وعد اسرائيل بأن يحكم العالم هو وأبناؤه إلى آخر الزمان متى قامت في العالم دولة صهيون .

انظر اليهم والى ابناء الأديان الاخرى .

فما من دين من الأديان ، إلا ويعتقد ابناؤه ان دينهم رسالة عامة لجميع بني الانسان .

فالمسيحيون يبشرون بالمسيحية .

والمسلمون يدعون إلى الإسلام .

والبوذيون ينشرون عقائدهم ليؤمن بها من يشاء .

إلا الصهيونيين !

فانهم لا يدعون احداً إلى الايمان باليهودية ، ولا يسرهم ان يؤمن بها احد غيرهم لأنهم يعتبرونها ديناً خاصاً لأسرة من البشر خاصة ولا يعتبرونها رسالة عامة لجميع بني الانسان .

ولا ترى اسرة يسرها ان يشاركها احد غيرها في حقوق الاسرة ، لأنـــه يشاركهم اذن في حصة من الميراث .

وهكذا ينظر الصهيونيون الى انفسهم ، فلا يقبلون من احد ان يشاركهم في ميراثهم ، وقد ينتقل احدهم الى المسيحية او الاسلام او يلحد في الدين ، اويغير وطنه السياسي من مكان الى مكان ، ولكنه ينظر الى اليهودية نظرته الى قرابة اللحم والدم ، وان تباينت الامم والاوطان .

فهم اصحاب ميراث يحافظون عليه ، وليسوا بأصحاب مذهب ينشرونه أو تسرهم هداية الناس اليه .

وهم يطمحون الى السيادة العالمية لأنهم يريدون تسخير العـــالم واستغلال شعوبه ، لا لأنهم يريدون له الهداية والصلاح .

ولهذا نؤمن كل الايمان انهم خطر على العالم بأسره ، وان دعوتهم صائرة لا محالة الى الزوال .

لأن التاريخ كله يعلمنا درساً واحداً لا شك فيه . وهو ان السيادة على العالم لن تكون لامة واحدة ، بالغاً ما بلغ شأنها من البأس والثروة والمنعة والذكاء .

ان الصهيونية لا تستحق بغض العالم لعصبية دينية ، ولكنها تستحق البغض منه لانها هوس شديد الخطر على سلام بني الانسان .

ومن عجائب الايام ان الصهيونية والنازية يتلاقيان في هذا الهوس الوبيل على اصحابه وعلى غيرهم . فهؤلاء في رأي انفسهم شعب الله المختار ، ومصير هؤلاء حقاً كمصير هؤلاء .

والعالم لم يخلق لتسوده امة واحدة ، او طبقة واحدة وانما خلق ليكون عالماً ، أي ليكون جملة من الامم وجملة من الطبقات ، تسوقها الحوادث سوقاً الى التعاون والاشتراك في المصالح والمقادير .

وهم من الاوهام ان تسود العالم امة واحدة ، فما سادته قط امة فيما مضى ، ولن تسوده اية امة بعد اليوم .

ووهم من الاوهام ان العالم تسوده طبقة من الطبقات ، وان العقائد تقوم على مصلحة طبقة دون طبقة ، فما من دين من الاديان الا وهو يفرض على الاغنياء حقوقا لا يفرضها على الفقراء .

قضيّة مكسوبة [1]

يحمل صديقنا « الاستاذ الحداد » [2] مطارقه كلها في هذه الايام . ويضرب بهذه المطارق كلها على رؤوس الصهيونيين !

فتارة يتناول التلمود ويكشف عما فيه من الوصايا الخفية ، وتارة اخرى يتناول المجامع العليا وما تأتمر بهمن مؤامراتها الجهنمية ، ويعرض أيضاً للماسونية التي تتخذ هيكل سليمان شعاراً لها ولا تخلو من صلة بسياسة اسرائيل ، ويعرض احيانا اخرى لدسائس القوم في العصر الحديث ، وهي نمط منقح من دسائسهم في كل تاريخ قديم .

وحسناً صنع الحداد .

فانه الآن على الاقل ليضرب بمطارقه حيث تنزل مطارق الله . ومـا نزلت مطارق الله على قوم كما نزلت على هؤلاء « شعبه المختار » ، فكأنهم شعبه المختار بمعنى واحد ، وهو معنى الاختيار للنقمة والعذاب

وآخر ما قرأته له في هذه الحملة الحدادية كلامه عن كتابة التوراة العبرية في عهد موسى عليه السلام . فهو ينفي كتابة الاسفار الخمسة التي تنسب الى موسى عليه السلام في عهده ، ويستدل على ذلك بتاريخ الكتابة بين العبرانيين .

---

(١) الرسالة ١٩-٧-١٩٤٨ .

(٢) يقصد الاستاذ نقولا الحداد . ومطارقه تلك في الرسالة نفسها .

ومن المحقق ان هذه الأسفار الخمسة كتبت بعدعصر موسى عليه السلام بزمن طويل ، وليس أكثر من الأدلة التاريخية القاطعة التي لا تدع لذرة من الشك موضعاً في ثبوت هذه الحقيقة ، ولا حاجة بنا ولا بالأستاذ الحداد إلى سرد هذه الأدلة التاريخية المطولة ، فان نصوص الأسفار الخمسة نفسها تغنينا عن كل دليل . إذ تروي هذه الأسفار فيما تروي نبأ ملك قديمقام في بني إسرائيل. ومعنى ذلك أن هذه الرواية كتبت بعد قيام الملك فيهم على عهد شاؤل وداود وسليمان ، أي بعد موسى بثمانية أو تسعة قرون .

ومن أعجب العجب ان تنسب هذه الأسفار إلى موسى وفيها وصف موته ودفنه ، ومقارنة بينه وبين التابعين له من الأنبياء . ففي الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية : « فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب . ودفنه في الجوا في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى اليوم » . وفي ذلك الاصحاح انه لم يقم بعد موسى في اسرائيل نبي مثله، ومعنى ذلك ان هذا الاصحاح كتب بعد قيام أنبياء كثيرين تنعقد المقارنة بينهم وبين موسى عليه السلام .

فمن الثابت قطعاً ان هذه الأسفار العبرية كتبت بعد عصر موسى عليه السلام بعدة قرون .

ولكنني أكتب هذا المقال لأبسط فيه الرجاء إلى صديقنا الحداد أن يرجيء حملته على هذه « المستندات » العبرية ، لأنها قد تنفعنا في قضية مكسوبة إن شاء الله . وهذا هو خط سير القضية التي نعتمد فيها على تلك المستندات ، حتى ينكرها الصهيونيون فنكسب ، أو يعترفوا بها فنكسب ، ونحن الكاسبون على الحالتين .



فتحت محكمة العدل الدولية عن مندوب مصر يطالب عصبة إسرائيل

بعشرين مليونا من الجنيهات الذهبية .

قال القاضي لمندوب مصر : علام تستند في دعواك ؟

قال المندوب : على وثيقة لا يطعن فيها الصهيونيون !

قال القاضي : أين هي ؟

قال المندوب : هي هذه . ودفع اليه بنسخة من التوراة العبرية .

* * *

ويظهر ان الأوربيين والغربيين لا يقرأون التوراة في هذه الأيام ، لأنهم لو كانوا يقرأونها لعرفوا منها تاريخ هؤلاء القوم ، وعرفوا منها ان انبياءهم كانوا يصفونهم مرة بعد مرة بالتمرد والعصيان وغلظ الرقاب ، وانهم ما برحوا منذ كانوا على شقاق وشغب واضطراب .

قال القاضي : وماذا في هذه الوثيقة مما يثبت دعواك ؟

قال مندوب مصر : في الاصحاح الثالث من سفر الخروج : « يكون حينما تمضون انكم لا تمضون فارغين ، بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين » .

قال القاضي : هذه نية . هذا شروع ، فهل تمت الجريمة .

قال مندوب مصر : نعم تمت . فقد جاء في الاصحاح الثاني عشر من سفر الخروج أيضاً « إن بني إسرائيل ارتحلوا . نحو ست مئة ماش من الرجال عدا الاولاد ، وصعد معهم لفيف كثير أيضاً مع غنم وبقر مواشي وافرة جداً » .

وجاء في الاصحاح قبل ذلك « انهم طلبوا من المصريين امتعة فضة وامتعة ذهب وثيابا ، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أغاروهم فسلبوا المصريين » .

فسأل القاضي مندوب مصر : ولكن علام بنيتم تقديركم للمبلغ المطلوب ؟

قال المندوب : ثابت يا حضرات القضاة من هذه الوثيقة ان عدد الرجال فقط من بني إسرائيل كان ستمائة ألف رجل ، عدا النساء والاولاد ، فلا يقل

عددهم جميعاً إذن عن ثلاثة ملايين . وثابت من هـــذه الوثيقة انهم كان معهم لفيف كثير . وثابت منها ان المواشي التي أخذوها كانت كثيرة جداً . وثابت منها انهم اخذوا امتعة ذهب وفضة وثيابا موشاة مما يلبس في الاعراس . فاذا قدرنا هذا – مع الفوائد المستحقة في نيف وثلاثين قرنا – فليس هنالك اقـــل مبالغة في تقديره بعشرين مليونا من الجنيهات الذهبية .

فتداول القضاة قليلا فيما بينهم ، ثم سأل رئيسهم مندوب عصابة إسرائيل :

ما قولك في الدين المطلوب ؟

قال المندوب الصهيوني : اني انكره ولا اعترف به .

قال رئيس القضاة : ولم ؟ هل تطعن في الوثيقة ؟

قال : كلا . لا أطعن في الوثيقة .

قال القاضي : إذن ، هل تطعن في التقدير ؟

فالتفت المندوب إلى مستشاريه ، وتداولوا الرأي فيما بينهم ملياً ، فتبين لهم ان الطعن في التقدير ينتهي إلى الحكم بمبلغ كثير او قليل على كل حال . ثم عاد مندوبهم إلى الكلام وهو يقول :

إننا يا حضرات القضاة لا نطعن في الوثيقة ولا نطعن في التقدير ، ولكننا نطلب الحكم بسقوط الدعوى لمضي المدة .

فنظر القاضي إلى مندوب مصر سائلا :

ما جوابك على هذا الرفع ؟

قال المندوب : جوابي ان المدة التي مضت على هذا الدين المعترف به هي المدة التي مضت على حق القوم المزعوم في ملك فلسطين . فان سقطت الدعوى هنا سقطت الدعوى هناك .

ولم يسع القاضي إلا ان يسأل الطرفين :

أتوافقون إذن على اسقاط الدعوى جملة في هذه الوثيقة ؟

قال مندوب إسرائيل على عـــادة القوم في كل مطلب وفي كل دعوى : بل تعتـــبر القضية قائمـــة في دعوى صهيون ، وتسقط القضية في دعوى المصريين !

* * *

يا صديقي الحداد !

انت ترى « خط سير القضية ». وانت رجل كيمي ورجل اديب ، ولكنك لا تجهل ان الدعوى مكسوبة على الحالتين ، وإن ساورتك الظنون كما تساورنا في محاكم الدول وهيئات التحكيم .

فلهلا رفعت من مطارقك التي تهوي بها على هؤلاء القوم مطرقة واحدة إلى حين ؟

هلا رفعت عنهم مطرقتك التي تهوي بها على « مستندهم » القديم ؟

ارفعها قيلا وتكون يومئذ قد صنعت بهم ما صنع الحداد .

عدو محتقر

ولكنه معروف[1]

لا نعتقد أن العرب بالغوا يوماً من الأيام في الاستخفاف بقوة الصهيونية ، إذا أردنا بالقوة كل قوة تشترى بالمال وما إليه ، كالسلاح والدعاية . بل نعتقد أن العرب ان بالغوا في شيء يتعلق بالصهيونية فلعلها مبالغة إلى جانب التجسيم والزيادة لا إلى جانب النقص والإستصغار .

فقد كان من العرب من يحسبون أن الصهيونية تملك جيشاً لا تقل عدته عن ثمانين ألفاً مزودين بالسلاح الكامل في أرض فلسطين ، ولا يعسر عليها أن تضيف إليهم مثلهم في بضعة أسابيع . وكان منهم من يحسبون أن الثروة التي تتصرف فيها عصابات إسرائيل لا تنفد ، ولا يزال الوارد فيها أكثر من المصروف .

أما وسائل الدعاية التي يسيطر عليها الصهيونيون فلم يجهلها أحد من العرب المسئولين ، ولا سيما وسائل هذه الدعاية في الولايات المتحدة الأمريكية . وليس رجحان الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة ناشئاً من جهل العرب المسئولين بهذه القوة ومدى تأثيرها في سياسة الحكومة هناك ، وليس هو بناشيء من تقصير العرب في الدعوة لقضيتهم بين الأمريكيين جهد ما يستطيعون . إذ ينبغي أن نذكر أولاً ما هي هذه الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية . فليس المفهوم من انتشار الدعاية الصهيونية هناك أن القوم محبوبون

---

(١) الاساس ١٩ – ٧ – ١٩٤٨ .

بين جمهرة الأمريكيين . فالواقع أنهم غير محبوبين وغير محترمين ، وأن الأندية الاجتماعية الراقية في الولايات المتحدة لا تقبل فيها أعضاء من اليهود . بل يمتنع بعض الفنادق والمطاعم من قبولهم فيها ، ويكتب أصحابها إعلاناً بذلك غير محجوب عن الأنظار .

وليس المفهوم من انتشار دعايتهم في الولايات المتحدة أنهم يقنعون الشعب ويضغطون سلطان الرأي العام على حكومته الشعبية . فالواقع يناقض ذلك كل المناقضة . لأنهم يضغطون سلطان الحكومة على الرأي العام ، ولا يضغطون سلطان الرأي العام على أولياء الأمور .

إنما المفهوم من انتشار الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة أن في هذه الولايات عشرات الألوف من أصحاب الأصوات الانتخابية التي تشايع الصهيونية وعصابات إسرائيل . فماذا يقابلها العرب هناك إذا شاءوا أن يقابلوا هـــذه الدعاية بمثلها .

والمفهوم منه أن الولايات المتحدة فتحت أبوابها لشركات المال التي يديرها الصهيونيون وأعوانهم منذ مائتي سنة أو تزيد ، وأن شركات المال لها نفوذ في دوائر المال والأعمال . فماذا يقابل العرب هذا النفوذ القديم المتغلغل في أبواب المرافق العامة من جميـــع الجهات ؟

والمفهوم منه أن الصحافة الأمريكية تعتمد على مورد الإعلانات وهو مورد يقبض عليه أصحاب الشركات عامة وأصحاب شركات النشر على الخصوص . فمن أين يأتي العرب في أشهر معدودات بسيطرة مثل هذه السيطرة على وسائل النشر والدعاية والإعلان ؟

وكيف يضارعونها إذا اقترنت بأساليب الغواية التي لا تخفى على إنسان ؟

كل ما يملكه العرب أن يتجهوا إلى الشعب بوسائل الدعايـــة المباشرة التي بقيت في أيديهم ، وهي شيء ليس بالهين بعد بذل الجهد فيه ، وقد يأتي بالفائدة المقصودة مع المثابرة عليه .

ولكنه مع ذلك جهد عظيم لا يحكم على نجاحه أو إخفاقه بعد هذه الفترة

الوجيزة التي مضت منذ عرض القضية الفلسطينية على المراجع الأمريكية ، وهي فترة وجيزة كما قلنا بالقياس إلى الزمن الذي قضاه الصهيونيون هناك .

فالعرب حين تحركوا لدفع الخطر الصهيوني عن فلسطين ، وعن العالم العربي بأسره ، لم يجهلوا شيئاً يستطيعه هؤلاء الصهيونيون . ولكنهم تحركوا لأنهم علموا أن خطراً واحداً يمكنهم دفعه كائناً ما كان نفوذ الصهيونيين في دوائر السياسة الأمريكية . وذلك الخطر هو ترك فلسطين للعصابات الصهيونية بعد جلاء الإنجليز عنها . فإن هذه العصابات كانت تستطيع في أسابيع معدودات أن تجتاح أرض فلسطين من أقصاها في الشمال إلى أقصاها في الجنوب . وكان هذا الأمر الواقع خليقاً ان يضمن لهم الاعتراف بدولتهم ممن كان يتردد في الاعتراف بها ، لأنه دليل على أن قوة هذه الدولة أكبر من قوة الخارجين عليها والمعارضين لحكمها ، وأنها تستطيع أن تفرض نظامها على أبناء البلاد وتعامل الدول باسمها دون أن تلقى مقاومة تذكر من جانب « الرعايا » أو جانب العرب أجمعين .

تحرك العرب لانهم علموا ذلك ، وعلموا أنهم يستطيعون دفع هذا الخطر العظيم ، وأنه واقع لا محالة لو أنهم وقفوا يومئذ مكتوفي اليدين . وقد دفعوه وصح ما علموه .

أما وسائل الصهيونية فلم يجهلها أحد من العرب المسئولين ولا غير المسئولين. وكل ما هناك أنهم يعرفون الصهيونية ويحتقرونها . وقد يتجاوز هذا الاحتقار حده المأمون في نفوس العامة والدهماء، ولكننا لا نعتقد أنه تجاوز حده المأمون في نفوس الساسة والزعماء .

كانت طيارة قد أخطأت طريقها في بداية المعارك الفلسطينية ، وانطلقت المدافع المقاومة للطيارات فظنها بعضهم قذائف هبطت من طيارة صهيونية ، فهرول بعض السابلة يلتمس مواضع الامان ، وسمعت بأذني بائعاً يقف في مكانه ويصيح بالمهزومين : ما لكم تهرولون ؟ أمن طيارة صهيونية تهربون ؟ وسمعت في ليلة الغارة الاخيرة طائفة من السابلة يتساءلون : ما لهذه الطائرة لا تلقي بشيء ؟

فكان جواب بعضهم وهو ضاحك : لعله لا يسلم الأمانة إلا بإيصال مرتجع .

هذا الاحتقار حق للصهيونية من نفوس الخاصة والعامة ، وإذا تجاوز في نفوس العامة حده المأمون فلعله يعوض ذلك بمافيه من قوة معنوية تفيد أضعاف ما تضير .

لقد أقدم العرب على القتال في فلسطين وهم يحتقرون الصهيونية ولكنهم مع ذلك يعرفونها ، ويعرفون أنهم دفعوا حتى الساعة خطراً من أخطارها لا شك فيه .

سياسة تصيد الأصوات (١)

نقض الصهيونيون شروط الهدنة الاولى ، ثم عادوا فنقضوا شروط الهدنة الثانية ، ولا يزالون ينقضونها حتى كتابة هذه السطور . نقضوا هذه الشروط قبل وصول الوسطاء من مجلس الامن . ونقضوها بعد وصولهم وعلى مرأى ومسمع منهم ، وتحت العلم الذي رفعوه على هيئة الامم المتحدة في فندق الملك داود بمدينة القدس الجديدة .

وإذا كانت حوادث فلسطين عرضة للمغالطة فيها ،أو عرضة للخلاف على من يعتدي ومن يرد العدوان ، فليست الغارة على القاهرة من قبيل الحوادث التي تجوز فيها المغالطة أو يجدي فيها تحيز الشهود . وقد حدثت الغارة الجوية على القاهرة بعد انقضاء نهار طويل على ميعاد الهدنة وعدة ساعات . فالصهيونيون يخرقون الهدنة ولا يحفلون بخرقها . علام يدل ذلك ؟

إنه لمن تضييع الوقت أن نقول إنه دليل على طبيعة الغدر والخيانة ونقض العهود في هؤلاء القوم . فليست هذه الطبيعة فيهم مما يحتاج إلى دليل ، وليست هي في حاجة إلى أقوال الخصوم أو الغرباء عن الصهيونية ، لان كتبهم التي يدينون بها قد غصت بأخبارها وأحاديثها ، فلم يخل تاريخ « بطل » واحد من أبطالها الذين يقتدون بهم من قصة غدر أو غش أو سرقة أو طمع في جار أو حليف.تلك طبيعة فيهم لا يستطيع أحد أن يبرئهم منها حتى نحتاج إلى اتهامهم بها وإقامة الدليل عليها . فمن تضييع الوقت أن نقول إن نقض الصهيونيين

---

(١) الاساس ٢١ - ٧ - ١٩٤٨

لشروط الهدنة يدل على أنهم قوم غادرون مخاتلون ، وأنهم كيفما كانت صفتهم « الحكومية » شراذم لا يرتبط معها ميثاق .

إنما الدلالة التي تهمنا في هذا الموقف أن الصهيونيين يخرقون كل عهد ويعلمون أن أعوانهم من الساسة الامريكيين يساعدونهم وإن نقضوا الهدنة ، ويساعدونهم وإن خالفوا كل مبدأ وخرجوا على كل قانون ، ويساعدونهم وإن كانوا على الباطل في كل دعوى يدعونها في أرض فلسطين. وإن مظاهر التحكيم الدولي التى يمثلها أولئك الاعوان إنما هي مهازل مسرحية يدأبون على تمثيلها وإن آمنوا بأن العرب على حق وهدى وأن الصهيونيين على باطل وضلال .

وهذا هو الواقع في موقف الساسة الامريكيين من المسألة الصهيونية ، فإن الحزب الديمقراطي الذي يحتضنهم على الخصوص يعلم اليوم أنه في مأزق دقيق ، ويجري في سياسته الداخلية والخارجية قبيل موسم الانتخاب على الخطة التي يجري عليها كل حزب محرج غير مطمئن إلى أصوات الشعب على العموم ، وهي خطة اصطياد الاصوات من هنا وهناك . فالحزب الديمقراطي اليوم يتجه إلى لم الاصوات المبعثره بين الأقليات ، لانه لا يطمئن إلى الاصوات القومية التي تملكها كثرة الناخبين . ومن هذه الاقليات جماعات اليهود. ومنها — وهو أعجب ما في الامر — أصوات الزنوج . ونقول أعجب ما في الامر لان مسألة الزنوج كانت هي السبب الاول الذي دارت حوله جميع أسباب الخلاف بين ولايات الشمال وولايات الجنوب .

وترجع تسمية الحزبين بهذين الاسمين إلى ذلك الخلاف ، ومن أجل ذلك كان الزنوج جميعاً في مبدأ الامر جمهوريين يحاربون الديمقراطيين. فالديمقراطيون قد عرفوا بهذا الاسم لانهم كانوا يرفضون إلغاء تجارة الرقيق في ولايتهم الجنوبية . وكانوا يفسرون الديمقراطية بأنها هي حق كل ولاية في حكم نفسها ووضع قوانينها ، وأن إكراه ولاية لولاية أخرى على تشريع لا تقره مناقض لحقوق الحرية وأصول الحكومة الذاتية والجمهوريون قد عرفوا بهذا الاسم لانهم كانوا يردون على هذا التفسير العجيب بأن الولايات المتحدة جمهورية واحدة ، وأن الحرية التشريعية فيها حرية الجمهورية كلها ، وليست حرية هذه الولاية أو تلك

منفصلة عن سائر الولايات . ولهذا كان الزنوج جميعاً جمهوريين ، لان الجمهوريين يدعون إلى إلغاء تجارة الرقيق باسم المساواة بين جميع بني الإنسان في الحقوق . وكانوا يبغضون الديمقراطيين ، لان الديمقراطيين ينكرون هذه المساواة ويسوغون بقاء الرّق وحرمان الزنوج من الحقوق المدنية بأن السود طبقة من البشر غير طبقة البيض . وظل الزنوج على ميولهم هذه حتى منحوا حق الانتخاب ، وأصبحت لهم أصوات تقدم وتؤخر في الموازنة بين الأحزاب ، فانتهز الديمقراطيون فرصة قيامهم بالحكم لاجتذاب الزنوج إليهم ، وشرعوا تلك القوانين التي تعرف بقوانين الحقوق المدنية لإلغاء الفوارق الواقعية التي ما زالت قائمة بين البيض والسود. وقد أكثروا في الفترة الأخيرة من تعميم هذه القوانين ، وهي خطة ولا شك تعني طلاب الأصوات ولا تعني أبناء الولايات الجنوبية في جملتهم ، ولهذا ثارت طائفة من ولايات الجنوب على قرار الترشيح الذي صدر أخيراً من مؤتمر الديمقراطيين .

وكانت علة هذه الثورة قوانين الحقوق المدنية التي تقـــدم ذكرها ، وهي القوانين التي من ظاهرها الرحمة ومن باطنها حرج الحزب واضطراره إلى تصيد الأصوات . ولقد صنع الديمقراطيون مثل ذلك في سياستهم مع الإيرلنديين ، وصنعوا مثله في سياستهم مع نقابات العمال ، ولولا المتطرفون منهم إلى جانب الشيوعية لضموا إليهم أكثر العمال في الولايات الشمالية على الخصوص .

تلك حقيقة لا تغيب عن بالنا حين نحكم على الواجب المطلوب من الجامعة العربية في مسألة الدعاية بين الأمريكيين . فلا شك أن الدعاية تفيد وتثمر بعد حين ، ولكننا إذا فهمنا أن العرب مطالبون بإقناع طلاب الأصوات فذلك فوق ما يطيقه العرب وغير العرب ، لأن طلاب الأصوات ينظرون إلى الأصوات التي يحتاجون إليها ، ولا ينتظرون الاقتناع بعدالة القضية العربية التي لا تكفل لهم في مأزق الانتخاب مثل هذه الاصوات .

* * *

إن الصهيونيين يعلمون هذا حين يجترئون على خرق الهدنة . إنهم غادرون

مخاتلون ، ولكنهم لولا علمهم هذا بموقف أعوانهم لغلبت طبيعة الجبن فيهم على طبيعة الغدر والخيانة .

ولهذا سيغدرون مرة بعد مرة . وسيغدرون وهم يأمنون الخسارة ، ثم يستفيدون من الغدر أن يزعجوا خصومهم ويجشموهم في حالة الهدنة كل ما تتطلبه حالة القتال من الحذر والاستعداد . ولن يثنيهم عن الغدر إلا أنهم يتوقعون خسارة من ورائه ، فإذا نقضوا الهدنة وجب أن يكون القصاص جوابهم على نقضها . والقصاص حق لا شك فيـــه . فإذا أنكره علينا ساسة أمريكا أيضاً فلندعهم ينكشفون وينكشفون ، ولندعهم يبيحون للصهيونيين حق الغدر ويحرمون العرب حق الدفاع ، فكل شيء له حدود ، ودولار أمريكا ليس بأقوى في النهاية من سلاح النازيين والفاشيين .

عشاق للسلام يقتلونه (١)

من المضحكات المحزنات أن تتفق الدول الثلاث — التي تعرف بالثلاث الكبار — على خطة واحدة في قضية فلسطين ، خوفاً فيما تزعم على السلام. والمضحك المحزن أن الناس جميعاً يعرفون لكل دولة منها غرضاً واضحاً كالشمس من وراء هذا الاتفاق ، فما من دولة منها تتخذ هذا الموقف في فلسطين إلا وهي تستعد به لحرب الدولتين الاخريين ، او لحرب إحدى الدولتين على الاقل .

فالسياسة الروسية في الوقت الحاضر سياسة ذات روحين : سياسة الدولة الاستعمارية ، وسياسة الهيئة الشيوعية التي تدين بمذهب اجتماعي تبشر بـه وتستميت في نشره بين أمم العالم . وكلتا السياستين تطمح إلى أرض فلسطين .

فالدولة الاستعمارية تحقق وصية بطرس الاكبر حين تشرف على البحر الابيض المتوسط من ناحيته الشرقية .

والهيئة الشيوعية تستفيد من موقع فلسطين مركزا نافعاً لترويج الدعاية الشيوعية وتدبير الدسائس والمؤامرات بين الطبقات ، وإذكاء نيران الفتنة والاضطراب في كل مكان يتصل بفلسطين . ولم تكن هذه السياسة الروسية في يوم من الايام كبيرة الامل في استدراج الامم العربية إلى مذهب الشيوعية المادية . لانها تعلم أنها أُمم عريقة في عقائدها وأخلاقها ، وانها لا تنقاد بسهولة للمذهب الذي ينقض جميع مبادىء الاخلاق والآداب . ولكنها — على كل

---

(١) الاساس ٢٣ — ٧ — ١٩٤٨

حال ـ كانت مضطرة إلى محاسنة العرب يوم كان الصهيونيون والدولة البريطانية على وفاق في اول عهد الإنتداب . فلما قضى الصهيونيون لبانتهم من تنفيذ وعد بلفور واحرجوا الدولة البريطانية بالطلب وراء الطلب والإعنات وراء الإعنات وقعت الواقعة بين الفريقين ، وعادت السياسة الروسية إلى رجائها الاول في العصابات الصهيونية ، ويأسها الاول من الامم العربية . فتأييد هذه العصابات هو إذن اقرب طريق تسلكه السياسة الروسية ـ بروحيها ـ إلى قطع الطريق على الدول الغربية ، باسم بطرس الاكبر تارة ، وباسم الرفيق لنين تارة أُخرى .

* * *

وهكذا يعشق السلام أحد العشاق الثلاثة الكبار .

أما العاشق الثاني ، وهو العم سام ، فهو يتخذ موقفه من فلسطين ليستعد لروسيا من جهة ، وينازع بريطانيا العظمى من جهة أُخرى . وهكذا يصنع العشاق المتنافسون دائماً في كل رواية من روايات الغرام . ودولة إسرائيل في رأي العم سام كفيلة بتحقيق هذين الغرضين ، فهي مدينـــة بوجودها للسياسة الأمريكية . وهي قد نشأت على شقاق وعداء بينها وبين الدولة البريطانية . فليس أصلح منها لتدبير المكان الذي يريده العم سام حين يريد إقامة السدود في وجه الدعوة الروسية ، ودق الأسافـــين في موضع من مواضع النفوذ لبريطانيا العظمى .

نعم إن العم سام يعلم أن كثيراً منالصهيونيين شيوعيون يعيشون على النظام الشيوعي في أرض فلسطين . ولكنه يعلم أيضاً أنه يأوي في بلاده خمسة ملايين من اليهود ، ويظن أنه يقبض على عنق الدولة الصهيونية بايوائـــه لهذا العدد الكبير من أبناء ملة الصهيونيين . يظن هذا لأنه يحب ان يظنه .

أما الواقع فهو على نقيض ذهنه كما هو ظاهر من هذه اللحظة ، لأن هؤلاء الملايين هم الذين يقودونه ويدفعون به إلى حيث يشاءون .

وإذا اقتضى الأمر ونزعت دولة صهيون منزعاً يغضب العم سام ويرضي خلفاء بطرس الاكبر ولنين ، فليس أيسر في هذه الحالة على اليهود الامريكيين

من إعلان البراءة الظاهرة من تلك الدولة العاصية ، وليس أيسر عليهم من الكف عن معونتها بالمال والدعوة إلى حين ، لان دولة صهيون لن تنزع هذا المنزع الذي يغضب العم سام إلا وقد وثقت من معونة روسية كافية ، تغنيها زمناً من الازمان عن العم سام ويهود العم سام ! ولا تذكرن للعم سام شيئاً عن أمم العرب التي تقيم في هذه الرقعة من الأرض بين القارات الثلاث ، فان العم سام يعلم أن أمم العرب لا تدين بالشيوعية ولن تدين بها ، وهذه فضيلة يعرفها العم سام للعرب ، ولكنه يقيدها عنده في حساب الجرائم التي تستحق من أجلها العقاب .

* * *

اما العاشق الثالث فهو جون بول العتيق .

وهو عاشق محترف ، وليس بالعاشق المحدث ، او صاحب « الهواية » والمزاج . هو عاشق يغازل بالعين اليمنى ويغازل بالعين اليسرى ، ويغازل في الحالتين وهو مفتوح العينين . ولا خير عنده في هذه القضية بحذافيرها . فهي تضع بطرس الاكبر ولنين والعم سام جميعاً وجهاً لوجه في مشاكل الشرق الادنى. وهي تتيح له ان يساوم الصهيونيين ويريهم انهم لا يستغنون عنه بعاشقهم الجديد. وهي تتيح له ان يساوم العرب ويغريهم بالاعتماد عليه ، والهوادة في قضاياهم التي طال عليها الخلاف بينهم وبينه . وهي تتيح له ان يساوم العم سام ليأخذ منه دولارات ويعطيه موافقة او سكوتاً في كل صفقة من الصفقات .

* * *

عشاق بمعنى الكلمة كما يقال ، لانهم يصنعون تماماً صنيع العشاق الذين يتنافسون على معشوقة واحدة . يحاربون بعضهم بعضاً ويقتلون المعشوقة المسكينة في النهاية . والمعشوقة المسكينة هنا هي حمامة السلام التي شقيت بكثرة العشاق .

بين القتال ووقف القتال [1]

تحركت الجيوش العربية لنجدة فلسطين، وهي كما يعلم الله والناس، لا تهوى حرباً ولا تبغي على سلام، ولا تقبل على القتال مختارة، لو وجدت لها مناصاً عنه .

وتوقفت الجيوش العربية عن القتال، وهي لا تهابه ولا تخافه، ولا تتهافت على الهدنة ولا ترحب بها، وما كانت لتقبلها مختارة لو وجدت لها مناصا عنها .

ولكنها قاتلت وهادنت وقد نظرت وفكرت ودرست ووازنت بين جميع العواقب، وقابلت بين جميع الوجوه، فعلمت في كلتا الحالتين ان الخيرة فيما اختارته، وان المغنم فيه اكبر من المغرم، عند تقرير هذا وذاك بكل ميزان صحيح .

قاتلت بالأمس، لان القتال كان حتما لزاماً لا موضع للتردد فيه، ويكفي لتقرير هذه الحقيقة أننا لو لم ندخل ارض فلسطين لكانت فلسطين كلها اليوم، من شمالها إلى جنوبها، ومن حدود لبنان إلى حدود مصر، دولة صهيونية واحدة، تطغى عليها عصابات الصهونيين بما عندها من القوة والعدد، وتحكمها بما عرف عنها من الخسة والوحشية وشهوة الكيد واللدد والانتقام .

تخلت بريطانيا العظمى عن مهمة الإنتداب في فلسطين وتركتها والصهيونيون

---

(١) الاذاعة ٣١ يوليو سنة ١٩٤٨

فيها مستعدون بالسلاح والجند والمال ، معتصمون بالمعاقل والحصون ، متمكنون من الشواطيء والجبال ، تشرف على عصاباتهم ادارة حكوميـــة منظمة تسمى الوكالة اليهودية ، وتقوم بالحكم فعلا منذ بداية الإنتداب .

أما اهل البلاد من العرب فـــلم يكن لهم إدارة منظمة ولا جيش مجتمع ولا سلاح متوفر ، لأنهم قد حيل بينهم وبين الاستعداد لهذا اليوم ، فأصبحوا امام تلك العصابات فريسة للعدوان ، يدافعون وليست لهم عدة الدفاع ، وليس من ورائهم إدارة حكومية تشرف على شئون الحكم عامـــة ، وشئون الدفاع على الخصوص .

فلو وقفت الأمم العربية يومئذ مكتوفـــة اليدين ، لوقعت فلسطين كلها في أيدي العصابات الصهيونيـــة ، واقامت دولة إسرائيل في جميع أنحاء البلاد ، واستطاعت ان تطلب اعتراف الدول بوجودها ، لأنها القوة التي تبسط سلطانها على البلاد جميعاً ، وليس لها منازع من حكومة فلسطينية قائمـــة ، ولا من حكومات العرب في غير فلسطين .

تحركت جيوش الأمم العربية لتدفع عن الشرق كله هذا البلاء الداهم ، وقد دفعته عنه بحمد الله ، وهو غنم لا شك عظيم .

واليوم تتوقف الجيوش العربية عن القتال . تتوقف عنه ويعلم الناس جميعاً أنها ما توقفت نكولا عن الحرب ولا احجاماً عن تكاليفها وضحاياها ، وما توقفت عنه وهي مختارة راضية ، ولكنها نظرت وفكرت ودرست ، ووازنت بين جميع العواقب ، وقابلت بين جميع الوجوه ، فكانت الخيرة فيما اختارته ، كما كانت الخيرة بالأمس في الإقدام على القتال .

هذه خيرة لها أسبابها ودواعيها ، ومنها ما يعلمه الكثيرون ، ومنها ما لا يعلمه إلا القليلون ، ومنها ما يقال ، ومنها ما لا يقال .

ولكنها تتلخص جميعاً في سبب واحد لا يجهله أحد وهو ان العرب قبلوا الهدنة لأنهم يأبون ان يخدموا مقاصد الصهيونيين ، وان يعززوا مكانة العصابة التي تسمى بدولة إسرائيل .

ومن الحقائق التي لا تخفى على عارف ولا جاهل أن العصابة الصهيونية تخرج

من الميدان ظافرة ناجحة ، إذا وضعتنا أمام العالم كله ، وحاربتنا بقوة العالم كله ، وراح أعوانها يعاملوننا معاملة الخارجين على المواثيق والهيئات الدولية ، ويتحللون يومئـــذ من جميع القيود الظاهرة والخفية ، في محاربتهم للعرب وتأييدهم للصهيونيين .

ان الصهيونية خطر على الشرق وعلى العالم . ذلك حق لا ريب فيه.

اننا قد نهضنا بالواجب علينا في دفع هذا الخطر .

فلينهض العالم إذاً — أو لتنهض الدول المسيطرة عليه — بما يجب عليها في مكافحة الصهيونية ، يوم تشعر بهذا الواجب ، وهي رغم أنفها شاعرة بـــه لا محالة ، وعما قريب .

وويل لأعوان الصهيونية من الصهيونية ، إذا حان الوقت لتصفية الحساب .

يومئذ نضع نحن الصهيونية أمام العالم كله ، ولا تضعنا هي أمامه كما أرادت اليوم ، وأراد أعوانها المخدوعون .

لقد أردنا بالعالم خيراً لم يرده له من يسيطرون عليه اليوم .

فليصنعوا بأنفسهم ما يشاءون وليجنوا غداً عاقبة ما صنعوه وسيذكرون ويذكرون ، حين يحاولون أن ينسوا غداً ما ينسونـــه اليوم ، فيمتنع عليهم النسيان .

* * *

تحركنا إلى فلسطين لأننا أردنا أن نخذل الصهيونية . وتوقفنا عن القتال ، لأننا لا نريد أن تخرج الصهيونية ظافرة من هذه المعركة .

وآن لنا في هذه الفترة ان نصفي حساب القتال ، وحساب الهدنة ، لنعرف ما لنا وما علينا ، ونضع كل حساب في موضعه الصحيح .

حمينا فلسطين ان تستولي عليها دولة صهيونية ، وأن تفرض هذه الدولة أمام أصدقائها وأعدائها بقوة الأمر الواقع الذي لا حيلة فيه بعد وقوعه .

لمسنا مكامن الخطر التي كانت تكمن في أحشاء بلادنا ، وكانت ظروف السلم تحجبها وتحميها وتحول بيننا وبين مصادرتها .

لمسنا مواطن القوة فينا كما لمسنا مكامن الخطر بيننا .

دفعنا عن كرامتنا التسليم ونكث العهود، وأدينا أمانتنا أمام أنفسنا وأمام غيرنا فلم نسقط أنفسنا بأيدينا من حساب القريب والبعيد .

بلغنا غاية العذر وأبرأنا سمعتنا وتاريخنا من اللوم. فاتخذنا موقفنا الذي اتخذناه لأننا نواجه اكبر الدول في اوربة وامريكا ، ولم نتخذه لأننا نواجه العصابات من شراذم الصهيونيين .

وقد حالت اكبر الدول بيننا وبين تحقيق كل ما نريد . ولكننا لو لم نحرك جيوشنا إلى أرض فلسطين لضاع علينا كل ما أردناه وبلغت الصهيونية كل ما تصبو إليه .

وضعنا الصهيونية في وجه الدول التي تحنو عليها ، لتتألب عليها في وقت قريب ، كما تتألب علينا الآن .

وقد رأينا العاقبة ، وشهدنا عبرة الزمن بحمد الله .

فأين أولئك السادة الطغاة اليوم؟ أين عرش رومانوف ؟ أين عرش هابسبرج؟ أين عرش هوهنزلورن ؟ أين عرش بني عثمان ؟

خبر كان !

أما عرش محمد علي فقد انتقل من عرش وال إلى عرش أمير ، ومن عرش أمير إلى عرش سلطان ، ومن عرش سلطان إلى عرش ملك ، ومن عرش ملكي تحيط به حدود إلى عرش ملكي ترتفع عنه الحدود ، وأصبحت الكلمتان :

ملك مصر ووطن مصر معنى واحداً في لفظين .

كان هذا المصير محجوباً فانكشف ورأيناه. وسينكشف غداً مصير يحتجب اليوم ، فلا نرى فيه باذن الله إلا ما نحبه ونرضاه . ومن مصادفات التاريخ أننا نشهد الآن تألب هذه الدول على مصر وعلى العرب ونحن نذكر تاريخ الرجل العظيم الذي تألبت عليه من قبل وهو على أبواب القسطنطينية لانها لا تريد القوة والنهضة لامة من الأمم الشرقية . ذلكم هو محمد علي الكبير منشيء مصر الحديثة . فان دول أوربا قد تألبت عليه بالأمس لتحرمه ثمرة انتصاره وتصده عن إتمام نهضته . فعلت ذلك عسفاً وطغياناً من سادتها الذين كانوا يسوقونها في

سياستها العامة ، ولم تفعله بمشيئة شعوبها وأقوامها ، فما كان بين مصر وتلك الشعوب والأقوام من منازعة ولا عداء .

والايام بيننا في السلم والحرب ، وفي الرخاء والشدة . فما في كل يوم يتاح للصهيونية موسم انتخاب تساوم عليه ، وما في كل يوم تنقاد الامم لخطة يمليها سماسرة صهيون ، وما في كل يوم يغفل العالم عن مصالحه وعن مباديء العدل والقانون ، وما في كل يوم يخفى الخطر الذي لا خفاء به ولا مفر من ظهوره ، وخطر صهيون اكبر وأفدح من ان يطول عليه الخفاء .

وقد ادركنا بعض ما طلبناه وتوخيناه ، وستدور الايام دورتها فيرتفع غشاء وينكشف حجاب ، ويعلم المخدوعون اليوم انهم كانوا على خطأ يوم كنا نحن على صواب والعاقبة للمتقين والعاقبة للصابرين !

الدِّعاية الواجبة للقضيَّة العربيَّة (١)

جاء في الانباء البرقيـــة ان مجلس نواب جمهورية ارجواي وجه إلى مجلس النواب البرازيلي دعوة يقترح فيها توحيد الرأي بين دول امريكا الجنوبية لاتخاذ موقف واحد قبل الدولة الصهيونية المزعومة ، وهو الإعتراف بتلك الدولة .

وقد اجتمعت لجنة الشئون السياسية في مجلس النواب البرازيلي ونظرت في هذه الدعوة فقررت ان الإعتراف بالدول إنما هو من أعمال الوزارة ، وان العناصر التي يجب توافرها في دولة من الدول المعترف بها لا تتوافر في الجماعة الصهيونية التي تسمى بدولة إسرائيل ، وأن الإعتراف بها مع هذا يعتبر تدخلا في النزاع القائم بين اليهود والعرب ، وأن علاقات البرازيل والدول العربيـــة الثلاث — مصر وسوريا ولبنان — لا تسمح بهذا التدخل على وجه يغضب الامم العربية ، ومن أبنائها جالية كبيرة تقيم في البرازيل .

إن جمهورية أرجواي التي لا يزيد سكانها على المليونين ليست بذات شأن في السياسة العالمية ، ولكن موقفها هذا ، وموقف البرلمان البرازيلي في الرد عليه ، يدلان على شيء يحسن بالامم العربية فهمه في هذه المرحلة من قضيتها ، وهو ما تكسبه الحركة الصهيونية بالدعاية وما تكسبه بغير الدعاية ، وما يجب على الامم العربية من عمل لمقاومة الامرين .

لماذا وقفت أرجواي هذا الموقف من الحركة الصهيونية ؟ ولماذا احجمت

---

(١) الاساس ١٩٤٨/٨/١٧ .

البرازيل حتى الآن عن اتخاذ موقف حيال هذه الحركة ؟

إن الدعاية ليست بذات شأن كبير في موقف أرجواي ، ولكن هذا الموقف يرجع إلى اسباب تاريخية وجغرافية لا محل هنا لتفصيلها ، ويكفي ان نقول هنا إن هذه الاسباب التاريخية والجغرافية قد جعلت من هذه الدولة الصغيرة جمهورية لا دينية مناصرة للولايات المتحدة بين امم امريكا الجنوبية . فهي قد فصلت الدولة عن الكنيسة ، واندفعت من ثم في السياسة اللادينية التي تناصر كل من يقف في جانب أمام جانب الكنيسة الكاثوليكية ، وسمحت لكل نازل بها ان يتجنس بالجنسية الوطنية دون ان يفقد جنسيته الاولى ، واعتنقت من المذاهب الديمقراطية أشدها تطرفاً في الأوضاع السياسية . ولعلها صاحبة الدستور الوحيد الذي يفرض قسمة مجلس الشيوخ على التساوي بين الحزب الناجح في الإنتخاب والحزب الذي يليه ، ويجعل للحزب التالي مقاعد معينة في الوزارة تشترك بها المعارضة فعلا في أعمال الحكومة . وقد يكون هذا التشيع منها للصهيونيين من قبيل التمرد على الكنيسة ورجالها لا من قبيل العطف على اليهود والحركة الصهيونية. وهذا أمر لا حيلة فيه للدعاية العربية لو كان رأي هذه الجمهورية مما يهم العرب ، إلا أن تتجه الدعاية العربية إلى الجانب الذي يناسب هوى التطرف الذي تمكن من هذا البلد الصغير في المظاهر الديمقراطية .

ويرجع انقياد هذه الجمهورية لسياسة الولايات المتحدة إلى وضعها الجغرافي بين دولتين كبيرتين من دول أمريكا الجنوبية ، وهما الجمهورية الفضية وجمهورية البرازيل . فهي تلجأ مضطرة إلى سند لها خارج القارة الجنوبية ، ولن تجد هذا السند في غير ولايات الشمال . وهي لهذا الاحتماء الدائم بولايات الشمال تردد كل ما تمليه عليها الولايات المتحدة الشمالية ترديد الببغاء .

أما البرازيل فلا شك أن وجود خمسين ألفاً من العرب السوريين بين أهلها كان له شأن غير قليل في موقفها من الحركة الصهيونية. وهي تتزعم أمم الجنوب، فهي من هذه الوجهة تنافس الدولة الكبرى في الشمال ولا تنظر إلى نفوذها بعين القبول والارتياح .

نعم إن عدد اليهود قد يزيد قليلا على عدد السوريين في بلاد الجمهورية

البرازيلية ، ولكن طبيعة الثروة في تلك البلاد ليست مما يهيء لليهود أسباب السيطرة على الأعمال المالية والمشروعات الاقتصادية . فإن اليهود لا يتغلبون على السياسة إلا من طريق الشركات – وشركات الأوراق والمضاربات على الخصوص – وهي على وجود طائفة منها ذات نفوذ في حواضر البرازيل ليست من الخطر ولا من القوة والكثرة بمكان زميلاتها في نيويورك وغيرها من المدن الكبرى في الولايات المتحدة الشمالية .

ونحن نبالغ في حقيقة الدعاية الصهيونية في الولايات الشمالية نفسها إذا عزونا إليها وحدها نجاح الحركة الصهيونية هناك. فلا بد أن نذكر أصوات الناخبين من اليهود وهي تعد في المدن الشمالية بعشرات الألوف ، مع التوحد والتضامن بين أصحابها في معترك الأحزاب ، ولا بد أن نذكر مطامع الدولة الأمريكية في مواقع الشرق الأدنى وتسخيرها للصهيونيين في قضاء هذه المطامع كما يسخرها الصهيونيون في قضاء مطامعهم السياسية . ولا بد أن نذكر الوسائل الخبيثة التي لا يخطر على بال عربي أن يتوسل بها في مسألة عامة او خاصة ، ولو تعلق بها كل أمل في نجاح القضية العربية .

هذه حقيقة لا بد أن نذكرها حين نذكر ما يكسبه الصهيونيون بالدعاية وما يكسبونه بغير الدعاية ، وحين نحصي على الأمم العربية ما تقصر فيه وما لا يُنسب إليها فيه شيء من التقصير .

فإذا ذكرنا هذا على جليته بقيت حقيقة أُخرى لا ريب فيها ، وهي أن الدعاية سلاح لا تستغني عنه قضية من القضايا العامة في هذا الزمن الحديث بحال من الأحوال ، وأن مجال الدعاية العربية حتى بين الأمريكيين الشماليين فسيح غير مغلق في وجه العرب ، لأن الذي يجهله هؤلاء الأمريكيون من مساعي الصهيونيين ومن نياتهم المكتومة جد كثير ، وقد يكفي لكشفه لفتة صغيرة إلى عقيدة من عقائدهم او نص من نصوصهم ، وأكثرها واضح في كتبهم الشائعة وفي التوراة نفسها التي يطبع منها ملايين النسخ في الولايات المتحدة ولا يقرؤها منهم إلا بضعة ألوف . مثال ذلك أننا نرى مجهوداً كبيراً نبذله لإقامة الدليل على أن الصهيونيين يطمعون في بيت المقدس ، وأن المؤامرات التي يدبرونها لضم الجنوب

إلى الشمال في فلسطين من عمل الهيئات الرسمية وليست من عمل الإرهابيين او العصابات الخارجة على تلك الهيئات. فلم كل هذا المجهود وتسمية الدولة المزعومة وحدها تدل عليه ؟ ان اليهود كانت لهم بعد سليمان دولتان إحداهما في الشمال تسمى دولة إسرائيل ، والأخرى في الجنوب تسمى دولة يهوذا وفيها هيكل سليمان وقمة صهيون التي تنسب إليها الحركة كلها والتي هي من قبـــل غيرها بيت القصيد .

ونظرة واحدة في أسفار اليهود تدل على مغزى هذه التسمية ، وتدل على أن « الدولة » هي التي تطمع في إحباط التقسيم وبسط نفوذها على دولة يهوذا بعد دولة إسرائيل . نظرة واحدة إلى تلك الأسفار تغني عن كل جهد في إثبات خرق الهدنة هنا او هناك ، وفي إثبات سوء النيـــة الذي يسترونه وراء كل مطلب من مطالبهم في القدس الجديد او القدس القديم .

وليس توضيح هذه الوثائق الدينية او التاريخية بالأمر العسير على الدعايـــة العربية ، لأنها مسألة نصوص شائعة بين أيدي الأمريكيين والأوربيين، وليست مسألة شهود وأخبار . فالصهيونية لا تستند إلى الدعاية وحدها ، ولكنهم إذا تركوا الدعاية تركوا سلاحاً لا غنى عنه ، وسلاحاً في أيديهم ان يضربوا به ، وان يصيبوا به بعض ما يريدون ، إن لم يصيبوا به كل ما يريدون .

مؤامرة عالمية (١)

في سنة ١٨٩٧ ظهر في روسيا كتاب يسمى « بروتوكولات شيوخ إسرائيل » ولم يترجم إلى اللغات الأوربية قبل مضي عشرين سنة ، فظهر في اللغة الإنجليزية سنة ١٩١٨ على أثر نشوب الثورة الشيوعية .

خلاصة هذا الكتاب أن هناك جماعة سرية مجهولة المكان ولكنها تنتقل على حسب الأحوال من حاضرة إلى حاضرة في مواعيد تتفق عليها ، وتشرف على جماعات مثلها موزعة في أنحاء الكرة الأرضية ، بعضها سري مجهول الرؤساء والأعضاء ، وبعضها علني يشتغل في الظاهر بأمور اجتماعية او اقتصادية ، ويعمل في الباطن على تنفيذ القرارات التي يصدرها « شيوخ إسرائيل » .

هذه الجماعة ترسم الخطط التي تتبع قرناً بعد قرن لإقامة دولة إسرائيل او دولة صهيون ، ووسائلها التي تتوسل بها إلى تحقيق هـــذه الغاية هي نشر الفوضى والفساد في أرجاء العالم وتسليط المباديء المادية على عقول الخاصة والجماهير ، وتشجيع كل حركة ترمي إلى هدم قواعد الأخلاق والأديان ، وحل أواصر الاقوام والاوطان .

طبعت ترجمة هذا الكتاب في انجلترا سنة ١٩١٨ ثم اختفت من المكتبات بعد قليل . وقد تكون الوثائق التي تضمنها الكتاب موضوعة او مقتبسة من وثائق أخرى لم يتمكن الطابع الروسي من الحصول عليها . ولكن الذي يلفت

---

(١) الاساس ٢٠/٨/١٩٤٨ .

النظر في هذا الكتاب ــ كائناً ما كان نصيبه من الصحة ــ أمران بارزان :
أحدهما أن الوسائل التي بذلت في البلاد الانجليزية لمنع إعادة طبعه تدل على
وجود ذلك « النفوذ الخفي » الذي ذكرته البروتوكولات ، فإن حرية النشر في
انجلترا اوسع وأقوى من كل حرية قانونية يتمتع بها الناشرون في سائر البلاد ،
فإذا بلغ من نفوذ العاملين على مصادرة هذا الكتاب أن يمنعوا طبعه في البلاد
الإنجليزية فهو نفوذ لا شك عظيم ، وهو إلى ذلك نفوذ خفي لا يبدو على
ظواهر الأشياء .

وقد يُترجم هذا « النفوذ الخفي » بظاهرة أخرى أشار إليها الكاتب العالمي
المشهور دوجلاس ريد في كتابه الذي نوصي كل عربي يعرف الإنجليزية بالاطلاع
عليه ، وهو كتاب « من الدخان إلى الخنق » From Smoke to Smother
فقال في باب الصهيونية إن عدد النواب الذين يدينون علناً باليهودية في البرلمان
الإنجليزي قد بلغ في إحصاء الصحف الإسرائيلية ثمانية وعشرين ، وإن
الصهيونيين الذين يتوارون بنحلة أخرى يزيد على الستين . وهذا مع أن اليهود
في البلاد الإنجليزية قلة ضئيلة لا يوجد منهم في دائرة انتخابية ما يكفي لانتخاب
نائب واحد من طريق التصويت الصريح .

والأمر الثاني الذي يلفت النظر من كتاب «البروتوكولات » أن وصاياه كلها
تنفذ حرفاً حرفاً في أرجاء العالم خلال القرن العشرين الذي ظهر الكتاب في
البلاد الروسية قبل حلوله بثلاث سنوات . فليكن الكتاب إذن موضوعاً كله
او مزيداً عليه أو صحيحاً كما نشر في اللغتين الروسية والإنجليزية ، فان الحقيقة
التي لا ريب فيها أن « النفوذ الخفي » موجود فعال على صورة من الصور ، وأنه
يعمل على الطريقة التي تضمنتها « البروتوكولات » ويسعى إلى الغاية التي يريدها
أصحاب ذلك النفوذ .

وهذا هو المهم في أمر تلك المؤامرة العالمية التي لم يعرف لها البشر مثيلا في
تاريخهم القديم او الحديث .

ويلوح لنا أن الصهيونيين يعتقدون أن ساعتهم قد أتت وأن المؤامرة قد

شارفت النجاح ، لأنهم يعملون اليوم في مسألة فلسطين عمل الواثق الذي لا يبالي ما يعمل ولا ما يقول ، ويتصرفون في مواجهة أمريكا نفسها – وهي حاميتهم الكبرى – تصرف من يتحدى أصحاب السيطرة هناك ان يمنعوا عنهم المدد ويكفّوا عنهم التأييد ، كأنهم على يقين ان الساسة الذين يخدمونهم في الحكومة الأمريكية يؤدون لهم هذه الخدمة مكرهين غير مختارين .

أبت الحماقة إلا ان تردي اهلها . والصهيونيون احمق الحمقى إذا خيل إليهم ان وسيلة من الوسائل تحقق لهم سيادة على العالم ، ولو طغى عليه الخراب ، ولم يبق فيه عقيدة ولا خلق مما يحاربونه الآن في السر او في العلن . فإن السيادة العنصرية على العالم مستحيلة في كل زمان ، ومستحيلة في هذا الزمان خاصة ، لاتساع العالم عن ان يحصره غرض من الأغراض تريده طائفة من الطوائف او شعب من الشعوب .

لقد كان الصهيونيون احق الناس ان يتعظوا بمصير السيادة العنصرية لو كانوا يتعظون لأنهم كانوا أول ضحية للسيادة الآرية المزعومة في دولة النازيين ، وكانوا أعلم الناس بالقوى الضخمة التي أعدها النازيون لبسط سيادتهم على أوربة ثم بسطها على العالم كله في مدى جيل او جيلين . فزالت هذه القوى في بضع سنوات ، وتركت ألمانيا من بعدها يحكمها من لا يستطيعون الآن حكم المستعمرات ، وكذلك زالت في التاريخ كل قوة طمحت إلى تسخير العالم كله وبسط سيادتها عليه .

لكن الصهيونيين آخر من يتعظ ، وآخر من يستمع لنصيحة ، ولو انهم يعتبرون بالعظات لما ظهر فيهم كل اولئك الأنبياء من إبراهيم إلى السيد المسيح .

إنهم لا يتعظون لان الغرور يخيل إليهم انهم هم الذين أسقطوا الدولة النازية ، وهم الذين أسقطوا الدولة القيصرية ، وهم الذين يسقطون الدولة البريطانية ، ويسقطون كل دولة تقف لهم في طريق . كأنما أسباب السقوط قد محيت من التاريخ فلم يبق منها غير سبب واحد وهو تدبير الصهيونيين .

ولكن هو الغرور الذي يجني على أصحابه ، وطالما جنى عليهم فيما مضى ، وسيجني عليهم لا محالة عما قريب .

فلينتظروا وليتآمروا ، وليكذبوا نبوءتنا لهم كما كذبوا مـــن قبل ما هو أفضل منها وأحق منهم بالإصغاء . فإننا لزعيمون لهم بيوم قريب تنكشف فيه مؤامرتهم لكل عين ، ويحرمون فيه حتى حق الإنتخاب في الامم التي أخطأت فأعطتهم إياه ، وقد يرى الاحياء منهم هذا اليوم في البلاد الامريكية نفسها ومن جراء الصهيونية نفسها ، لان حق الإنتخاب لا يعطى لناخب ذي جنسين !.

إسم لا ينسى (١)

ان اسم الفدائي العظيم الذي فقدناه في ميادين فلسطين لمن الأسماء الخالدة التي لا تنسى في تاريخنا ولا تنفصل عن قلوبنا . وآية ذلك أنه قد أصبح — وهو بقيد الحياة — اسماً من الأسماء التي تتردد على ألسنة المصريين كما تتردد أسماء الأعزاء والأقرباء ، او كما تتردد الأسماء التي طالت بيننا وبين أصحابها عشرة حميمة ومودة قديمة . ومع الإكبار الذي لا يعلوه إكبار والحب الذي لا يفضله حب لم أسمع مصريا يذكر « احمد عبد العزيز » إلا كما نذكره هنا بغير وصف وبغير تلقيب .

لقد أصبح من الأسماء التي يغنيها مجرد ذكرها عن أشرف الألقاب.

وكل ما سمعناه من سيرة هذا الفدائي العظيم ، قبل القتال وفي أثناء القتال ، يدل على أنه بطل خلق من معدن البطولة ، ورجل ولا كالرجال ، وطراز من أبناء الإنسانية لا تلقاه كل يوم ولا تصادفه في كل مجال .

لست أعني بذلك تلك الشجاعة التي كان وصف الفقيد بها من قبيل تحصيل الحاصل ، فان جيشنا بحمد الله حافل بالشجعان من الضباط والجنود . ولست أعني به تلك الحماسة التي تصبغ كل عمل تعمله بصبغة القداسة والفداء . فإن الحماسة وحدها صفة نبيلة عالية ، ولكنها لا تحسب من صفات العظمة إلا إذا اقترنت بالفطنة والبصيرة .

---

(١) الاساس ١٩٤٨/٨/٢٦

ولكنني أعني تلك الحماسة المثاليـــة ، تلك الحماسة النيرة المستقلة ، التي لا تقتدى بمثال ولكنها تصلح مثالا لغيرها من طلاب البطولة وعشاق الأبطال . تلك هي حماسة البطولة في معدنها الصحيح.

وقد كان كل عمل من أعمال الفقيد العزيز ينم عليها ويعطي الامثولة منها لغيره ، سواء منه ما عمله في ميادين فلسطين ، او ما عمله قبل ذلك في وظائف الجيش والكلية الحربية . فقد تصدى لكل واجب بما أملاه على نفسه ، لا بما تمليه عليه الوظيفة ، او بما تمليه عليه المصلحة العامة .

وقد كان ينظر إلى كل شيء تلك النظرة الواسعة التي لا تتقيد بالظروف الموقوتة او بالحاضر المحدود ، كأنما كانت نفسه الطموح لا تعيش في بنية إنسان واحد ، بل تعيش في بنية أمة كاملة ، تتطلع إلى أجيال طوال .

تسمع كلامه عن السودان فكأنما تصغي إلى التاريخ يتكلم.

وتسمع خطابه إلى جنوده البواسل فكأنما يفتح أمام أعينهم سجلا عامراً بآلاف السنين .

وتدق الساعة في فلسطين فإذا هو لا ينتظر رأيا ولا يستملي الرأي من أحد، بل يخف إلى العمل بحافز من ضميره ، وأي عمل ! لكأنه عمل رجل يملك ألف حياة ، فلا يضن بحياة منها على موقف خطر ، ولا يتردد بحياة منها في موقف إقدام ، ولا يبالي ما يصيبه إذا وجبت إصابة عدوه ، وقد أصابهم بما يعجز عنه مئات وألوف .

ووالله لو تمنح الأجساد لأمثال هذه النفس ، لقد ضمن « أحمد عبد العزيز » أن يوهب له جسد كلما أبلى جسداً في معترك جهـــاد ، ولافتدى هذا الفدائي العظيم مئات وألوف . ولكنها نفس لا يصلح لها كل جسد. نفس فدائية تعرف كيف تفتدي ولا تحتمي بفداء .

وتلك هي عظمة العظيم .

وذلك هو المصاب العظيم فيه .

* * *

وإن خصائص البطولة لتتجلى في أعاجيب القدر التي تحيط بسيرته كما تحيط بسيرة كل بطل .

ولد في جنوب الوادي ليؤدي رسالته باسم الوادي كله ، في الوقت الذي اتحد فيه عمل مصر والسودان لوادي النيل . ولقي الاعداء في كل ملتقى ، وقاتل في كل لحظة من لحظات القتال . ثم نجا من الحرب ولم ينج من الهدنة ، وأصابه القدر حيث لا يفخر بمصابه عدو ، وإن غص به أصدقاء يفدونه لو استطاعوا بكل ما يملكون من فداء .

سيرة بطل من المولد إلى الممات، وهي ذخر بين ايدينا ، وتراث نافع للمقتدين بها ، وواجبنا نحوها أن نستبقيها ، ونستبقي منهـــا دروساً تشحذ الهمم وتملأ النفوس بالثقة ، وتجزي الفقيد حقه علينا من الذكر وعرفان الجميل ، وهو حق ليس بالكثير على رجل لم يستكثر في سبيل بلاده خطراً من الاخطار .

إن الخزن على مثل هذا الفقيد هو وفاء العاطفة التي لا حيلة لنا فيهـــا . ولكن ضمائرنا تطالبنا بواجب أجدر من هذا بالامم الحية والامم العارفة ، وهو تخليد سيرته النادرة في ترجمة وافية تليق بنا وتليق بصاحبها . ولا شك أن وزارة الدفاع وزملاء الفقيد في نشأته الاولى ، وفي كل مرحلة من مراحل حياته المجيدة ، مطالبون بواجبهم في جمع ما تفرق منها ، وإعدادها لمن يتوفر على تدوينها وشرحها ، ويشرّف كل كاتب مصري أن يؤدي هـــذا الدين المفروض على كل صاحب قلم في هذا البلد لبطل كريم طالما عُنيت أمم أخرى بمن هو دونه من أبطال الكفاح وأبطال الفداء .

رحمه الله وأحسن مثواه ، وعزى فيـــه أبناء مصر جميعاً ، وكلهم مفجوع فيه ، وكلهم من ذوي قرباه .

نقاوة عينهم (١)

اضرب يا نقاوة عيني .

مثل من أمثلتنا الشعبية ، يقال إنه جرى لاول مرة على لسان فتاة مدللة معجبة بجمالها ، كانت وحيدة عند أبويها فلم يخالفاها في رغبة من رغباتها ، وحانت سن زواجها فعرضا عليها الخطاب من أجمل فتيان القرية واكرم ابناء البيوتات فيها ، فجعلت ترفضهم واحداً بعد واحد لانهم لا يعجبونها ، حتى أعجبها خاطب رأته فاستملحته وقبلت ان تتزوج به لانه « نقاوة عينها » .

ولكن « نقاوة عينها » هذا لم يمهلها اياماً حتى تنمر لها وأساء معاملتها ، وطفق يضربها كلما اختلف معها ، فلم تستطع ان تشكوه إلى اهلها ، ولم ينفعها ان تشكوه إلى اهله ، لانه لم يكن له اهل يردعونه . فلم تجد لها حيلة في قسمتها إلا ان تتلقى الضرب وهي صابرة ، ولا تزيــد على ان تقول لذلك الزوج المتنمر : اضرب يا نقاوة عيني . اضرب لانني ضربت نفسي !

إن الدولة العظيمة — دولة الولايات المتحدة التي تحسب اليوم ان كل بقعة في العالم ولاية من ولاياتها — تستطيع ان تدلل عصابة إسرائيل كما دللتها ، ولا تستطيع ان تزيد على كلمة الفتاة الريفية كلما جاءتها ضربة من يــد تلك العصابة . فلم تمض اشهر قليلة على اعتراف الدولة العظيمة بعصابة إسرائيل ، حتى كان موظف من موظفيها المستظلين بعلمها أسيراً في يــد فرد من افراد

---

(١) الاساس ٢٧ - ٨ - ١٩٤٨

العصابة ، يعتقله يوماً ليستجوبه ، وينهال عليـــه بالضرب والسب في أثناء استجوابه ، فعلم بالامر مندوب الدولة العظيمة ، واحتج على نقاوة عينهـــا ، وقال « إن هذا الحادث دليل على عجز الحكومة العسكرية عن تقرير النظام وبذل الحماية اللازمة من عدوان الإرهابيين » .

علم مندوب الدولة العظيمة هذا ، ولم يتسع الوقت للدولة العظيمة ان تعلمه قبل الاعتراف بالعصابة لانها اعترفت بها في خلال عشر دقائق وليست عشر دقائق بالمدة الكافية لتصفيقة الفرح ثم تلقي الضرب من نقاوة العين ! واعتذرت العصابة كما قيل . بماذا ؟ بالغدر الوحيد الذي يليق بمثلها ، وهو ان « الإرهابي » الذي تطوع للقبض على الموظف الأمريكي قد حسبه إنجليزيا من الإنجليز الذين يتعقبهم الإرهابيون لأنه على شبه منه عظيم .

ولا تحتاج الدولة العظيمة إلى اكثر من عشر دقائق لتعلم من هذا الاعتذار أنها أمام عصابة من اللصوص ، وانه لا أمان مع هذه العصابة لأحد من الناس .

ففي كل لحظة يستطيع « إرهابي » من سلالة إسرائيل أن يقبض على من يشاء ، وان يضربه ويعتقله ويسأله ويستجوبه وليس في يده أمر بالقبض ولا أمر بالتحقيق . وتعتذر العصابة من هذا الخطأ لانه خطأ في شخص المعتقل الذي جنى عليـــه شبهه بالفريسة المقصودة . أما ان يكون الشخص المعتقل هو الفريسة المقصودة فلا محل إذن للاعتذار ، وليس في عمل الإرهابي خطأ يلام عليه . ففي هذه الحالة يجوز الاعتقال ويجوز الضرب والإيذاء ، ويجوز التحقيق لمن لا يملك أمراً بالتحقيق ، لأن القبض والاعتقال والتعذيب حق لكل إرهابي في زمرة كل عصابة بغير حاجة إلى تفويض او قرار من حاكم او ذي اختصاص .

هذا والمعتقل المغلوط فيه من رعايا الدولة الأمريكية التي تملك الجيوش والأساطيل والقنابل الذرية والدولارات ، وتملك في عشر دقائق أن تعترف بدولة جديدة ، وإن كانت من عصابات الصهيونية . وهذا والمعتقل المقصود من رعايا الدولة البريطانية التي تعتبر من دول العالم الكبرى ، ولا يضيع صوتها في أنديـــة العالم ولا في مجالس الأمم المتحدة . فكيف يكون شأن العربي الذي أسلمته الدولة العظيمة بقرار التقسيم إلى تلك العصابات ، وجعلته رعية لها

يعيش في ظلها ويأمن معها على المال والعرض والحياة ؟

كيف بالعربي الأعزل الذي جعلته الدولة العظيمة في عشر دقائق رعية لتلك العصابة ؟

كيف يبقى عربي واحد في بلاد يحكمها هؤلاء اللصوص ولا يرى فيها المحكوم مرجعاً غيرهم للشاكي ولا موئلا غيرهم للمظلوم ؟

أيتوقع آدمي يعقل ما يصنع مصيراً لمئات الألوف من العرب في ظل تلك العصابة غير التعذيب والتنكيل والهيام في الفلوات والحرمان من القوت والامان ؟

وهذا ما حدث في بضعة أسابيع .

هذه جرائره يشاهدها الناس فيمن بقي بقيد الحياة في فلوات فلسطين من كل لاجيء ولاجئة وكل شيخ هرم ، وكل طفل لا عائل له ، او كل طفل يعوله من هو أحوج منه إلى العائلين .

ويتحدثون في الغرب العظيم ـ الغرب المحترم ـ عن الإنسانية المعذبة ،وعن الإنسانية الكريمة وعطفها على المظلومين المشردين من الصهيونيين !

قبحاً لها من عظمة خاوية تلك العظمة التي يُدل بها الغرب على أُمم العالم . إنها عظمة نستطيع نحن الضعفاء أن ننظر إليها بحمد الله نظرة اشمئزاز واحتقار .

لقد هالنا هذا الغرب بضخامته الكثيفة فشاء الله ان يعلمنا كيف نحتقر ما يهولنا ، فإن هذا الغرب وايم الله لحقير حقير ولو كان عنده أضعاف ما عنده من عتاد ومال ، ومن قذائف وجيوش .

ولقد تعلمنا شيئاً من محنة فلسطين إذا تعلمنا من دروسها الكثيرة كيف نرفع كابوس الغرب عن عقولنا ونفوسنا ، فنخلص من هذا العقال ونرجو الخير من هذا الخلاص ولعله غير بعيد.

اليهود في العالم العربي [1]

ترد الأنباء من فلسطين وغيرها بأن عصابات الصهيونيين تتلقى المدد من السلاح والمئونة مهرباً من أعوانهم في الأقطار الشرقية .

وفي الشرق الادنى ـ بين الاقطار العربية وغيرها ـ أكثر من ثلثمائة ألف يهودي يملكون من الثروة ومن أزمة العمل الاقتصادي ما يفوق نسبتهم العددية في هذه الاقطار .

ومن تحصيل الحاصل ان يقـــال ان بعض هؤلاء يخدمون الصهيونيين ولا ينظرون إلى الاوطان التي يعيشون فيها نظرتهم إلى أوطان يدينون لها بالولاء ويتحرجون من الاضرار بها في سبيل المآرب الصهيونية .

من تحصيل الحاصل أيضاً ان يقال إن الاقطار الشرقية لم تضطهد اليهود قط لانهم أبناء نحلة دينية ، ولم تفرق قط بينهم وبين ابنائها في الحقوق الوطنية ، وإنها لا تغير هذه الخطة في معاملة يهودي يخلص للوطن الذي يعيش فيه ويرعى له حقوق الامانة والولاء .

لكن هذه البلاد لا تستطيــع بحال من الاحوال ان تسبــغ حقوقها الوطنية على أناس يحاربونها وينتفعون بتلك الحقوق للايقاع بها ومعاونة اعدائها عليها .

هؤلاء صهيونيون قبل كل شيء ومن الواجب على كل أمة شرقية ان تحول

---

(١) الاساس ١ - ٩ - ١٩٤٨

بينهم وبين الكيد لها والتآمر عليها .

وقد عرفنا موقفنا من عصابات الصهيونية في فلسطين ، وليس من العسير ان نعرف موقفنا من الصهيونية التي تعمل في احشاء البلاد العربيـــة ، لاننا نستطيع ان نعرف الوسائل التي يمكن ان يعتمد عليها هؤلاء الصهيونيون ، فنحول بينهم وبين الاعتماد عليها .

ان الوسائل هنا هي المهمة .

فاذا امتنعت هذه الوسائل فلا حاجة إلى اجراءات اخرى تتناول الاشخاص او الطوائف ما داموا ملتزمين لحدود العمل المشروع .

وليكن الصهيونيون بين يهود البلاد الشرقية كثيرين او قليلين ، فاذا حيل بينهم وبين خدمة الصهيونية في الخارج فهذا هو المقصود ولا حاجة بعده إلى اجراء غير هذا الإجراء .

من هذه الوسائل ترويج المذاهب الهدامة وفي مقدمتها الدعوة إلى الشيوعية.

ومنها إنشاء الجماعات التي لا يعرف لها غرض محلي صريح ، ولكنها تتصل بالجماعات في الخارج وتنتحل ما تشاء من الأغراض لاخفاء غرضها الاصيل.

ومنها إفساد العلاقات بين بلاد الشرق والامم الاخرى وتسخير السياسة الوطنية في المساومات بينها وبين الدول الاجنبية .

ومنها السيطرة على زمام الحركة الاقتصادية من طريق التحكم في معاملة البيوت الكبرى او المصانع المشهورة .

وربما كانت هذه الوسيلة اهم الوسائل التي يعتمد عليها اعوان الصهيونية في الشرق وفي سائر اقطار العالم .

فاذا استطاعت شرذمة ولو قليلة من الصهيونيين ان تتحكم في سير المعاملات الخارجية فهي مستطيعة بهذه الوسيلة ان تسخر الكثير من أبناء الوطن لنفسها وهم يعلمون ما تريد او لا يعلمون .

ويجب الا نخدع انفسنا عن الحقيقة .

فان الصهيونيين بين ظهرانينا لا يعملون كل شيء بأيديهم ، لانهم قليلون بالقياس إلى الأمم التي يعشون فيها ، ولانهم يحرصون على التستر ولا يحبون ان ينكشفوا للامة ولا للحكومة فهم ولا شك يستعينون بأناس من ابناء الامة يسوقونهم كرها او يخدعونهم بالرشوة والاغراء .

و كل هذا لا يقدرون عليه ما لم تكن في ايديهم ازمة اعمال تجارية واقتصادية يتحكمون فيها ويتوقف الكثير منها على المعاملات الخارجية او على التواطؤ بين بعض المصالح الداخلية .

فاذا لم تكن في ايديهم ازمة هذه الاعمال فهم عاجزون عن العمل بأنفسهم وعاجزون من باب اولى عن تسخير غيرهم .

وعلاج هذه الآفة كلها هو تحقيق الحرية المطلقة في العلاقات التجارية والاقتصادية بيننا وبين الامم الاخرى .

نقضي على الوساطة المتآمرة فنقضي على اسلحة الصهيونية كلها ولا نترك لها قوة ظاهرة او خفية .

وبلادنا بحمد الله تبيع ما يحتاج الشارون إليه ، فلا خوف عليها من تواطؤ السماسرة والوسطاء ، ولا حائل بينها وبين حرية المعاملة على اساس صريح.

في مصر سبعون ألفاً من اليهود وفي سوريا ولبنان نحو اربعين ألفاً ، وفي العراق مائة ألف ، وفي إيران اربعون ألفاً وفي تركيا ثمانون ألفاً من اليهود الظاهرين .

لكن بين هؤلاء من يكون من اعوان الصهيونية .

انهم على كل حال نسبة ضئيلة إلى ابناء هذه الامم وهم يبلغون سبعين مليونا او يزيدون .

إنما يتحقق لهم النفوذ الذي يخدمون به الصهيونية من احتكار المعاملات الخارجية .

فاذا ارتفع هذا الحجر عن تجارة الامم الشرقية فالدولة الملفقة ، نفسها

لا تستطيــع البقاء ، لانها تطمع في البقاء من طريق هؤلاء الاعوان المندسين بين الشعوب العربية والشعوب الشرقية على العموم ، وليس في ايدي هؤلاء الاعوان سلاح ينفعونها به إذا انكسر في ايديهم هذا السلاح .

ان الصهيونية تريد ان تحاربنا في داخل اوطاننا ، ولكننا نحن اقدر على محاربتها من داخل اوطاننا إذا قضينا على وسائلها بيننا،وقد تكون هذه الحرب افعل في القضاء عليها من حرب الميدان .

الجامعة العربية والدعوة العنصرية [1]

تقوم القضية بين العرب والصهيونية على اختلاف بينهم في فهم الدعوة العنصرية . فالصهيونيون يفهمون من دعوتهم العنصرية أنها مؤامرة في وجه العالم كله ، او أنها حركة يراد بها ، سراً وعلانية ، تسخير العالم لمصلحة عنصر واحد . فالصهيونيون لا يدعون أحداً إلى دين ، ولا يسرهم أن يدخل أحد فى دينهم ، لأنهم يعتبرون أنفسهم أسرة تشترك في أوامر اللحم والدم ، ولا يحبون ان يقاسمهم أحد في قرابتها ، كما تكره كل اسرة ان ينازعها أحد في نصيبها . وهم لا يبالون بهدم الأديان والعقائد ، بل يسعون جهدهم إلى هدمها ، لأنها هي العقبة التي تحول بينهم وبين سيادتهم على الأمم كافة . وقدترى منهم ملاحدة ينكرون دينهم كما ينكرون أديان غيرهم ، لانهم يعملون لسيادة عنصر واحد او قومية واحدة ، فإذا ذهب دينها بقيت لها عصبيتها القومية ، وهي كافية لتحقيق السيطرة على العالم من طريق المال ، لذرية إسرائيل . لهذا تنعقد الصلة الوثيقة بين الصهيونيه والشيوعية ، لأنهما يتفقان معاً على هدم كل شيء ، وتسخير الجنس البشري بعد ذلك لمن بأيديهم زمام المادة والشئون المادية .

أما العرب فما فهموا الدعوة العنصرية قط على هـذا المعنى لإبليسي الذي لا يليق بالآدمية . فدعوتهم العنصرية في الزمن القديم او في الزمن الحديث ، لم تتجه قط إلى سيادة الجنس العربي على الأمم الأخرى ، ولم تكن قط تمييزاً

---

(١) مجلة الإذاعة ١١ سبتمبر ١٩٤٨

عنصرياً بين العربي وغيره من الشعوب . فلما نهض الدين الإسلامي بالعرب قبل أربعة عشر قرناً ، لم ينهض بهم للتغلب على العالم ، بل لهداية العالم ، وجعل شعارهم في دعوتهم أنه « لا إكراه في الدين » وأنه لا فضل لعربي على اعجمي ، ولا لقرشي على حبشي إلا بالتقوى. فمن قبل الإسلام وآمن بدعوته فهو والعربي سواء في كل حق ، سواء في تكليف ، سواء عند الناس وعند الله، لا فضل لاحد منهم على احد إلا بالعمل الصالح وصدق الإيمان .

أما في العصر الحديث فقد أنشأ العرب لهم جامعة واحدة ، لصد العدوان عن أنفسهم ، لا لقصد العدوان على غيرهم ، ولم يتفقوا لتسخير الامم بل لمنع الامم من تسخيرهم ، وقوام دعوتهم كلها هو حق البقاء ، وهو حق معترف به في كل قانون ، معترف به لكل إنسان ، بل هو اكثر من حق لانه واجب على جميع الاحياء .

فالخلاف بين العرب والصهيونية هو خلاف بين حق مشروع وبين مؤامرة جهنمية يصاب بها جميع بني الإنسان .

ومن العجيب أن كلمة العنصر او الراس Race في اللغات الاوربية مأخوذة من كلمة الرأس العربية، بمعنى رأس الشيء او اصله او عنصره الاصيل، ولكن العرب هم وحدهم الذين جردوها من معناها البغيض ، واطلقوها على المعنى الصحيح الذي لا يضير احداً من الناس ، على اختلاف الاصول .

***

ان الدعوة العنصرية غير الفخر بالعنصر او الفخر بالقومية . فإن الفخر بالقومية عادة في الطباع، تميل اليها الامة بفطرتها كما يميل اليها كل فرد بفطرته ، وكل فتاة بأبيها معجبة كما يقولون . وقد كانت كل أمة في الزمن القديم تفخر بنفسها وتفضل جنسها على غيره من الاجناس البشرية . كان المصريون يفخرون بعنصرهم على العناصر الاوربية والآسيوية . وكان اليونان يصفون غيرهم بالبربرية ويحصرون المدنية في القبائل الإغريقية . وكان العرب يسمون غيرهم بالاعاجم ، ويفخرون عليهم بالفصاحة وعراقة الانساب . وكذلك كان

اهل فارس والهند والصين . وكذلك كان الاوربيون المحدثون وغير الاوربيين المحدثين .

ولكن الفخر بالعنصر شيء وتدبير المؤامرات على العالم سراً وعلانية شيء آخر . تلك عادة في كل نفس قد يكون منها الخير ، وقد يكون منها التنافس على السبق والتقدم . اما هذه فهي جريمة تصيب المعتدى عليه ، ولا يقوم عليها صلاح النـــاس اجمعين ، ولا صلاح العنصر الذي يدعي لنفسه حق السيادة على الناس. وهي آفة من آفات العصر الحديث لا ترجع إلى زمن قبل القرن السابع عشر ، ولا تقوم على أصل معقول ، بل تقوم على اصول فاسدة ثبت بطلانها واحداً بعد واحد ، لانها من الأوهام العارضة التي لا يرجى لها بقاء .

واصولها كلها يمكن ان تنحصر في ثلاثة أوهام ، او ثلاث آفات ، وهي تجارة الرقيق ، ونزعة الاستعمار ، ومباديء الرجعية التي اقترنت بالثورة الفرنسية . فالاحرار الذين استنكروا تجارة الرقيق كانوا يدعون إلى الغائها باسم المساواة في الكرامة البشرية بين جميـع الناس على اختلاف الالوان والاجناس ، فلا يجوز ان يباع إنسان كما تباع الماشية ، وان يتجر فيه إنسان آخر كما يتجر في السلعة والحيوان الاعجم . وكان اصحاب المصلحة في هذه التجارة يرفضون دعوة إلى المساواة بين البشر، ويزعمون انهم خلقوا من اصولهم فريقين متفاوتين : فريق للسيادة ، وفريق للسخرة والطاعة ، ويتعللون لذلك بعلل واهية ، يرجعون ببعضها إلى الدين ، ويرجعون ببعضها الى العلم، ويرجعون ببعضها الى السوابق والعادات . ومع هذا حكمت الإنسانية حكمها الاخير على تجارة الرقيق ، فليس من يجرؤ على الدفاع عنها في هذه الايام .

ولما نزعت أوربا إلى الإستعمار وجدت انها في حاجة إلى مسوغ لسيادتها على الشعوب المستعمرة ، فاخترعت قصة « الرجل الابيض » ورسالة الجنس الأوربي في تمدين شعوب العالم ذات الالوان، واخترعت لها حججاً شتى لم تبق منها الآن حجة واحدة قائمة على قدميها ، فأصبح الغربيون اليوم يتسللون من مستعمراتهم او ينتحلون لبقائهم فيها ذريعة غير ذريعتهم الاولى في تسويـغ الاستعمار .

وقد اشتعلت الثورة الفرنسية للقضاء على التفاوت بين الطبقات ، فكانت الطبقة الحاكمة تنكر المساواة بين الطبقات في الامة ، وتعزز مذهب القائلين بالتمييز بين الحاكمين والمحكومين ، لان الحكم صناعة لا يحسنها كل من تطلع اليها وينبغي ان تنحصر ، وان تظل محصورة ، فيمن ميزتهم الفطرة بالقدرة عليها ، وهم طبقة النبلاء والاشراف .

وذهبت هذه الدعوى كما ذهبت دعوى المدافعين عن تجارة الرقيق ودعوى المدافعين عن رسالة الرجل الابيض ، او سياسة الاستعمار . إلا ان هذه الآفات لم تذهب قبل ان تفعل أفاعيلها في الاقطار الاوربية وفي غيرها من الاقطار . فرأينا النازية في ألمانيا تنادي بسيادة السلالة الآرية على جميع السلالات البشرية . ورأينا الفاشية تنادي بسيطرة الرومان على العالم في الزمن الحديث كما سيطر الرومان عليه في الزمن القديم . ورأينا الصهيونية ترفع رأسها ولا تقنع بدفع الذل والهوان عن عشيرتها ، بل تطمح الى تسخير الشعوب ، او تسخير «الجوييم» . كما يسمون هذه الشعوب جميعاً ، لان الصهيونيين هم شعب الله المختار ، ولان الشعوب الاخرى قد خلقها الله ليرفضها في النهاية ويجعلها نهباً مباحاً لابناء إسرائيل .

وقد زالت النازية ، وزالت الفاشية ، وستزول الصهيونية لا محالة كما تزول كل دعوة عنصرية . ولكن البلاء إذا سلط على احد خدعه عن نفسه فظن انه نمط وحده ، وان ما جرى على الناس من قبله لا يجري عليه .

وهكذا يظن الصهيونيون :

يظنون انهم اذكى وادهى من النازيين والفاشيين ، ويظنون ان وسائلهم احكم واخفى من وسائل هؤلاء وهؤلاء ، ويظنون انهم سيفلحون حيث اخفق الجرمان والطليان ، لانهم يختلسون القوة ويعملون في الظلمة ولا يبرزون للناس سافرين بالكيد وسوء النية ، وانهم يفسدون الامم حتى تكون عوناً لهم على نفسها ، كأنما الامم إذا فسدت هذا الفساد بقي في الدنيا من يستطيع ان ينتفع بفسادها على اي نحو من الانتفاع .

ولا بد لطالب المحال من ان يخدع نفسه ، لأنه لو لم يخدع نفسه لما طلب

المحال ، وكيف ينخدع القوم إن لم ينخدعوا بمثل هذا الضلال ، وسينكشفون او ينكشف عنهم الغطاء .

ومهما تكن عند امريء من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وسيطغيهم النجاح فتقع الفتنة بين صفوفهم كما تقع الفتنة في كل عصابة من المتآمرين تتصدى لمطلب فوق طاقة الآحاد وطاقة الجماعات . فإما ان يهبط العالم الإنساني الى الحضيض،وإما ان تزول الصهيونية ، وزوال الصهيونية اقرب من هبوط العالم الإنساني كله إلى الحضيض .

وتظل القضية العربية على جليتها قضية بين خصمين : احدهما يريد الشر بالعالم والآخر يدفع الشر عن نفسه .

وليس احق بالبقاء ممن يؤمن لنفسه ولغيره بحق البقاء .

علم النفس والصهيونية [1]

نشأ علم النفس على أيدي جماعة من الباحثين الثقات تكلموا فيه بتحفظ شديد والتزموا أمانة العلم فوقفوا بملاحظاتهم عند حدود الظن والترجيح ، ولم يتورطوا بها في أحكام جازمة لا تسمح بها طبيعة هذا العلم ولا طبيعة المعلومات التي ينبني عليها ، وهي في الغالب خواطر ونزعات تتسع للخلاف الكثير عند التعليل والتفسير .

واستهوت هذه البحوث الجديدة كثيراً من المشغولين بالنفسيات والعقد النفسية ، ومنهم من هم مصابون بعقدة من هذه العقد ، او من هم في الواقع محل لتجارب الأطباء النفسانيين ينتظرون العلاج لأنفسهم ولا يرجى منهم خير في علاج الآخرين .

لهذا أصبحت كلمة « العقدة النفسية » على لسان من يعقل ومن لا يعقل ، وأصبحنا نسمع تفسيراً « بالعقدة النفسية » لكل عمل من الأعمال الطبيعية او غير الطبيعية .

فالذي يفضل لونا من الألوان مصاب بعقدة نفسية ، والذي لا يفضل لونا على لون مصاب بعقدة نفسية ، ويتهم بالعقدة النفسية من يشتهي طعاماً بعينه ، ويتهم بها كذلك من يأكل من كل طعام .

---

(١) الاساس ١٩٤٨/٩/١٦

وقد يحب الرجل المرأة الشقراء فيقال انها علة نفسية ، ويعرض عن المرأة الشقراء فيقال أيضاً انها علة نفسية ، واختلط الأمر على هذا المنوال، حتى أصبح عرضاً من الأعراض التي يشتغل بها النفسانيون .

وانتقل البحث من علل الأفراد إلى علل الجماعات ، فدخلت فيه المخرقة السياسية وامتزجت به أنواع الدعاية لكل من يهتم بالدعاية بين الجماهير ، وكان من هذه الأعراض التي تناولتها المخرقة العلمية مسألة الصهيونية وانتشار الكراهية للساميين بين الأوربيين وغير الأوربيين ، وهم يعنون بكراهة الساميين دائماً كراهة اليهود او كراهة العاملين منهم لترويج الصهيونية العالمية . فسرعان ما لاح « للباحثين » ان كراهة الصهيونية هذه ضرب من العلل النفسية التي نصاب بها الجماهير من جراء اختلال الاعصاب في العصر الحديث .

وإذا تذكرنا أن « فرويد » كان يهوديا وكان من أئمة هذه المباحث الحديثة ، وتذكرنا ان نسبة اليهود من تلاميذه وتلاميذ أمثاله تربي على نسبة الأطباء النفسانيين من كل أمة ، لم نعجب كثيراً لاتجاه البحث — او اتجاه المخرقة العلمية — إلى هذه الناحية التي تناقض كل أمانة يتصف بها العلماء ، وعرفنا مربط الفرس كما نقول في الأمثال .

فالعالم الذي يزعم انه عالم ثم يعلل كراهة الساميين، او كراهة الصهيونيين، بتلك العلة السخيفة لا يتبع منهجاً واحداً من مناهج البحث الصحيح التي لا بد من اتباعها في هذه الأحوال .

إذ ليس لأحد ان يتهم كاره الصهيونيين بعلة من العلل فسرعان النفسية حتى يجزم بأن الصهيونية لا تستحق الكراهية ، وان كراهتها من ثم ليست بالظاهرة الطبيعية التي تجري مجرى الشعور المألوف ولا بد لها إذن من تفسير غير مألوف .

فالظاهرة التي يسمونها الآن بكراهة السامية لم يخل منها تاريخ اليهود قط في عصر من عصور الزمن القديم او الزمن الحديث .

ظهرت معهم حين كانوا في جزيرة العرب قبل اربعة آلاف سنة . وظهرت معهم حين نزلوا بين البابليين ، وظهرت معهم حين هجروا ارض بابل إلى جوار

الكنعانيين وسكان فلسطين الأقدمين، وظهرت معهم حين رحلوا إلى وادي النيل، وظهرت معهم في زعمهم حين خرجوا من وادي النيل، وحين تفرقوا بعد ذلك في أرجاء العالم القديم ثم تفرقوا في ارجاء العالم الحديث.

فهل كل هذه الأمم مصاب بخلل الأعصاب، او مصاب بعقدة نفسية تحتاج إلى تفسير؟

ان البحث الصحيح يتقاضانا قبل كل شيء ان نرجع إلى حالة المكروهين قبل ان نتهم الكارهين جميعاً بهذه التهمة التي لا تجوز في عقل من العقول.

وإذا رجعنا إلى حالة المكروهين وقعنا على علة هذه الكراهية لهم من أقرب سبيل.

فأنبياء التوراة من موسى إلى حزقيال يصفونهم ويعيدون وصفهم من جيل إلى جيل بالتمرد ونكران الجميل وصلابة الرقاب او غلظ الأعناق.

وتاريخهم فيما بينهم – فضلا عن تاريخهم مع غيرهم – هو سلسلة من الفتن والضغائن وخلق العصبيات واثارة الشحناء والتحاسد بين الأقربين وبين الأبعدين لأهون الأسباب.

وأمثال هؤلاء يقابلون بالكراهية في كل طبع سليم، ولا تحتاج كراهيتهم إلى بحث عن العقد الخفية او عن أسرار الأعصاب في الآحاد او الجماعات.

أما لماذا كانوا كذلك في جميع تاريخهم فهو أيضاً شيء معروف لا يلجئنا إلى خفايا العقد وزوايا الأحاجي والألغاز.

لقد كانوا كذلك لأنهم وصلوا إلى طور القبيلة ووقفوا عنده لا يتحولون عنه بحكم الوهم الذي ساورهم وأدخل في روعهم انهم شعب الله المختار.

وإذا عاشت قبيلة معزولة في عالم واسع فلا جرم تنعزل فيه وتجر على نفسها الريبة والبغضاء، وتزداد البغضاء لها كلما وقر في نفسها أنها «شعب الله المختار» لاستغلال العالم وابتزازه لا لهدايته إلى دين او التبشير فيه بعقيدة يشترك فيها جميع الأقوام.

نظن ان المسألة إذا كانت واضحة هذا الوضوح، بسيطة على هذا النحو من البساطة، لا تخفى على العالم الباحث ولا تلجئه إلى اتهام الدنيا بأسرها، إلا

إذا كان واحداً من اثنين : احدهما انه ليس بعالم باحث ، والآخر انه يتعمد اللف والدوران ليبتعد عن السبب الصحيح .

ويقال هذا عن « العالم المزعوم » ولو ألقى كلامه في مجمع تقدم العلوم البريطاني ، او ألقاه حيث شاء في هذه الآونة على الخصوص .

فاننا لا نفهم لماذا ينهض عالم من العلماء – كما جاء في أنباء العاصمة الإنجليزية – ليبريء الصهيونية في هذه الأيام خاصة ويتهم الأمم جميعاً باختلال الأعصاب من اجل كراهة قوم ظلوا مكروهين من اقدم العصور وبين جميع الشعوب ؟

لا نفهم ذلك إلا على وجه واحد : وهو انه سر يحتاج إلى بحث في العقد النفسية ، او إلى بحث عن ذلك المفتاح النفيس الذي يحل العقد ويطلق عقال الالسنة والاقلام .

وباءوا بغضب من الله (١)

مرة واحدة – قبل نحو ثلاثين قرنا – قامت للعشائر الاسرائيلية مملكة في إصطلاح تلك الأيام . وإذا رجعنا إلى سجل تلك المملكة في كتب اليهود أنفسهم – وفي مقدمتها التوراة العبرية – تبينت لنا حقيقتها التي لا ريب فيها ، وهي انها لا تزيد على عصابة متمردة تجري على شريعة العصابات في السطو والغدر وسلب الأموال والأعراض ودوام الشقاق في داخلها وفي خارجها ، لغير سبب يستحق الشقاق . ولن تستطيع قوة في الارض أن تعيد لهؤلاء القوم دولة تعرف لها صبغة غير هذه الصبغة ، وتصلح لحكم نفسها فضلا عن حكم الآخرين .

وفي مقتل برنادوت شواهد من الحاضر تعزز شواهد التاريخ ، بل تدل على أمور تقصر عن الدلالة عليها أقوال المؤرخين . لا يوجد صهيوني قديم ولا حديث يعتقد في قرارة نفسه ان احداً يساعده طائعاً مختاراً لأنه يراه اهلا للمساعدة . فلا اعتراف عندهم بجميل ، ولا شكران عندهم على جميل . لانهم يعلمون من دخيلة طواياهم انهم لا يستحقون المساعدة من احد ، وانهم يكيدون للناس ولا ينطوون لهم على خير ، وانهم يخدعونهم ويجبرونهم بحكم الحاجة اليهم . فاذا حصلوا منهم بعد ذلك على مساعدة فانما هي مساعدة المجبر او المخدوع .

لهذا لم يشكروا هيئة الامم المتحدة على ما صنعت لهم ، وهو شيء عظيم تجاوز حدود المحاباة ، بل حدود التدليل . لم يشكروها لأنهم يعتقدون انها

---

(١) الاساس ١٩٤٨/٩/٢٠ .

مضطرة إلى سلوك هذا المسلك مع الصهيونية ، ويعتقدون ان ترومان لايستطيع ان يفعل غير ما فعل ، وأن الدول الاخرى منقادة للولايات المتحدة بدافع من الحاجة اليها . وهم لاجل ذلك يحسبون انهم في حل من خرق الهدنة ، ومن اقتراف أشنع الجرائم ومن الاجتراء على إهانة الامم المتحدة في أبشع صور الاهانة ، ولا يخسرون بعد ذلك شيئاً من مساعدتها . ولولاهذه العقيدة الراسخة في أعماق طبائعهم لما اجترأوا على مقتل الكونت برنادوت وهم لا يكسبون به شيئاً من هيئة الامم المتحدة ، ان كانوا يحسبون انهم يكسبون من سياسة هيئة الامم او يخسرون بمحض اختيارها .

ومقتل برنادوت يدل على قيمة هذه العصابة التي سماها بعض ساسة العرب دولة ، وأطلقوا عليها اسم دولة إسرائيل وهم يجهلون ما وراء هذه التسمية من غرض مباشر ، وهو الاستيلاء على القدس وإقامة دولة يهوذا في قمة « صهيون » بعد إقامة دولة إسرائيل .

فهذه العصابة لا تستطيع ان تحمي احداً في جوارها . وإذا كانت لاتستطيع ان تحمي رجلا تتطلع اليه أنظار العالم وتدافع عنه هيئة الامم المتحدة فمن الحمق الواضح ان ينتظر منها احد حماية ضعيف موكول إلى رحمتها وهي تنظر اليه نظرتها إلى اعدائها .

أما إذا كانت العصابة » الحاكمة « متواطئة على قتل الرجل مع العصابة « المتمردة » فالبلية اذن اكبر وأدهى ، ولا فرق بين الحاكم والمحكوم في شريعة الغدر والاغتيال . وأيا كان الرأي في تواطؤ الحكومة المزعومة مع القتلة من رعاياها .

فهناك واقعة محسوسة لا جدال فيها ، وهي ان الطمع في القدس من فعل « الحكومة » التي سمت دولتها بدولة اسرائيل في انتظار قيام دولة صهيون ، ومن اجل هذا الطمع ضاعت حياة الكونت برنادوت .

وكل ما يساعد من اعذار الحكومة المزعومة في هذا الحادث ان العصابة التي دبرته تنتمي الى الشيوعية ، وان الحكومة لا تقوى على كبح جماحها . وليس هذا بعذر يساق . هذه ادانة اخرى لعصابات اسرائيل ، او هذا دليل جديد

على ان ساسة العالم – حماة السلام – قد وضعوا بأيديهم لغما من الفتنة في أحشاء العالم حين اعترفوا بدولة إسرائيل .

فهذه الطائفة تدين بالسياسة الشيوعية ، وهـذه الطائفة تدين بالسياسة الامريكية أو البريطانية ، ولا يزال الصدام بين قوى العالم خطراً محققاً مادامت هذه العصابات تعبث بسلامه ونظامه على هذا المنوال .

ولقد كانت امم العرب تجتهد اجتهادها لاثبات خرق الهدنة وإقدام اليهود على خرقها عمداً في كل يوم ، وفي كل مكان .

فأين هو السياسي الذي يحتاج – بعد مقتل برنادوت – إلى اجتهاد من العرب في إثبات هذه البديهيات. لقد قتل الصهيونيون الرجل الذي يشرف على تنفيذ الهدنة ، ولم يبالوا ان يقترفوا هذه الجريمة وهي فعلة لا تحتمل الانكار والاخفاء، ولا تلبث ان تحدث حتى تدوي أخبارها في أرجاء الكرة الارضية من أقصاها إلى أقصاها .

فمن العبث بعد ذلك أن تبقى في فلسطين هيئة لا عمل لها غير إثبات خرق الهدنة في قطعة من الارض الفضاء ، أو في بيت من البيوت المعمورة او المهجورة. فليس من وراء التحقيق في هذا وأشباهه فائدة تستفاد أو مجهول ينكشف ، أو نية تسفر بعد احتجاب .

وإنما الجد في هذا الموقف ان تتقرر هذه الحقيقة الواقعة ، ويتقرر معها ما يترتب عليها ، ويرجع الساسة الاجلاء – ساسة الغرب العظيم – طائعين او كارهين إلى بيان الجامعة العربية الذي قالت لهم فيه : إن « دولة إسرائيل » عصابة لا ترعى هدنة ، ولا يؤمن لها جانب ، ولا تعرف معنى المواثيق والعهود .

جريمة بغير معنى

أو جريمة لها معناها المحفوظ ؟[1]

لو كانت الأمور تجري في هذا العالم المضطرب على ظواهرها من قواعد العقل والاخلاق لكانت جريمة الصهيونيين في عدوانهم على حياة الكونت برنادوت جريمة بغير معنى .

لأن الكونت برنادوت أعطى اليهود ولم يأخذ منهم شيئاً ، ورفع الحصار عن المحصورين منهم ويسر لهم وسائل التغذية والتموين ، وهو سواء أعطى أو أخذ وسيط يقترح ويرجع الامر في اقتراحه إلى مجلس الامن وهيئة الامم المتحدة ، فلا معنى للعدوان على حياته ، فضلا عما في هذا العدوان من سوء السمعة وخطر الانقلاب في الرأي العام العالمي على الدولة الصهيونية .

لو كانت الامور تجري على قواعد العقل والاخلاق لكانت هذه الجريمة قطعاً جريمة خرقاء ، بل أكثر من جريمة خرقاء ، لأنها لا تخدم غرضاً من الاغراض ، يقصده الحمقى أو العقلاء .

لكننا لا نقيس الاوضاع في العالم بمقياس اصدق وابرز من هذه الجريمة ، إذا رأينا من الوقائع انها على نقيض ذلك جريمة ذات معنى مقصود محفوظ ، وانها تؤدي إلى نقيض ما توقعه الناس وهو الخطر على عصابات صهيون .

---

(١) الاساس ٢٤–٩–١٩٤٨ .

فالذي ثبت إلى اليوم ان عصابات الصهيونيين كانت على يقين من انها لاتخسر شيئاً بقتل وسيط هيئة الأمم .

كانت على يقين ان هيئة الامم لا تتخذ « إجراء تأديبياً » يمس الدولة الصهيونية الملفقة ، لان الدول الكبار لا تريد اتخاذ هذا الاجراء ، ولا تخلو من دولة واحدة على الاقل تستخدم حق النقض في مقاومة ذلك الاجراء إذا اتجهت الآراء اليه .

وإذا كانت الصهيونية لا تخسر شيئاً من جراء هذه الفعلة فهي رابحة باقدامها عليها ، لانها ترهب بها من لا يطاوعونها ، وتعلن للدول مقدار إصرارها على مطامعها وصعوبة الرجوع فيها ، فلا تحدثهم النفس بالحد من تلك المطامع او الامل في قبول التزحزح عنها .

واليوم يمضي اسبوع على مقتل الوسيط : وسيط هيئة الامم جمعاء .

فلو ان المقتول حصان يركبه الكونت برنادوت — ولم يكن المقتول هو الكونت نفسه — لما كان الاهتمام بمقتله بين ساسة الغرب الموقر اقل من هذا الاهتمام ، ولا عبرة بما قيل من تلك الكلمات الجوفاء في تأبين الرجل يوم منعاه ، فانه كلام لم يترتب عليه عمل من الأعمال .

وسيط هيئة الامم يقتل تحديا لهيئة الامم .

يقتل تحديا صريحاً لتلك الهيئة لا كراهية لشخصه ولا مطاوعة لأستفزاز اثاره في لحظة من لحظات الحدة واللجاج .

يقتل عن روية وتدبر بعد ترصد وانذار ، ويمضي يوم وتمضي ايام ويمضي اسبوع ، وهيئة الامم الموقرة لا تعرف كيف تحمي وسيطها ولا كيف تخيف المعتدين عليه ، ولا يبدو منها انها اهينت في كرامتها اشنع اهانة تنال بها هيئة من الهيئات . فما هي قيمة هيئة الامم هذه في نظر نفسها وفي نظر العالم ؟ وما هي القدرة التي تقدر عليها — وهي تتصدى للاشراف على السياسة العالمية — إذا كانت عاجزة عن حقن دم سفير ، وعاجزة عن عقاب من أراقوه بغير مبالاة ؟

لقد كان ايسر ما تستطيعه « الهيئة الموقرة » ان ترجيء النظر في المسألة كلها إلى ان يأتيها البيان الوافي عن مقتل وسيطها وعن جزاء قاتليه .

وهي إن فعلت ذلك لا تفعله من باب النقمة لشخص من الأشخاص . بل تفعله قضاء لأول واجب من واجباتها وهو واجب التحقيق عن شئون الدولة التي تطلب اليهم أن يعترفوا بها ويقروا سيادتها على رعاياها .

ومهما يبلغ من هوان دم الوسيط على موسطيه فمقتله ولا ريب حادث لهدلالة تشهد لدولة إسرائيل المزعومة أو تشهد عليها .

فاذا كان هذا الحادث على شناعته لا يقدح في دولة إسرائيل فما الذي يقدح فيها ؟ وما الذي يوجب ان تحرم هذه الدولةحق السيادة على رعاياها من الآدميين لا يقبلونها ولا يحميهم أحد منها ؟

ان الأقطاب المسموعين في هيئة الأمم قد نسوا هذا كله وتعمدوا نسيانه ، وراحوا يكافئون دولة إسرائيل على فعلتها ، ونجحت الجريمة الشنعاء لأنها مكنت اولئك الاقطاب من طلب هذه المكافأة لقاتلي برنادوت ، غيرة منهم على ذكرى الشهيد الفقيد ! وقياماً منهم بالوفاء لوصايا الشهيد الفقيد .

إنها إذن جريمة ذات معنى مقصود محفوظ ، وليست بجريمة خرقاء خلو من المعنى ، أو ذات معنى معكوس على مقترفيها .

انها جريمة ناجحة موفقة ، وفي نجاحها وتوفيقها دليل لا دليل بعده على سوء الحالة التي انحدر اليها عالم الانسان على أيدي ساسة الغرب الاجلاء ، فهي حالة لا تستقيم مع العقل ولا تستقيم مع الاخلاق ، ولا يجزى فيها العاملون إلا بما ينتهكون من حرمات العقل وحرمات الاخلاق .

وأجدر ضروب التفكير بعقول هؤلاء الاقطاب انهم قد يتخذون من مقتل برنادوت حجة على ان اليهود لا يقبلون حلوله فمن الواجب إذن أن يرضوهم بشيء من الزيادة على تلك الحلول !

لو فعلوا ذلك لما خالفوا المعهود من عاداتهم ومشاريعهم ، فهم قوم لا يدينون الناس باحترام الحقوق الانسانية ، ولا يدينونهم باحترام هيئة الامم نفسها ، ولكنهم ينظرون إلى مصالحهم فيتناحرون عليها ولا يبالون ما يصيب العالم من

جرائها ، ولو ذهب كله فريسة لشريعة الغيلة والاغتصاب .

ومن التشريف لهؤلاء الاقطاب ان يقال انهم ينظرون إلى مصالح دولهم وحكوماتهم ويناحرون عنها ، فالواقع انهم لا ينظرون إلى مصالح دول أو حكومات ، وانما ينظر كل منهم إلى مناوراته الحزبية ليسلطها على شعوب العالم أجمع ، وهي لا ذنب لها فيها ولا شأن لها بغالب فيها أو مغلوب .

وويل لعالم بائس ينقاد لأمثال هؤلاء .

درس من العراق [1]

من الأنباء التي تحدث الناس فيها كثيراً نبأ ذلك الصهيوني الذي حكم عليه بالاعدام في العراق لأنه يحرض على الفتنة ويدبر حوادث الاضراب والشغب باسم الشيوعية ويهرب السلاح إلى الصهيونيين في فلسطين .

ومن الواضح ان ذلك المجرم الوغد لم يكن يدين بالشيوعية . لأنه صاحب ملايين ، والشيوعيون يزعمون انهم يحاربون اصحاب الملايين ، ولأنه يتحمس في تأييد الصهيونية وهي عصبية قومية دينية خاصة باليهود . وقد زعمت الشيوعية انها تهدم الأوطان والأديان وعصبيات الأجناس ، لأنها جميعاً خدع من احابيل رأس المال والاستغلال .

وكل ما في الامر انه صهيوني يريد ان يسلم زمام العالم لأبناء قومه اليهود ، ولا يستطيع ان يقول للمسلم أو المسيحي : حارب العرب في سبيل الصهيونية ، ولكنه يستطيع باسم الشيوعية ان يدعوهم إلى ذلك فيجد منهم من يستمع اليه والنتيجة واحدة على كل حال ، وهي غلبة الصهيونيين وهزيمة العرب ورواج المذهب الذميم الذي يفسر كل شيء بالماديات ، ولا يسيطر على العالم احد غير الصهيونيين إذا انتهى فيه كل شيء إلى الماديات .

وفي مصر ، بل في العالم كله – لا في العراق وحده – اناس من امثال ذلك المجرم الوغد يخدمون الصهيونية باسم الشيوعية ، وهم من اصحاب الملايين .

---

(١) الاساس ١٩٤٨/٩/٢٧ .

يزعمون انهم ينصفون الفقراء وقد جمعوا أموالهم كلها بالربا الفاحش من دماء الفقراء .

ويزعمون انهم يحرضون العمال على الاضراب لانقاذهم من رؤوس الاموال وهم لا يحرضون على الاضراب يوماً من الايام موظفين في شركة يهودية ، أو عمالا في مصنع من مصانع الصهيونيين .

ويزعمون انهم يكشفون خداع الوطنية ليفتحوا أبصار المحرومين والمسخرين ، وهم يتعصبون للوطن الصهيوني ويساعدون عصاباته على تشريد العرب من ديارهم وحرمانهم من جميع موارد الارزاق .

لكنهم لا يستطيعون ان يفعلوا ذلك باسم الصهيونية . فيبحثون عن نحلة اخرى ينتحلونها ويؤدي اتباعها الى الغرض نفسه : وهي النحلة التي ترفع جميع العوائق من طريق الصهيونيين ، وتتصدى لهدم العقائد والاوطان باسم الفلسفة المادية : فلسفة « كارل ماركس » الصهيوني الاصيل .

والمضحك في امر هؤلاء المخدوعين بالشيوعية انك ترى الواحد منهم ترتسم على وجهه كل ملامح البلاهة والغباء ثم تراه يفخر بشيء واحد وهو اليقظة والوعي والعلم بكل حيلة والخلاص من كل خداع .

وانه مع ذلك ليصدق من الدعاوى الكاذبة ما لا يصدقه « مشتري الترام » وأمثاله من أغرار الريف ، وفي مقدمة هذه الاكاذيب ان تاريخ الانسانية كله لعبة سماسرة ، وان كل ما بني فيه من قواعد الاخلاق والمعارف إنما بني لينهدم ، واتخذه المتخذون « بروفة مسرحية » ليأتي اليوم الذي يلغى فيه كل الالغاء ، ويسدل عليه الستار كما يسدل على ختام المسرحيات في دور التمثيل !

قال له كارل ماركس ان العقيدة الدينية نصبة من نصب المنتجين في الازمنة المتعاقبة فصدق .

وقال له كارل ماركس ان الجمعية الوطنية حيلة من حيل « البورجوازيين » فصدق .

وقال له كارل ماركس ان « الاسرة » تدبير من تدابير الاستغلال فصدق .

وقال له كارل ماركس انه كشف حقائق الحياة إلى الابد فصدق .

وقال له ان اختلاف الناس في الملكات والاقدار مصادفة من مصادفات الانتاج فصدق .
وقال له ان الماضي ينقطع بلا اثر ، وان المستقبل يبقى على صورة واحدة بلا انتهاء ، فصدق .
صدق هذا كله لأنه « واع » نبيه لا تفوت عليه الغفلة ولا تدخل عليه اخاديع البرجوازيين !

اما الشيء الذي لا يصدقه ولا يخامره الريب فيه فهو ان الشيوعية لعبة صهيونية لتغليب الماديات على كل شيء وتسليم العالم من ثم الى أيدي اليهود .
لا يصدق ذلك ولو كان كارل ماركس منشيء الشيوعية من اليهود .
لا يصدق ذلك ولو كان زعماء الثورة الشيوعية من اليهود .
لا يصدق ذلك ولو كانت روسيا هي مهد الشيوعيين ومهد الصهيونيين.
لا يصدق ذلك ولو كان اصحاب الملايين من اليهود يرفعون علم الشيوعية في كل مكان .
لا يصدق ذلك ولو كانت الشيوعية تهدم الاوطان والاديان إلا الوطن القومي الذي ينادي به الصهيونيون .
لا يصدق ذلك معاذ الله .
وهل هو « عبيط » حتى يصدق مثل هذا الافتراء على عباد الله الابرياء .

كارل ماركس طالب خير ، والمرابون والسماسرة من اليهود طلاب خير ، أما طلاب الشر في العالم فهم الانبياء ودعاة الاخلاق وابطال الاوطان .

وهذا وحده هو الذي يجوز في المعقول ويتقبل التصديق .
فلو كانت المسألة في صميمها مسألة فهم وتصديق لما خفيت الحقيقة على احد يفتح عينيه .
ولكنها في صميمها مسألة مسخ وتشويه ، وكل ممسوخ مشوه تمتليء نفسه بسخائم الحقد والحسد واللؤم تنحرف به طبيعتة حيث يكون الانحراف والاعوجاج لان المعوج لا يستقيم .
وتسمع الممسوخ من هؤلاء يعجبه مسخه وتعجبه الشيوعية لانها هي المذهب

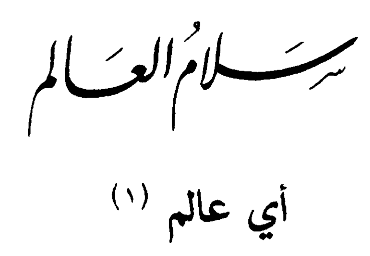
الوحيد الذي لا يخجله من حطته بل يجعلهاشرفا وفخر مستحقاً للاعجاب،وكأنما يزول المسخ كله إذا حفظ الممسوخ تلك الالفاظ الببغاوية من طراز حرب الطبقات والقيمة الفائضة وتفسير كل شيء بالمادة .

وتسأله : ما هي هذه المادة التي تفسر بها كل شيء ، فاذا هي احوج كلمات اللغة جميعاً في التفسير .

ولكن الممسوخ يعرفها ، لان كارل ماركس قال له انه يعرفها ، وانه قد عرف بها جميع الاشياء تعريفا لا يتطرق اليه النقض إلى ان تزول الارض والسماوات .

وكارل ماركس صادق امين ، وصاحبه الممسوخ « واع » نبيه لا تجوز عليه الخدع ولا يصغي الى الاباطيل .

والعبرة لمن تنفعه العبرة ان المسألة كلها مسألة مسخ وتشويه وليست مسألة فهم وتفكير ، فما تعيش الشيوعية عاماً واحداً في عالم بريء من المسخ وتوفر على التفكير .



أي عالم (١)

تتجاوب جدران قصر « شايو » في هذه الأيام بصيحة الخطر على سلام العالم ومصير الانسانية .

فيحق للسامع أن يسأل : أي عالم ؟ وأي إنسانية ؟ .

فان سلام العالم لم يدخل قط في حساب دولة من الدول الكبار التي تسيطر الآن على مصائره ومقاديره .

ولو ان هذه الدول أدخلت سلام العالم في حسابها لما أمكن أن يجيئه الخطر من ناحية اخرى غير ناحيتها ، ولما أمكن أن يتحدث الناس اليوم بوقوع الخطر وباقتراب وقوعه .

ولكن الحقائق الماثلة أمامنا تدل على ان هذه الدول لا تتوخى مصلحة العالم في خطة واحدة من خططها السياسية ، وان سياستها كلها قائمة على الاستعداد للحرب الثالثة لا على اتقائها .

فكيف تصان مصلحة العالم التي لا يفكر فيها احد ؟ ولماذا تجيء الحرب الثالثة بعد كل هذا الاستعداد وكل هذا التوقع ؟

فما من مسألة من المسائل الشائكة التي يخشى منها على سلام العالم كما يقولون

---

(١) الاساس ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٤٨ .

قد واجهتها الدول الكبرى وهي تنسى مطامعها وتنظر إلى مصالح الأمم كافة أو مصلحة الأمة التي يدور الخلاف حولها .

وأول هذه المسائل الشائكة مسألة برلين التي يتصايحون اليوم بالخطر من جرائها .

فأين هي المصلحة الانسانية التي نظرت اليها الدول الأربع ؟

فان لم تنظر إلى المصلحة الانسانية فأين هي المصلحة العالمية التي نظرت اليها؟ بل أين هي مصلحة الأمة الألمانية التي نظرت اليها تلك الدول وهي تحتل ألمانيا وتبحث في مصيرها ؟ انها لم تنظر في شيء من ذلك ، ولم تنس مطمعاً من مطامعها التي تتضارب وتتعارض ولا تنتهي إلى وفاق .

سياسة روسيا في ألمانيا هي تجويع البلاد التي تحتلها الدول الاخرى لنشر الشيوعية بين أبنائها .

وسياسة الدول الاخرى هي صد الشيوعية والحيلولة دون انتشارها .

وغاية كل منها في كل تدبير تلجأ اليه هي « التحصن » من اصدقائها واتخاذ الموقف العسكري الذي ينصرها عليهم عند وقوع الحرب الثالثة .

فلماذا لا تقع الحرب الثالثة ؟ ومن هو الذي يعمل لاتقائها ؟

* * *

ومسألة فلسطين أقرب الينا من مسألة برلين ، فأين هي المباديء الانسانية التي لوحظت في حلها ؟ وأين هي المصلحة العالمية التي اتفقوا عليها ؟ وأين هي مصلحة فلسطين إن كانت مباديء الانسانية أو مصلحة العالم أكبر مما ينظرون اليه ؟ .

كل رأي تراه دولة من الدول في هذه المشكلة فمن السهل أن تفهم مطامعها من ورائه ، وليس من السهل ان تفهم منه مصلحة واحدة للعالم أو مصلحة محققة لاجل فلسطين .

فالولايات المتحدة تؤيد التقسيم لكسب أصوات اليهود من جهة ولكسب الموقع العسكري او الاقتصادي – في دولتهم المنتظرة من جهة اخرى .

وبريطانيا العظمى تؤيد التقسيم لأنهـــا تطمع في الشطر العربي كما تطمع الولايات المتحدة في الشطر الصهيوني وعلى العرب والصهيونيين معـــاً سلام أو عفاء .

وروسيا تؤيد التقسيم لأنها تطمع في وكر مـــن أوكار الشيوعية الكبرى تنشر منه مذهبها في الشرق الاوسط ، وتقلبه عـــلى اهله وعـــلى الإمريكيين والبريطانيين .

فمن أين يتحقق سلام العالم ؟

ان سلام العالم غرض عظيم . انه مطلب كبير يعتبر طلابه ناجحين مفلحين إذا طلبوه فحققوه بعـــد خلوص النية له وتضافر الجهود على تحقيقه ، فكيف يتحقق مع انصراف النية عنه واجتماع الجهود على نقيضه !

ان سلام قرية من اصغر القرى لا يتحقق على هذا المنوال ، فكيف بسلام العالم وهو متعدد الشعوب مترامي الاطراف معقد المسائل متجدد الأزمات ؟

يتحدثون عن العالم وسلامه ، فأين هو العالم الذي يطلبون له السلام ؟ ليس له وجود في سياستهم ، وليس في سياستهم وجود لغير عـــالم الاطماع والنزاع والتحفز للحرب والتأهب للاعداء .

ومثل هذا العالم لا يستقر له سلام ولا يفرغ من القتال .

* * *

صدق من قال ان الساسة آخر من يتعظون مـــن الحوادث ، وان السياسة معرض لأوضع ما في الانسانية مـــن الشهوات والآراء ، ولم تكن حتى اليوم موضعاً لجانب من جوانب الشرف والسداد في نوع الانسان .

وهي أحجى ان تكون كذلك في عصر يتولاه الجهلاء وأشباه الجهـــلاء ، ويعمل فيه من يتولونه لمرضاة المغرضين والمضللين .

ولولا هذه البلية التي ابتلي بها البشر في زمانهم هذا لما خفي جانب السلامة على ساستهم بعد حربين عالميتين في جيل واحد .

لقد جربوا مطامعهم فكانت خطراً عليهم وعلى العالم كله ونظروا إلى أهوائهم

فعصفت بهم وبغيرهم .

وسيعلمون بعد فوات الاوان ان خدمة العـالم تخدمهم وتخدم العـالم كله ، وان خدمة مطامعهم تعود عليهم وعلى غيرهم بالوبال .

والمشكلة كلها فيمن يتحدثون عن سلام العالم انهم يتحدثون عن العالم ولا ينظرون اليه .

أين هو هذا العالم ؟

ابحثوا عنه قبل ان تبحثوا عن سلامه . فاذا وجدتموه فقد وجدتم السلام ، أو وجدتم على الاقل طريقكم المثلى إلى تقرير السلام .

إلى ساسة الأمم المتحدة (١)

أنا من المؤمنين بهيئات السياسة العالمية .

أومن بأنها ضرورة عالمية ، أو مصلحة عالمية ، ولذلك وجدت .

ولا أومن بأنها خدعة من خدع الساسة في الأمم الكبرى ، فلو أن كل ما فيها انها خدعة من تلك الخدع لما أمكن إيجادها بحال من الأحول ، ولا أمكن قبل ذلك ان تسمع الدعوة اليها .

أومن بأنها مصلحة عالمية ، لأن المصالح التي اشتركت فيها امم العالم، راضية أو كارهة ، فد وجدت قبل ان توجد عصبة الامم ، وقبل ان توجد هيئة الامم المتحدة . فاشتركت امم العالم في الوقاية الصحية ، واشتركت في شئون العملة وشئون التجارة ، واشتركت في خطط الدفاع وحراسة المواصلات ، واشتركت في تنظيم البريد ، واشتركت في الأزمات السياسية التي تنشأ في امة من الأمم فلا تعفى من آثارها أمة قريبة او بعيدة ، وبلغ من اشتراكها ان العناية بالعدو المهزوم قد اصبحت فرضاً على عدوه المنتصر عليه ، لأن الدولة المنتصرة لا تأمن على سلامتها من شيوع الخراب والفاقة في بلاد اعدائها .

وإذا اشتبكت مصالح العالم كله هذا الاشتباك فلا محيد عن قيام الهيئات العالمية فيه ، وليس في وسع الساسة ان يمنعوها إذا حاولوا منعها . اما ان يخترعوها اختراعاً لغير حاجة داعية اليها ، وبغير مقدمات تمهد لها طريقها ،

---

(١) مجلة الكتاب اكتوبر ١٩٤٨

فذلك وهم لا يخطر إلا على بال مخدوع لا يميز بين الحقيقة والخداع .

وقد وجدت هيئة عالمية واخفقت ، وتلك هي عصبة الامم . وقال بعض المتحذلقين إنها تجربة لا تبشر بخير .

أما انها تجربة فذلك صحيح ، وكل عمل من اعمال البشر ، آحاداً وجماعات فهو تجربة موقوتة عند النظر إلى العمل الذي يليه .

واما انها اخفقت فذلك ايضاً صحيح ، فلا عصبة امم في العالم اليوم، حيث كانت تنعقد في جنيف . ولكن غير الصحيح ان اخفاقها هو الاخفاق الاخير ، وانها قد اختتمت بختامها رجاء الامم في هيئة عالمية تصلح للدوام . بل غير الصحيح انها قد اخفقت كل الاخفاق . لأنها صنعت شيئاً لم يصنع من قبلها ، فزاد عدد الامم المستقلة في هذه الكرةالارضية ، وكانت هذه الهيئةفيصلاحاسما بينالدولالتي كتبت عليها الهزيمة والامم‌التي كتب لها النصر في الحرب الاخيرة ، فكانت الدول التي قاطعتها وانكرت مبادئها هي ألمانيا النازية وايطاليا الفاشية واليابان الاستعمارية ، وكانت الدول التي انهزمت هي هذه الدول بعينها ، مع انها بلغت من الاستعداد للحرب ما لم يبلغه المنتصرون .

فالهيئات العالمية ليست بخدعة من خدعالساسة . انها ضرورة منالضرورات الانسانية في هذاالزمن الحديث.

وإذا كانت هيئة من الهيئات العالمية تخطيء في رأيها ، وتجور في حكمها ، وتضل عن سواء السبيل في سياستها ، فلنسجل هذا عليها ، ولنقرر هذه الحقيقة كلما وجب تقديرها ، ولكننا حريون أن نعلم الفرق بين هذه الحقيقة وبين زعم الزاعمين ان هيئات الامم جميعاً خدعة من الخدع ، وتجربة لا يرجىمن ورائها خير .

ان المجتمع العالمي لم يوجد على هذا التماسك والتشابك قبل اوائل القرن العشرين . وقد وجد المجتمع القومي قبل الميلاد بعشرات القرون . ووجدت في كل مجتمع قومي محاكمه وشرائعه وقضاياه بين أبنائه . ولم يقل أحد ان هذه المحاكم اصابت في كل حكم ، وانصفت في كل قضية ، واقتلعت جذور الجرائم ، وقطعت دابر المجرمين . ولم يقل احد مع هذا انها وهم من الاوهام ، او انها تجربة لا يرجى من ورائها خير .

وإذا كان هذا شأن القضاء في الآحاد ، فمن العجلة الخاطئة أن نترقب هيئة عالمية تولد كاملة ، أو تبلغ غاية كالها في سنتين أو ثلاث سنوات ، بل في جيلين أو ثلاثة أجيال . وقد تظل ناقصة ما بقيت في عالم الوجود ، ولا يقال من أجل هذا إنها تستحق الفناء لأنها لم تبلغ غاية الكمال .

* * *

سادة الامم الموقرين !

لعلنا لا نغض من كبريائكم إذا قلنا إنكم لا تستطيعون أن تخدعوا الأمم بهذا الضرب من ضروب الخداع المزعوم !

إنكم لا تسبقون الأمم ، ولن تسبقوها أبداً إلى ابتكار جديد .

إنكم آخر من يبتكر وآخر من يقود !

ودأبكم أبداً أن تلحقوا بالأمم ولاتسبقوها ، وان تعوقوا الأمم ولا تدفعوها ، وأن يأتي دوركم بعد الأوان ، ولا يأتي يوماً قبل الأوان !

فمن الظلم لكم أن يقال إنكم خدعتم الأمم بابتكار هيئة الأمم المتحدة . كلا ، ان هيئات الأمم المتحدة كانت خليقة أن توجد قبل طلوع القرن العشرين،لولا كم ولولا هذه « الحكمة العملية » التي تدعونها .

فعملكم في كل هيئة عالمية انكم تعطلونها إذا وجدت ، وليس من عملكم انكم توجدونها خدعة واختلاساً على الرغم من الزاهدين فيها والمرتابين في جدواها .

وليس بنا أن نلقي التبعة على عواتقكم ، فان غناء هذه التبعة قليل،ولكننا نعرف التبعة لنعرف من أين يأتي التعطيل الذي تبتلى به الهيئات العالمية على أيديكم ، وليس عرفان ذلك بالشيء العسير ، وليس هو بالشيء القليل !

إن الهيئات العالمية توجد للعالم . ولا توجد لأمة واحدة أو طائفة من الأمم . ولكنكم انتم لا تريدون ذلك ولا تحبون ان تريدوه .

أنتم تريدون عالماً يخدم مصالح امة ، ولا تريدون أمماً متكافلة متعادلة تخدم مصالح عالم واحد !

إنما تفلح الهيئة العالمية إذا آمنت بعالم . وإنما تؤمن بعالم . إذا عرفت للعالم

مصلحة تعلو على أثره الأمم و « أنانية » الدول ومطامع الساسة ودسائس القادة هناك .

كذلك توجد الأمة حين ينظر كل فرد من أبنائها إلى مصلحتها قبل مصلحته الموقوتة . أما أن يذكر مصلحته وحدها فهو في عاقبة الأمر مضيع لمصلحته وحدها ومضيع لمصلحة الأمة جمعاء .

وأنتم ساسة الأمم الموقرين ماذا تصنعون حين تجتمعون ؟

كل منكم يذكر دولته . أستغفر الله ! بل كل منكم يذكر حزبه ! . أستغفر الله ! بل كل منكم يذكر شخصه ، ويذكر مركزه في حكومته ، وينسى كل ما عداه !

ومن هنا يأتي التعطيل الذي تبتلى به هيئة الأمم على أيديكم .

ومن هنا تأتي الحرب الثالثة والرابعة ، وتأتي حروب لا عداد لها ، مادامت مصالح العالم مرهونة بمطامع هذه الدولة ومآرب هذا الحاكم أو هذا الوزير .

أما الهيئة العالمية التي يتمناها بنو الانسان فلا حاجة بها إلى تفسير في غير هذه الصفة التي توصف بها .

هيئة عالمية ، أي هيئة للعالم ، وليست بهيئة لصاحب السلاح والمال حيثما تقلب السلاح والمال بين الأقوياء الأغنياء .

وعلامة هذه الهيئة انها لا تقضي قضاء إلا وهو مبدأ صالح لأن يقوم عليه كل قضاء .

فأين هذا القضاء من قضائكم في فلسطين ؟

أي حال يحول اليه العالم إذا اصبح قضاؤكم للصهيونيين مبدأ يتبع في كل قضية عالمية ؟

إنها جريمة منكرة ، ولا نقول غلطة جسيمة ، او انها خطل ذريع .

وسيأتيكم جزاؤكم عليها لا محالة .

فهل تدرون من أين يأتيكم هذا الجزاء ؟

من أيدي الصهيونيين انفسهم ، ولن يأتيكم من غير الصهيونيين !

وكل ما نرجوه في عاقبة وزركم انكم قادرون على ان تتداركوه . فمن بلاء الوحدة في هذا العالم الجديد ان اوزاركم لا تصيبكم وحدكم إذا حم القضاء .

حكومة فلسطين [1]

لا بد من قيام حكومة فلسطينية في فلسطين .

هذا مبدأ لا يجوز الخلاف فيه فهو مبدأ مسلم به بين جميع الأمم العربية ، مسلم بحكم الحق الطبيعي لكل امة من الأمم . يعترف به طلاب الحقوق ولا ينكره الأقوياء الغاصبون لهذه الحقوق في عصر تقرير المصير .

ولا نرى ان الخلاف جائز على اختيار الوقت الذي تقوم فيه هذه الحكومة . فان الوقت الحاضر قد يكون اصلح الأوقات لقيامها أو لإمكان قيامها ، بعد ملاحظة جميع الظروف .

فلم يكن من المستطاع ان تقوم هذه الحكومة الفلسطينية مع قيام الانتداب البريطاني قبل منتصف مايو الماضي . لأن اصحاب الشأن في حكومة الانتداب كانوا يمنعون قيام اللجان التي تنوب عن الأمة الفلسطينية فضلا عن قيام حكومة شرعية تنازع سلطان الدولة المنتدبة .

ولم يكن من المستطاع ان تقوم هذه الحكومة مباشرة بعد انتهاء الانتداب لأن العمل يومئذ كان عمل الجيوش العربية التي تسرع إلى حماية الارض من هجوم الصهيونيين عليها واعلان حكومتهم فيها .

وليس وقوف جيش من الجيوش العربية في أرض فلسطين مانعاً لقيام الحكومة الفلسطينية فيها ، لأن الدول العربية كلها قد ارسلت جيوشها إلى فلسطين ،

---

(١) الاساس ١٩٤٨/١٠/٤

وعلاقتها جميعاً علاقة واحدة بكل حكومة عربية تستلم مقاليد الحكم في تلك البلاد .

ولا يجوز ان يؤجل قيام الحكومة الفلسطينية إلى ما بعـــد جلاء الجيوش العربية عن بلادها .

لأن الحكومة الفلسطينية لن تنشيء جيشاً مستعداً يقاوم عصابات اليهود فيما بين ليلة ونهار ، ولو تم جلاء الجيوش العربية قبل قيام الحكومة الوطنية لما كان لذلك من نتيجة غير وقوع البلاد جميعاً في قبضة العصابة الصهيونية ، ومعاملة كل من يتصدى للحكم هناك معاملة العصاة .

وما دام العرب ينادون بحق فلسطين في حكم نفسها وحكم جميع ارجائها، فلا بد من وجود الهيئة التي تحكمها عند حل القضية الفلسطينية على هذا الاساس، ولا اعتراض عليه إلا لمن يعترض على المبدأ المتفق عليه ، وهو مبدأ « فلسطين للفلسطينيين » .

أما الذين يقررون هذا المبدأ أو يقبلونه فلا وجه لديهم للاعتراض على قيام حكومة وطنية في هذه الأيام .

* * *

على ان قيام هذه الحكومة في الآونة الحاضرة يفيد من وجوه كثيرة تتصل بموقف البلاد العربية وموقف الدول الاجنبية في هذه القضية .

فمن الدعايات التي اشاعها الصهيونيون في العالم ان الدول العربية تغير على أرض فلسطين لأنها تطمع فيها ، او لأن كل دولة منها تطمع في ناحية مـــن نواحيها ، فتارة يقولون ان مصر تطمع في إلحـــاق جزء من فلسطين الجنوبية بحدودها الشرقية .

وتارة يقولون ان « سورية الكبرى » تمهد لتحقيق مشروعها بضم فلسطين كلها او بعضها إلى بلادها .

وتارة يقولون ان الدول العربية قد اتفقت على توزيع البلاد بينها كل منها فيما يجاورها .

فاتفاق الدول العربية على تسليم فلسطين لاهلها ضربة قاضية على هذه الدعاية

المسمومة ، ودليل قاطع في ايدي العرب على صدق النية في احترامهم لحقوق تلك البلاد ، ودفاعهم عن المبدأ الذي يطلب من كل دولة في العهد الحاضر ان تدين به وتدافع عنه وهو مبدأ تقرير المصير .

وسيكشف هذا الموقف دول الغرب فيهتك الستار عن كل دعوة من دعاوى الرياء والنفاق تتذرع بها إلى قضاء مآربها من وراء هذه القضية .

فماذا يكون موقف الولايات المتحدة من الحكومة العربية بعد اعترافها بالعصابة الصهيونية في خلال عشر دقائق من اعلانها ؟

وماذا يكون موقف بريطانيا العظمى من مشكلة فلسطين كلها وهي التي تزعم انها نفضت ايديها من الانتداب لأنها لا تطمع في موقع من المواقع داخل فلسطين ؟

وماذا يكون موقف روسيا الشيوعية وهي تقول ان اصحاب الاموال من اهل مصر والعراق وسورية وبلاد العرب جميعاً يرسلون جيوشهم إلى فلسطين لأنهم يطمعون في استغلالها ؟

ان قيام الحكومة العربية هو الذي يكشف اختلاف المعاملتين ، ويدل على مطامع الدول التي تكيل بكيلين ، وتتكلم في القضية الفلسطينية بلسانين ، فاذا ظهرت المحاباة للعصابة الصهيونية فنحن الراجحون بكشف هذا الرياء وفضح الغرض المقصود من ورائه ، وإذا اضطرهم « ستر الوجوه » إلى اصطناع المساواة واخفاء تلك المحاباة فنحن كذلك الراجحون .

اما إذا وجدت هذه الدول المغرضة هيئة صهيونية تعاملها وتعترف بها ، وزعمت انها تبحث عن هيئة مثلها لعرب فلسطين فلا تجدها ، فهي تستطيع في هذه الحالة ان تكيل بكيلين وان تتكلم بلسانين ولا خوف عليها من افتضاح نيتها والدلالة على محاباتها لانها تعتذر من هذه التفرقة بعذر الضرورة التي لا حيلة لها فيها .

نعتقد ان المسألة — على هذا الوضع البين — اوضح من ان يقع فيها الخلاف ممن يريد الوفاق .

لهم حق[1]

لما قتل برنادوت تلفت الناس ينتظرون ان ترتجف عصابة إسرائيل من خوف العواقب . وظنوا ان الدول التي بادرت إلى الاعتراف بعصابة اسرائيل ستبادر الآن إلى العدول عن هذا الاعتراف . فان لم يبلغ بها الغضب لسفيرها القتيل هذا المبلغ فلا اقل من الانذار بالعدول عن اعترافها إذا لم يقبض على القتلة في خلال فترة محدودة . ولكن الدول الموقرة لم تعدل عن اعترافها ولم تهدد بالعدول عنه . بل اعلن الرئيس الرفيع الشأن – مستر ترومان – انه يؤثر السكوت إلى ان يفتح الله شفتيه ، ولا يزال الى هذه الساعة حريصاً على ذهب السكوت . واعلنت بريطانيا العظمى انها توافق على التقسيم ، وتوافق من ثم على تسليم القسم اليهودي الى عصابة اسرائيل ، وهي التي ستصبح في ذلك الحين دولة اسرائيل .

ولم ترتجف العصابة من خوف العواقب ، بل اصبح المرتجفون من الخوف هم رجال هيئة الامم الذين لا يزالون بقيد الحياة في فلسطين . وراح السفاحون يواصلون النهار بالليل في خرق الهدنة والاعتداء على الآمنين وعلى اللاجئين .

وراح رجال هيئة الامم ينظرون بأعينهم إلى هذا العدوان ولا يجسرون على عقاب المعتدين ، ويعرفون مكان العصابات المسلحة ولا يتقدمون للدلالة عليها .

---

(١) الاساس ٦/١٠/١٩٤٨ .

عجزوا عن حماية الآمنين في ظل الهدنة المزعومة . ثم تمادى بهم العجز حتى عجزوا عن حماية انفسهم والاطمئنان علـــى سلامة رؤسائهم البارزين ، ومنهم خليفة برنادوت . فقيل ان رئيس لجنة الهدنة كتب الى مجلس الامن يتهم الحكام العسكريين بالتحريض على قتل الوسيط المساعد بعد قـــتل الوسيط الاصيل . وقيل ان السادة الذين يتربعون على مقاعد الحكم في العالم قد غضبوا غايـــة الغضب حين سمعوا بهذا التحريض ، وقالوا لممثلي العصابة الصهيونية : كله ، إلا هذا ! قتيل واحد لا مانع ولا حساب ، اما قتيلان اثنان فذلك هو الشيء الذي لا يطاق . فاقتلوا الوسيط الوكيل ثم انظروا ماذا يكون . ولم يكتموا هذا الذي سيكون لو راح « بونش » في اعقاب « برنادوت » . بل صرحوا به غير وجلين ولا متلعثمين ، لأنهم قالوا انه والله شيء خطير !

لقد أصبح القوم سخرية للعالمين وهم لا يشعرون ، وتلك والله غاية الغايات في سخرية الأقدار .

لقد أصبحت وظيفة الهيئة الموقرة – هيئة الأمم – أن تخبيء الشهود الذين يستطيعون الدلالة على قتلة برنادوت . فقد كان فرانك بيجلي ، رئيس الشرطة الأمريكي ، في صحبة برنادوت حين قتل فاستطاع أن ينجو بنفسه من الموت ، ولكنه لم يستطع البقاء في بيت المقدس في حماية الهيئة الموقرة فهرب إلى باريس ، فهل أمن على نفسه في باريس ؟ كلا ، ولا في باريس ! بل جاءه النذير العاجل من الشرطة الفرنسية بالسفر إلى بلاده ، فركب الطائرة ولم تضمن هيئة الأمم حياته في باريس حتى يركب الباخرة !

أيضحك الناس أم يبكون ؟

أيعجب الناس أم يكفون عن كل عجب وكل تعقيب ؟

بيت المقدس لا يتسع لشاهد يدل على قتلة ، والقتلة لا يخجلون ولا يرعوون ولا يشعرون برهبة ما فعلوه ، بل يتابعون الشاهد في العاصمة التي تحتلها هيئة الأمم في هذه الأيام . ثم يبقى بعد ذلك مجال للبحث في دوام الدولة الصهيونية ، ويبقى بعد ذلك مطمع للدولة الصهيونية في بيت المقدس ، مكافأة لها عـلى من قتلت فيه ، وعلى من تهددهم بالقتل هناك ، ثم تلاحقهم منه إلى حيث يطلبون

الأمان في العاصمة الفرنسية ، أو عاصمة هيئة الأمم في هذه الايام .

والصهيونيون يطلبون هذه المكافأة ولا يستحون . ولهم حق . فقد علموا من رجال الهيئة الموقرين انهم قوم يخافون ولا يستحون ، وانهم شر ممن يخاف ولا يستحي ، لأنهم مستعبدون لشراذم من الخلق تضرب بهم الأمثال في الذلة والمسكنة ، وهم شراذم إسرائيل ، فما بالك بمن تستذلهم تلك الشراذم هذا الذل وتجتريء عليهم هذا الاجتراء ؟

إي والله — ان أذل ممن ضربت عليهم الذلة والمسكنة كمن يستذله هؤلاء الأذلاء ويسومونهم هذا السوم الذي تعاف معه الحياة . ولقد كانوا يستكبرون على هتلر ، وكانوا يستكبرون على موسوليني ، وهم يستكبرون اليوم على ستالين. ولو داسهم واحد من هؤلاء — او جميع هؤلاء — بالاقدام لكان أكرم لهم من ذل يسامونه الآن على أيدي النفاية المنبوذة من خلق الله المستضعفين .

* * *

لقد كان الناس يتوقعون أن ترتجف عصابة إسرائيل من خوف العواقب بعد مقتل برنادوت . فلم ترتجف عصابة إسرائيل ، ولم تحذر على دولتها أن تدول ولا على قسمتها ان تنقص ، بل راحت تطلب المزيد وتترقب المكافأة ، وجاءت الأنباء تترى بأنهم يرسلون الوفود إلى الديار الأمريكية لتعطيهم القدس عاصمة لدولة إسرائيل ، وإلا فلا لوم عليهم إذا فشل الرئيس الرفيع الشأن في الانتخابات .

أما الذي ارتجف من الخوف بعد مقتل برنادوت فهم رجال هيئة الامم الموقرة ، وهم الشهود الذين يخشى من شهادتهم على قاتليه . ولم تتركهم هيئة الامم الموقرة . معاذ الله . بل تكفلت لهم بالهرب من بيت المقدس إلى باريس ، ومن باريس إلى نيويورك ، ولن تبخل عليهم غداً بالهرب إلى قطب الشمال أو قطب الجنوب ، إذا ضمنت لهم هناك أمانا من سادتها الثائرين .

أما القتلة السفاحون فلهم الامان ، لأنهم لا أمان معهم لاحد من الناس . ولهم الحق فلو أصابهم من إجرامهم شر لعدلوا عنه ، ولكنهم كوفئوا عليه أحسن المكافأة ، فلماذا يرجعون ؟ ولماذا يحذرون ؟

هدنة في باطن هدنة (١)

ما هي وظيفة مجلس الأمن في قضية فلسطين .

يمكن ان يقال بغير تهكم ولا مبالغة ان وظيفة مجلس الأمن في هذه القضية قد انحصرت في عمل واحد ، وهو حماية المعتدين وتشجيعهم على مواصلة الاعتداء . فلولا مجلس الأمن ما اجترأ الصهيونيون على خرق الهدنة والهجوم على الجيوش العربية التي تحافظ عليها لأنهم يعلمون ان عاقبة هذا الهجوم هي القضاء على عصابة إسرائيل ثم القضاء على كل أمل لها في إقامة دولة إسرائيلية في فلسطين .

وإذا قيل ان العصابة الصهيونية قد اجترأت على خرق الهدنة لأنها تلقت مدداً كبيراً من الاسلحة والجنود فهذا أيضاً لم يتيسر لها إلا بفضل مجلس الامن الموقر ، لأنها قد تلقت هذا المدد بعد دخول الجيوش العربية أرض فلسطين وبعد عقد الهدنة مرتين بإلحاح شديد من جانب المجلس .

وعلى الرغم من هذا المدد الكبير يعلم الصهيونيون ان هذا المدد لا يضمن لهم عاقبة الاعتداء ولا يحميهم إذا أخفقوا في اعتدائهم من عقبته المحذورة : وهي سحق عصابتهم ، وتقويض كل ما بنته واستعدت به للهجوم وخرق الهدنة أيام الانتداب وبعد نهاية الانتداب .

فمجلس الأمن هو الضمان الوحيد لهم في هجومهم الغادر على الجيوش العربية مرة بعد مرة ، وهو الذي أمنهم ان هذا الهجوم نافع لهم في حالة النجاح ،

---

(١) الأساس ٢٠/١٠/١٩٤٨ .

مأمون العاقبة في حالة الاخفاق . لأن مجلس الامن سيترك لهم غنيمتهم إذا غنموا وسيبادر إلى إنقاذهم وحمايتهم إذا دارت عليهم الدائرة ، فلا خوف عليهم من عاقبة غدرهم في الحالتين .

وإذا كانوا في شك من ذلك في أول الامر فقد أصبحوا على يقين منه بعد نقض الهدنة وتكرار نقضها وسكوت مجلس الامن عن العقاب الذي يوجبه عملهم ، بل عن مجرد الإنذار بالعقاب . فانهم يقترفون كلما يغضب مجلس الامن لو كان مجلس الامن يغضب من جرائمهم التي يقترفونها . سمموا الآبار ، وضربوا المستشفيات ، وقتلوا النساء والاطفال ، وقتلوا وسيط مجلس الامن نفسه ، فلم يغضب مجلس الامن الموقر ولم يهدد بالغضب ، ولم يقل انه يتهم العصابة الصهيونية فضلا عن معاقبتها أو الغضب عليها .

والمضحك انه بعد خرق الهدنة يجيء وسيط من مجلس الامن — أو عن هيئة الامم سيان — فيقترح الاتفاق على هدنة جديدة في باطن الهدنة ، ويقول للفريقين ما معناه ، وليس له معنى غيره ، تهادنوا في القتال الذي خرقتم به الهدنة ، وسماح لكم فيما كان من خرق الهدنة الأولى ، فانها ليست جديرة باهتمام وليست جديرة منا بالتنفيذ .

ويحق للمطلوب منهم ان يتهادنوا اليوم أن يسألوا رقباء الهدنة الاجلاء : هل أنتم رقباء الهدنة الأولى أو انتم رقباء الهدنة التي تنفذ الآن في باطن تلك الهدنة؟ وما هو الضمان للهدنة الثانية ان تكون لديكم أفضل وأصدق من الهدنة الاولى ؟ وإذا كان خرق الهدنة الثانية لا يصيب اليهود اكثر مما اصابهم خرق الهدنة الأولى فما الذي يمنعهم ان يخرقوا الهدنة الثانية حتى يحتاج الامر إلى هدنة ثالثة ورابعة فخامسة إلى غير انتهاء ؟

لم يبق لمجلس الامن الآن أن يفسر هدنته المزعومة بالتفسير الوحيد الذي ينطبق عليها ، وهي انها هدنة بالنسبة للعرب ، ولكنها ليست بهدنة بالنسبة لليهود يطالبون بالتزامها ويعاقبون على عصيانها ، بل لعل الغرض الصحيح هو تحريضهم على العصيان ومكافأتهم عليه .

لقد كان موسوليني يذكر رجال عصبة الأمم فيسميهم « بهؤلاء الكوميديين الذين يمثلون في جنيف » . فقد تحدرت هيئة الامم إلى « الفودفيل » الرخيص

بعد الكوميدية الفنية ، وقد هبط الفن على أيديهم مـــن التمثيل إلى التهريج .
والفرق بين الهيئتين ظاهر من معاملة موسوليني نفسه ومعاملة هذه الشراذم التي تسمي نفسها بدولة إسرائيل . فلا محل للمقابلة بين الدولة الايطالية والدولـــة الاسرائيلية ، لان ايطاليا كانت دولة تحمي نفسها وتستطيع انتهدد الامن العام العالمي بقوتها وقوة اصدقائها من الدول الفاشية أو الدكتاتورية ، ومع هـــذا ألزمتها عصبة الامم باطاعة قوانينها أو الخروج منها ، فاستقالت واقدمت عـلى فعلتها في الحبشة ، فكانت من جراء ذلك انها ادينت في عصبة الامم وفرضت عليها العقوبات باتفاق الاكثرين من أعضائها ، ثم خطر للوزير الفرنسي لافال والوزير الإنجليزي صمويل هور ان يصانعاها بعض المصانعة ، فثار عليهما الرأي العام في بلديهما . وخرج صمويل هور من الوزارة وتعرض لافال للهزيمة ، وعلقت الوصمة بهذا الاخير حتى حوسب عليها بعد سنوات فيما حوسب عليه من الجرائم التي عوقب عليها بالاعدام .

وأين مسرح الفودفيل الحاضر من اولئك الكوميديين المظلومين ؟

اننا لا نحسب ان امم العالم قد انحدرت مع هيئة الامم المتحدة ، ولكننا نحسب ان الفرق بين الهيئتين راجع إلى اهتمام الضمير العالمي بالخلاف الاول وقلة اهتمامه بخلاف اليوم بين العرب والصهيونيين ، لان حركات موسوليني كانت في صميم أوربة ، وكانت عواقبها ماثلة هنالك لرجل الشارع كما يقولون ، ولم تكن مقصورة على الساسة وأذناب الدعاية المأجورين . ولكننا نعتقد أيضاً ان الصهيونيين مسلطون على انفسهم من قديم الزمن ، وانهم لا يزالون ينفخون في القضية الصهيونية حتى تتخذ لها في الضمير العالمي شأنا كشأن المطامع الفاشية ، ويومئذ يندمون فلا يغنيهم من الندم ترومان ولا وايزمان .

أصبحت مكشوفة (١)

إن الصهيونيين وأبناء جلدتهم جميعاً قلة ضئيلة في العالم لا تتجاوز نسبتهم سبعة في الالف من سكان العالم كله . وهم قلة في الولايات المتحدة لا تتجاوز نسبتهم أربعة في المائة من سكان تلك الولايات . فاذا كان لهم نفوذ سياسي فليس هو بطبيعة الحال نفوذ الكثرة العددية ، ولا نفوذ الوسائل الصريحة المشروعة . ولكنه نفوذ الاساليب الخفية المختلسة التي تظل نافعة لهم ما دامت خفية مختلسة أما إذا عرف العالم أن هناك نفوذاً من هذا القبيل فتلك اول علامة على اقترابه من الزوال ، وان الامد الذي يزول فيه لا يطول .

وقد اصبحت مسألة السيطرة الصهيونية على انتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة مسألة مكشوفة يقال في وصفها انها مسألة مفهومة وكفى. فمندوب روسيا يرفض تأجيل النظر في تقرير الكونت برنادوت ويعلن متهكما ان الاسباب التي يصرح بها طلاب التأجيل لا تعبر عن الحقيقة المستورة ، وان الأولى بهم ان يعلنوا طلبهم بانتظار موسم الانتخابات الامريكية في شهر نوفمبر القادم .

وأحاديث المندوبين في الاروقة تدور على هذا الموضوع ويقال فيها ما لا يقال في الجلسات العلنية .

واتجاه الكثرة إلى قبول التأجيل يدل على تدبير وراءه من جانب الدولتين الكبيرتين : الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى . اما روسيا فلا يظن بها انها

---

(١) الاساس ٢٢ - ١٠ - ١٩٤

اجتهدت في توجيه الكثرة بين الامم المتحدة إلى هذه الوجهة ، لأنها تلح اشد الالحاح في نظر المسألة الفلسطينية قبل غيرها من المسائل المعروضة . فاذا كان هناك تدبير فهو من جانب الدولتين الاخريين . ويؤيد هذا الظن ان جمهورية « كوبا » هي صاحبة الاقتراح بالتأجيل ، وهي من دول امريكا اللاتينية التي تصادق الولايات المتحده وتعتمد عليها في صادراتها ووارداتها ولا ننسى لها انها حاربت اسبانيا من اجلها او من اجل تحرير القارة كلها من السيطرة الاجنبية . فان لم يكن اقتراعها متفقاً عليه فهو على الاقل لا يرمي إلى معارضة الولايات المتحدة وإحباط مساعيها . وقد صنعت هذه الدولة الصغيرة في إبـان الحرب العالمية الماضية ما لم تصنعه دولة اخرى لارضاء الدول الديمقراطية ، فأصدرت قانونا يحرم الجماعات النازية والفاشية وسمحت ببقاء الحزب الشيوعي على شرط واحد وهو ان تنقطع الصلة بينه وبين موسكو كل الانقطاع .

فهناك حرج يشعر به الساسة الامريكيون من سيطرة الصهيونيين على الانتخابات المقبلة ، وهناك رغبة في تخطي هذا الحرج بعلة من العلل التي تبريء هؤلاء الساسة من تبعة التسويف امام عصابة اسرائيل .

والنفوذ الصهيوني كما أسلفنا « دسيسة » لا تعتمد في تحقيق اغراضها على وسيلة صريحة . فاذا انكشفت الدسيسة في الولايات المتحدة ، وفي مجالس الامم ، فهي قصيرة الاجل قريبة الزوال ، لان خدامها من الساسة لا يستطيعون ان يخدموها علانية ولا أن ينجحوا في خدمتهـا إذا سولت لهم نفوسهم ان يتغاضوا عن الكرامة ويظهروا للملأ جهرة انهم خدام الصهيونيين .

ولا نظن أن « الدسيسة الصهيونية » اثارت من اللغط حولها بين الامم الديمقراطية ما ثار حول مسألة فلسطين وانتخابات الرئاسة في العهد الاخير . فمن سنة مضت قالت « الديلي اكسبريس » وهي من اوسع الصحف الانجليزية انتشاراً « ان الرئيس ترومـان تلقى من الجمهوريين تحذيراً بأن ارسال الجنود الامريكية إلى فلسطين يعرضه للمتاعب . ولكنه إذا لم يعد بارسالها تعرض للتعب من ناحيـة اخرى وهي ناحية الانتخابـات . ولا ننسى – ولا ينسى المرشحون – ان اثنين بين كل سبعة من سكان نيويورك يهوديان . ولم يحدث

قط من سنة ١٩٤٦ أن مرشحاً للرئاسة ظفر بها من غير أن يظفر بأصوات نيويورك » .
وقد تناول المؤلفون العالميون هذه المشكلة ولم يقتصر أمرها على صحف الأخبار .
فأسهب دوجلاس ريد في التعقيب عليها وقال : إن اللغز عندي هو ان الساسة من غير اليهود في هذا العصر لا يثورون على هذه القيود . وأن الرئيس الأمريكي يذعن لها بدلا من أن يكشفها مرة واحدة ولو أضاع الفرصة في دور من أدوار الانتخاب » . وكتب « دوجلاس ريد » على الرغم من محاربة الناشرين اليهود ، تطبع بعشرات الألوف ، وتقرأ حيث تقرأ الانجليزية وتترجم إلى غيرها من اللغات .

والذي نرجوه أن يكون الانتخاب المقبل آخر انتخاب يذعن فيه المرشحون لهذه السطوة الجائحة التي لا تعرف الحدود . قد يقال انها سطوة معهودة منذ أكثر من ثلاثين سنة كما ظهر من نتائج الانتخابات الماضية . ولكن الموقف اليوم يختلف كل الاختلاف ، لأن الصهيونيين لم تكن لهم قبل اليوم مطالب خارجية ترهق المرشحين وتحرجهم في السياسة العالمية . وكانت دسائسهم تدور حول المسائل الداخلية التي لا تنتهي إلى أكثر من تغليب حزب على حزب أو تغليب برنامج وطني على برنامج آخر . أما اليوم فهم يسوقون المرشحين سوقاً إلى المآزق الخطرة في سياسة العالم بأسره ، وهم من اللؤم بحيث لا يرحمون مضطراً إليهم ولا يقنعون منه بالقليل ولا بالكثير المعقول ، ولا يزالون به حتى يرى – مضطراً أيضاً – أن خسارة الانتخاب أهون عليه من إجابتهم إلى كل ما يطلبون .

على أننا مع هذا لا نغلو في التفاؤل باتجاه الكثرة في هيئة الأمم إلى تأجيل قضية فلسطين ، فمن جهة نرى أن معارضة روسيا للتأجيل قد تدل على انه معطل لأغراضها في فلسطين . ولكن روسيا من الجهة الاخرى قد تعارض لمجرد الاحراج والرغبة في الايقاع ، ومن جهة نرى ان الولايات المتحدة هي الدولة المحرجة في تأييد الصهيونيين . ولكننا كذلك لا نستطيع أن نجزم بأنها تشعر بهذا الحرج لأنها تريد أن تغضب الصهيونيين ، فانها قد تشعر بهذا الحرج لأنها تريد أن تعطيهم فوق ما أخذوه ، وتعتقد انها بعد الانتخاب تصبح هي والدولة الصهيونية أمام أمر واقع يطلق أيديها من بعض القيود .

ويتردد سؤال لا بد منه في هذا المقام : هل كان الصهيونيون يقبلون التأجيل أولا لانهم ظنوا أن خرق الهدنة يمكنهم من املاء شروط في مصلحتهم ؟

هل عادوا إلى رفض التأجيل لأنهم يرتابون في النتيجة إذا تأخر الفصل في القضية كلها ونفذ أمر المجلس بوقف القتال ؟

إن المستقبل القريب خليق أن يكشف لنا عما وراء هذه المناورات وهذه المداورات ، وقد يكون مستقبل أسابيع ، بل مستقبل أيام .

نحن سلعة في سوق انتخابات (١)

من أعجب التصريحات التي رويت – او يمكن أو تروى – عن سياسي مسؤول، ذلك التصريح الذي أفضى به مستر ترومان رئيس الولايات المتحدة رداً على مستر ديوي مزاحمه على تلك الرئاسة . فقد كتب مستر ديوي يقول إنه يؤيد تقسيم فلسطين الذي أقرته هيئة الأمم المتحدة في شهر نوفمبر من السنة الماضية . فرد عليه مستر ترومان قائلا إنه يعلن في صراحة أنه يؤيد الصهيونيين في مطالبتهم بحدود ذلك التقسيم ولا يقبل تعديله إلا إذا رضي اليهود عن ذلك التعديل .

كلام يقال على ملأ من العالم كله ، ثم يطلب من هذا العالم المسكين ان يصدق ان المسألة في فلسطين مسألة تحكيم وإنصاف وقضاء بين الطرفين على سنة المساواة. ومن البديهي ان مستر ترومان او مستر ديوي لا يملكان تقسيم فلسطين ولا إرضاء اليهود بسلطة الولايات المتحدة . ولكنهما إذا استطاعا شيئاً من ذلك فإنما يستطيعانه بسلطة واحدة : وهي سلطة مجلس الأمن او هيئة الأمم المتحدة.

ومعنى ذلك ان أمم العالم لم تنشيء مجلس الأمن او هيئـــة الامم لضمان حقوقها ودفع العدوان عنها ، ولكنها أنشأت المجلس والهيئة لتصبح سلعة تباع وتشترى في سوق الانتخابات الامريكية ثمناً لاصوات اليهود في نيويورك وغير نيويورك . ومعنى ذلك أيضاً ان اليهود قد أصبحوا سادة العالم في هذا الزمان على يدي مستر ترومان وأشباه مستر ترومان . فالامم ترضي الولايات المتحدة

---

(١) الاساس ٢٧ – ١٠ – ١٩٤٨

لان الولايات المتحدة تملك الدولار ، والولايات المتحدة ترضي الصهيونيين لانهم يملكون أصواتاً في الإنتخابات الامريكية .

بارك الله في هذا العالم العظيم الذي نجا من هتلر وموسوليني ليصبح غنيمة في أيدي غريون وشرتوك وحاييم .

ومن المذهل ـ ولا يكفي أن نقول من العجيب ـ أن هذه الوعود تكال للصهيونيين في هذه الآونة بذاتها . في هذه الآونة بذاتها يقال للصهيونيين إن رضاهم هو غاية السياسة الامريكية وغاية السياسة العالمية . يقال لهم إن العالم يعطيهم ما يرضون عنه ، ولايعنيه أنه حق لهم او أنه غصب من غيرهم . فانما المهم ان يكونوا راضين مسرورين ، وليس المهم ان يحصلوا على حق او يكفوا عن عدوان في هذه الآونة بذاتها تكال لهم هذه الوعود .

وأي آونة هي في مراحل القضية الفلسطينية؟

هي الآونة التي ينبغي أن ينتظر فيها الصهيونيون عقاباً صارماً لانهم خرقوا الهدنة وسخروا من هيئة الامم المتحدة .

هي الآونة التي ينبغي ان ينتظروا فيها عقاباً صارماً لانهم قتلوا وسيط هيئة الامم ولم تحرك حكومتهم المزعومة ساكناً للقبض على قاتليه .

هي الآونة التي اثبتوا فيها انهم لا يقيمون للمواثيق وزناً ، ولا يحسبون للهيئات الدولية اقل حساب

في هذه الآونة يقال لهم إنهم في مأمن من العقاب ، وفي مأمن من الملام ، وإنهم اهل فوق ذلك لاستجابة مطالبهم ولطلب ما يرضيهم ، ولو كان ما يرضيهم هو هـــذا العدوان وهو هذا الاستهزاء بكل حق وبكل مبدأ من مباديء الشرف والاخلاق.

لئن كان هذا الكلام عجيباً في وقت من الاوقات فانه لأعجب ما يكون في وقت الانتخاب . لان المتزاحمين على كرسي الرئاسة الامريكية يقولونه وهم يعلمون ان اليهود يسخرون السياسة الامريكية في خدمة وطن غـــير الوطن الامريكي ، وهو الوطن الذي تطلبه عصابة إسرائيل .

يقولونـــه وهم يعلمون ان اليهود اصحاب الاصوات يتمتعون بالجنسية الامريكية وبحقوق الانتخاب الامريكية ، ولكنهم لا يعطون اصواتهم للرئيس

الذي يعمل لامريكا ، بل يعطونها للرئيس الذي يعمل لعصابة إسرائيل .

وبدلاً من ان يداري اليهود هذه الخيانة او تصيبهم من جرائها خسارة يخشونها ، يعلنون خيانتهم على الملأ ويفرضونها على جميع الامريكيين ، ويقال لهم من اجل ذلك : نعم ! إنكم تخدمون عصابة إسرائيل ولا تخدمون امريكا. فلتكن امريكا إذن في خدمتكم ، وليكن العالم كله من وراء امريكا في خدمتكم ، ثمناً لهذه الاصوات .

إن السياسة الدولية في هذا الزمن لتنحدر وتنحدر الى قرار مخيف .

إن المستعمرين كانوا يحتلون البلد ، ويقولون إنهم يحتلونه لمصلحة أهله ، او يحتلونه لترقيتهم في سلم الحضارة والاستقلال .

كان المستعمرون يقولون ذلك لتسويغ مطامعهم التي لا تسوغ ، فماذا يقول اليوم ساسة العالم الذين تجردوا لتقرير المباديء الإنسانية والقضاء على مطامع الاستعمار ؟

يقولون لمن يعطيهم أصواته في الانتخاب: اذهب وخذ من بلاد الله ماتشاء، فلك كل ما تأخذ ، ولك فوقه رضاك إن لم يقنعك ما أخذت !

هبوط في سياسة العالم ينحدر به الى قرار مخيف .

ويأبىعدل الله أن تنحدر سياسة العالم هذا الانحدار فيأيدي أناسمتسلطين ثم يدوم لهم سلطان . وإلا فعلى العالم وعلى الإنسانية كلها العفاء .

سياسة ديوي وترومان (1)

إذا كان الكثيرون من أبناء البلاد العربية قد انتظروا نجاح ديوي في معركة الإنتخاب لرئاسة الولايات المتحدة – فشأنهم في ذلك كشأن جميع المتطلعين الى نتائج تلك المعركة ، وقد كادوا أن يجمعوا على نجاح ديوي وإخفاق ترومان ، ومنهم أصحاب معاهد الاستفتاء التي جرب الناس صدق تقديراتها في مسائل كثيرة تسبر فيها غور الرأي العام فتدل على اتجاهه الصحيح في كثير من الأحيان .

ولعل المتطلعين الى نتائج المعركة من العرب قد انتظروا نجاح ديوي لأن الإنسان يكره النجاح لمن ساءه بقول او عمل . وقد كان ترومان هو المسؤول الأول عن تأييد الولايات المتحدة للدعوة الصهيونية ، وهو المسؤول الاول عن اجتراء الصهيونيين على خرق الهدنة والعبث بالرقابة الدولية في ميادين فلسطين .

أما ان يكون قد انتظروا من ديوي تأييداً للقضية العربية وخذلاناً للدعوة الصهيونية فذلك مالم يخطر على بال احد منهم ، وليس بالمعقول ان يخطر لهم على بال بعد ما جربوا سياسة الدول وعرفوا قيمة المبادىء في توجيه هذه السياسة . فديوي وترومان في قضية فلسطين فرسا رهان : كانا يتسابقان في الحلبة على بذل الوعود للصهيونيين ولا يذكران العرب بخير في وعد من هذه الوعود . وكان ديوي يقر الدولة التي سموها دولة إسرائيل كما اقرها ترومان،

---

(1) الاساس ١٩٤٨/١١/٥ .

ويدافع عن مشروع التقسيم الذي اقترحته هيئة الأمم المتحدة في السنة الماضية كما يدافع عنــــه منافسه المجدود . وهو فوق ذلك حاكم نيويورك الذي رشحه الجمهوريون فنجح بتزكية الكثرة بين الناخبين من اليهود . وهو في الإنتخاب الأخير قد كان صاحب الكفة الراجحة في ولاية نيويورك ، فلم تكن صداقته لليهود أقل من صداقة ترومان .

فلا خسارة على العرب في هذه النتيجة التي أسفرت عن انتخابات الرئاسة الأمريكية . ولك أن تقول إن الخسارة والربح يستويان لأن ترومان وديوي سيان . بل لك أن تقول إن الخسارة والربح يستويان لغير هذا السبب . وذاك أن العرب يعولون على عملهم وعلى مركز قضيتهم في السياسة العالمية . فإن لم يكن لهم عمل ولم يكن لقضيتهم مركز مرعي في السياسة العالمية فهم خاسرون كائناً من كان صاحب الكرسي في البيت الأبيض . وإن كانوا يعملون لأنفسهم ، ويعرفون مركز قضيتهم بـــين أمم الشرق والغرب فهم الرابحون ، وإن أراد الخسارة لهم هاري ترومان وزكاه حاييم وايزمان !

وقد يهمنا من معركة الرئاسة في الولايات المتحدة شيء واحد هو في اعتقادنا أهم بالنسبــــة إلينا من نتيجة تلك المعركة . وذلك هو معنى الدعاية في البلاد الأمريكية . فقد يسبق إلى الظن ان نجاح الدعاية بين الأمريكيين هو نجاح الرأي الذي تسير به الصحافة وشركات النشر على العموم . وقد يسبق إلى الظن أيضاً ان القراء هناك يثقون بالصحافة وشركات النشر ويعتمدون على مشورتها في اختيار الخطة التي يأخذون بها في المسائل الكبرى .

ولكن معركة الإنتخاب الأخيرة تدلنا مرة أُخرى على خطأ هذا الظن كما تدلنا على معنى الدعاية الصحفية بين الأمريكيين . فالكثرة الغالبة بين الصحف الأمريكية كانت تبشر بنجاح ديوي وسقوط ترومان ، وكان ترومان يشكو من هذه الصحف وينعتها في خطبه وإذاعاته بأسوأ النعوت . وكان المرجح – بل المحقق المجزوم به من قراءة تلك الصحف – أن ترومان سيخفق إخفاقاً ذريعاً في هذه المعركة ، وأن ديوي سينجح بكثرة ساحقة في انتخاب الرئاسة وانتخاب المجلسين . فلم يحدث هذا وحدث نقيضه ، ودلت النتيجة على هوان قدر الصحافة

الأمريكية في نظر قرائها ، وأنهم ينظرون إليها كما ينظر المرء إلى « مضحك » يسليه ويسري عنه فيصغي إليه ويستملح صحبته ولا يأخذ برأيه .

وهذا الذي ظهر في المعركة الأخيرة قد ظهر على نحو أوضح وأوسع في معارك روزفلت الكثيرة . فقد كان روزفلت هدفاً لحملة عنيفة متواصلة من تسعة أعشار الصحف الكبيرة والصغيرة في العواصم والأقاليم . ولم يمنعه ذلك ان ينتخب للرئاسة ثلاث مرات بعد المرة الأولى ، ولم يكن نصيبه — حتى في المرة الأولى — كبيراً من تأييد الصحافة على العموم .

فمن الخطأ الجسيم أن نفهم من قوة الدعاية الصحفية هناك أنها قوة قائمة على الثقة والاحترام . ولكن من الخطأ الجسيم كذلك ان نفهم ان الدعاية الصحفية هناك لغو لا يؤبه له او أنها شيء يمكن ان يخرج من الحساب . إنما الحقيقة أنها قوة يؤبه لها ، ولكنها تقوم على شيء غير الثقة والإحترام . فهي من جهة قوة « سلبية » لأنها تستطيع ان تحجب بعض الحقائق وتحول دون انتشارها على جليتها بين الرأي العام . وهي من جهة أُخرى تؤثر في الجمهور على الطريقة التي نسميها في مصر طريقة « الدوي على الآذان » ، ونعني بها موالاة نشر الأخبار الباطلة حتى ترسخ في الأذهان ويحتاج تفنيدها الى عناء كبير .

ولكنها لا تستطيع ذلك إلا في المسائل التي لا يهتم بها الجمور اهتماماً خاصاً ، ولا يعنيه ان يمحصها بالمراجعة والاستطلاع. أما المسائل التي تهمه وتتصل بشؤونه القريبة فهو يعتمد فيها على نفسه ولا يعتمد فيها على أخبار تذيعها الصحافة أو دعوة تروجها لهذا الفريق أو ذاك الفريق.

وهذه هي قوة الدعاية الصحفية على حقيقتها بين القراء الأمريكيين . أما معركة الانتخاب فهي معركة يتساوى فيها عندنا الغالب والمغلوب ، لأنها في النتيجة العملية سيان .

مجلس الأمن يهدد سلام العالم (١)

إذا أصبحت مشكلة فلسطين خطراً على سلام العالم فالمسؤول عن ذلك هو مجلس الأمن الذي أقيم لحماية سلام العالم مـــن الخطر ، وليس الصهيونيون هم المسؤولين ، لأن الصهيونيين لم تقم لهم قائمة بغير مجلس الأمن مجتمعاً ، ومجلس الأمن متفرقاً في أعضائه الكبار ، وهم الولايات المتحدة وروسيا الشيوعيـــة وبريطانيا العظمى وفرنسا .

ولا نعود إلى ما قبل نهاية الإنتداب . فان الصهيونية لم تكن لتقوم لهـــا قائمة في فلسطين بعد كل ما استفادته من الدولة المنتدبة لو لا ان كفلها مجلس الأمن برعايته وتشجيعه في هذه الشهور الاخيرة .

فمجلس الأمن هو الذي فرض الهدنة في ميدان فلسطين حين كانت الهدنة غوثاً عاجلا للصهيونية ، وحرماناً للجيوش العربية من ثمرات نصرها ومن ثمرات النصر الذي كانت على يقين منه قبل فرض الهدنة .

ومجلس الأمن هو المسؤول عن استخدام الهدنة في تهريب السلاح والذخيرة إلى العصابات الصهيونية ، لانه لم يكن يحق له أن يفرض هدنة في ميدان من الميادين إلا إذا وثق من قدرته على تنفيذها . فان لم يكن واثقاً من ذلك فهي هدنة في الظاهر ومعونة صهيونية في الحقيقة ، وهو — أي مجلس الأمن — مسؤول

---

(١) الاساس ٨ — ١١ — ١٩٤٨ .

على كل حال عن اهماله ان كان مهملا، وعن سوء قصده إذا كان قد اراد المعونة للصهيونيين من وراء هذه المهزلة التي مثلها في صورة التحكيم والقضاء .

ومجلس الأمن كان خليقاً ان يوقع العقاب بمن خالف أحكام الهدنة ، وكان خليقاً ان يوقعه حين كانت مخالفة الهدنة اهانة لمجلس الامن نفسه ، او حين بلغت الجرأة بالصهيونيين ان يقتلوا وسيط مجلس الامن ولا يكلفوا أنفسهم مؤونة الاهتمام بالبحث عن قاتليه .

لكن مجلس الامن لم يوقع العقاب .

ولم يشر إلى مقتل الوسيط في أثناء بحثه عن خرق الهدنة، كأن هذه الجريمة اهون من ان يشار إليها في مناسبتها التي تستدعي الإشارة اليها .

لم يوقع المجلس عقاباً وفعل اكثر من توانيه في ايقاع العقاب . فان قراراً عرض عليه تلويحاً بالعقاب في المستقبل إذا خالف احد من الفريقين وصايا المجلس الجديدة . فاستكثر التلويح بالعقاب حتى على تقدير التمادي في الإجرام والإعتداء .

فان لم يكن هذا غفرانا للذنوب الماضية فما هو الغفران ؟

وان لم يكن هذا تحريضاً على التمادي في الإجرام والاعتداء فكيف يكون التحريض ؟

إننا نفهم ان يأتي هذا التحريض من جانب الشيوعيين لان الشيوعية والصهيونية توأمتان .

ولكن هذا التحريض لم يأت من الشيوعية وحدها بل جاء من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا .

فالولايات المتحدة كانت اسبق الامم الى احتضان « الدولة الصهيونية » المختلقة واسبقهم الى الاغضاء عن سياستها .

وبريطانيا العظمى ساهمت في التقسيم وباعت اليهود في برقة عتاداً عظيما لم يلبث ان وصل الى أيدي الصهيونيين .

وفرنسا هي التي استكثرت مجرد التوبيخ بالعقاب في وصايا المجلس الاخيرة.

وكل أولئك لا يزالون ذاهلين تائهين عـــن معنى المساعدة التي يتلقاها الصهيونيون من دول النظام الشيوعي في أوربة الشرقية . وكل أولئك لا يزالون يعملون باليمين في أوربة الغربيـــة لتحصين الغرب من طغيان الشيوعية ، ولا يزالون يعملون باليسار لتسليم الشيوعية في الشرق زمام هذا الحصن الحصين !

ووالله لولا ان الناس يرون بأعينهم هذا الخبل المطبق لما صدقوه ، لانه اعجوبة الاعاجيب من أناس يزعمون انهم ساسة ويزعمون انهم يحاربون الشيوعيـــة ويخشون منها على السلام .

ويقف هؤلاء الساسة بين معسكرين : احدهما معسكر الصهيونية ، والآخر معسكر الامم العربية .

معسكر الصهيونية يحميه الشيوعيون يؤيدونه ، ولا يمنعه مانع ان يرحب بالشيوعية لان إمام الشيوعية في العالم – وهو كارل ماركس – من اليهود ، ولان الشيوعية تخدم الصهيونية في فلسطين وتخدمها بين الامم كافة ، وتنتهي الى الغاية التي يريدها الصهيونيون وهي هدم الاوطان والاديان وتغليب العقيدة المادية على كل شيء في الآداب والمعاملات .

ومن الذي يحكم العالم غـــير الصهيونيين إذا تغلبت « المادية » على كل شيء ؟

والى الجانب الآخر معسكر الامم العربية الذي ينفر من الشيوعية بحـكم دينه وحكم تقاليده .

واي المعسكرين هو الذي يلقى العون من اعداء الشيوعية ، من القائمين القاعدين بتحصين العالم في وجه الشيوعية ، من الخائفين على سلام العالم وسلام انفسهم من خطر الشيوعية ؟

ليس هو معسكر العرب ، بل هو معسكر الصهيونيين !.

وإذا قيل إن أولئك الساسة يخدمون مصالحهم ومصالح دولهم كلاً منهم

على حدة ، فما هو الضمان لوعود الصهيونيين معهم إذا كان هؤلاء الصهيونيون يقابلون مجلس الامن كله بالتحدي والاستخفاف وهم لا يستقرون بعد على قدمين ؟

إذا كانت الدولة المختلفة تعتدي على مجلس الامن وتستخف به قبل الاعتراف بها وقبل استقرارها على قدميها ، فما هو ضمان وعدها لهذه الدولة او تلك حين تصبح لها حقوق الدول في الرفض والقبول ؟

ان التلمود يسمي الامم غير اليهودية « بالجوييم » ويقول إن « الجوييم » بهائم لا يعقلون .

صدق التلمود في هذا ان لم يصدق في شيء من الاشياء . بل صدق القرآن الكريم حيث قال عن الغافلين اجمعين « أولئك كالانعام بل هم اضل . أولئك هم الغافلون » .

أحسنوا التمثيل
ان لم تحسنوا القضاء[1]

إذا لم يحسن الحكم أن يفصل في قضية فلا أقل من أن يحسن تمثيل دور الحكم الذي يسوي بين الطرفين .

ولكن الولايات المتحدة في قضية فلسطين لم تحسن هذا ولا ذاك ، فلم تقف موقف الحيدة بين العرب والصهيونيين، ولم تكلف نفسها تمثيل دور الحيدة ولو من قبيل ذر الرماد في العيون . فلم يحدث قط في قضية من القضايا الدولية او الفردية أن يخرج القاضي على الناس معلناً أنه لن يقبل في حكمه إلا ما يقبله أحد الطرفين . وهذا الذي فعلته الولايات المتحدة بلا تلجلج ولا مواربة .

فأعلنت غير مرة أنها لا توصي إلا بالتقسيم في قضية فلسطين ، وأنها لا تقبل إلا التقسيم الذي يقبله اليهود .

لم تقل انها تقبل التقسيم على هذا المبدأ من المباديء الجغرافية ، او على هذه القاعدة من القواعد الدولية . ولم تقل انها تعطي اليهود النقب لأنهم في حاجة إليه ، او لأن حصتهم لا تصلح إلا باضافته إليها ، ولكنها قالت إنها تريد أن ترضيهم وكفى ، فاذا رضوا باخراجه من حصتهم رضيت ، وإذا رفضوا إخراجه من حصتهم رفضت ، ولا شأن للعدل ولا للمصلحة فيما يرضيهم لأن رضاهم فقط هو المسوغ الوحيد الذي يقضي على العرب بترك النقب او بأخذه ،

---

(١) الاساس ٢٦/١١/١٩٤٨

ولن تسأل الولايات المتحدة عن شيء غير هذا الرضى الذي لا يتقيد بمبدأ ولا بمصلحة ولا ببرهان .

ولو أن الولايات المتحدة قالت إنها تعمل ما فيه مصلحة اليهود على رأيها هي لكان هذا اخلالا بوظيفة الحكم وإخلالا بتمثيل هذه الوظيفة على مسرح السياسة الدولية . لأن في فلسطين مصالح أُخرى غير مصالح اليهود وهي مصالح أهل فلسطين ومصالح البلاد المجاورة لها ، فلا يجمل بالقاضي النزيه ان يرجح مصلحة على مصلحة ، او يعطي فريقاً من حق فريق .

ولكن الولايات المتحدة لم تقل حتى هذا . لم تقل إنها تعطي اليهود ما فيه مصلحتهم كما تراها ، بل لم تقل إنها تعطي اليهود ما فيه مصلحتهم كما يرونها . ولكنها قالت إنها تعطيهم رضاهم وكفى ، فان لم يرضوا بغير حجة ولا مبدأ ولا قاعدة ، فهي أيضاً لن ترضي ولن تستند في غضبها إلى حجة ناهضة او مبدأ معروف او قاعدة مرعية .

سبحان الله !

من الذي حكم للولايات المتحدة في رقاب العالم الإنساني بهذا التحكم الغريب. من الذي خولها ان تفرض رضاها هي على الشعوب الإنسانية ، فضلا عن رضى اليهود مفروضاً على من يشاءون كما يشاءون ؟ ما هي الصفة التي تتحكم بها هذا التحكم في خلائق الله ولا تكلف نفسها حتى مجرد التمثيل والمداراة ؟ بأي حق تنتظر من العرب أن يسلموا النقب إلى اليهود بغير شيء إلا أنهم يرضون بهذا التسليم والولايات المتحدة لا ترضى إلا بارضاء اليهود ؟

لو أنها قصة خيالية لاستغربها الناس ، ولكننا عشنا حتى رأينا بأعيننا دولة تطمع في قيادة العالم كله بمثل هذا التصور العجيب ومثل هذه العقلية البدائية في القرن العشرين .

لتكن دولة إسرائيل !

فاذا بدولة إسرائيل تكون على رأي الولايات المتحدة في عشر دقائق !

ولترض دولة إسرائيل !

فاذا برضى إسرائيل قد أصبح دستوراً تفرضه الولايات المتحدة على الكرة الأرضية ، فلا تحل قضية فلسطين إلا برضى من دولة إسرائيل .

ما هذا ؟

ما هذه الغطرسة التي لم يسمع أحد بأعجب منها في عهد غطرسة الرومان قبل ميلاد المسيح بمئات السنين ؟

إن حجة الولايات المتحدة التي دخلت بها إلى ميدان السياسة العالمية هي أنها تصد طغيان هتلر عن القارة الأوربية وعن الكرة الأرضية من بعدها . فهل جهر هتلر قط بطغيان كهذا الطغيان ! لقد كان يطلب أرض « السوديت » لأنه يزعم أن الألمان فيها مضطهدون معذبون، ومن حق الإنسان ان ينقذ أبناء جلدته من الإضطهاد والعذاب .

لقد كان يطلب التوسع في الأرض لأن بلاده تضيق بسكانها ولأنـــه يلتمس العذر من طلب السعة بهذا الضيق . أما ان يجعل رضاه موقوفاً على رضى أذنابه، وان يجعل رضى أذنابه دستوراً تدين به الأمم بغير حجة ناهضة ولا مبدأ معروف ولا قاعدة مرعية ، فهذا هو الطغيان الذي يذكرنا بعهد الرومان ، بل ينسينا عهد الرومان .

وهؤلاء الأمريكيون يصرخون من دعاية الروس الشيوعيين ، ويقولون إن روسيا تختلق المزاعم لتشويه السمعة الأمريكية وإثارة الشعوب عليها وإقناعهم بأن الولايات المتحدة تفتئت على حقوقها وعـــلى سيادتها بسلطان الدولار او سلطان القوة التي من وراء الدولار . فما حاجة الروسيا إلى الاختلاق عـــلى الولايات المتحدة ؟ ما حاجتها إلى دليل قائم او غير قائم والعالم كله ينظر بعينيه إلى دليل منها بعد دليل ؟

هذه عصابات فلسطين تعترف بها الولايات المتحدة في بضع دقائق ، وهذه عصابات فلسطين تعتدي على مجلس الأمن نفسه فيقال لها : أيتها العصابات اطمئني واسترسلي في عدوانك ، ولك من مجلس الأمن رضاك ولا شيء غير رضاك !

وهذه الصين تعارض سياسة الولايات المتحدة في فلسطين فتلوح لها الولايات

المتحدة بالدولار وهي في محنتها بين المطرقة والسندان ، فتثوب الصين راغمة إلى حظيرة الدولار ، وإلا تركتها الولايات المتحدة فريسة في أيدي أعدائها الشيوعيين .

فما حاجة الشيوعيين الى دعاية مختلقة لتحذير العالم من الدولار ومن سيطرة الأمريكيين باسم الدولار ؟

إنهم لأحمق الحمقى إن حاربوا الدولار بمليم واحد، لأن الدولار يشهر الحرب على نفسه ولا يحوج الشيوعيين إلى حرب يشهرونها عليه .

ولقد قيل في باب السخرية إن الولايات المتحدة تحكم العالم على طريقة هوليود . فليتها كانت كذلك ، لأنها كانت على الأقل تحسن التمثيل إن لم تحسن القضاء .

لماذا لم يعترفوا [1]

في منتصف الليل ، في منتصف شهر مايو ليست عصابة صهيون ثوب الدولة وسمت نفسها دولة إسرائيل .

ولم تمض عشر دقائق على مولدها حتى أعلن الرئيس ترومان أن دولته تعترف بهذه الدولة فعلا وهنأها بميلادها « السعيد » .

اعترف بدولة لا يعرف من هم رعاياها الذين تلزمهم طاعتها وتردهم الدول اليها إذا هي طلبتهم منها .

اعترف بدولة لا يعرف ما هي حدودها التي تمتد اليها قوانينها وتسري عليها أحكامها .

اعترف بدولة لا يعرف أي نوع تطبقه من القوانين ، وأي صنف تجريه من الاحكام .

اعترف بدولة لا يعرف ما هي في عداد الحكومات ، أهي جمهورية أم ملكية أم دكتاتورية تدين لزعيم ومن هو ذلك الزعيم ؟

وكان اعترافاً لم يعرف له نظير قط في تاريخ معروف .

وتابعه الرفيق ستالين في هذه البدعة ، فكانت أعجب متابعة في العقل البشري يتلاقى فيها النقيضان . ويتفق عليها الضدان اللذان لا يتفقان .

ووقفت بريطانيا – ثالثة هذا الثالوث – على انفراد في هذا المضمار العجيب .

---

(١) الاساس ١/١٢/١٩٤٨ .

وبريطانيا على عهدها دائماً تحافظ على أشكال القانون ، وتحب أن تستند في سياستها دائماً إلى ذريعة من ذرائع النصوص والمصطلحات .

ولو كان الاعتراف بالدول عملا من اعمال المحاكم القضائية لفهمنا علة هـذا الاحجام عن الاعتراف لان المحاكم القضائية — ولا سيما المحاكم العليا في بـلاد الانجليز — مثل من أمثلة الجد والاستقلال، وكثيراً ما حكمت على دولتها بالادانة حتى في ابان الحروب ، لمصلحة فرد أو جماعة من الاعداء .

ولكن الاعتراف بالدول لا يرجع في انجلترا ولا في غيرها إلى القضاء ، وانما يرجع إلى الساسة والوزراء .

وساسة الانجليز يحسنون الاحتيال على النصوص كما يحسنون المحافظة عـلى أشكالها ، فلم يكن من العسير عليهم أن يخلقوا للدولة الملفقة نصاً موقوتا يجارون به العم سام والرفيق ستالين في اعترافهما « المستعجل » السريع . فلا بد من سبب غير « الشكل القانوني » للاحجام عن الاعتراف فما هو السبب ؟

لم يظهر هذا السبب في عشر دقائق كما ظهر ذلك الاعتراف المستعجل السريع على الطريقة الامريكانية .

ولكنه ظهر على الطريقة البريطانية التي كان وزيرهم اسكويث يلخصها في كلمتين وهما « انتظر تنظر ! » .

وانتظرنا فنظرنا علة ذلك الاحجام . وانتظرنا مرة اخرى فنظرنا العلة كلها سافرة بغير نقاب أو لثام .

* * *

انتظرنا فنظرنا ان بريطانيا العظمى تؤخر اعترافها لتساوم عليـه اليهود وتساوم الدول العربية .

وانتظرنا فنظرنا ان بريطانيا العظمى منعت عن شرق الاردن معونتـها كما منعت عن عصابة إسرائيل اعترافها .

ثم انتظرنا كرة اخرى فاذا بالمرحوم « برنادوت » يقسم فلسطين كلها إلى قسمين : أحدهما تابع لشرق الاردن ويسميه دولة عربية، والآخر تابع لاسرائيل

ويسميه دولة صهيونية .

ويا هؤلاء سلموا ، والا فلا معونة ، ويا هؤلاء سلموا ، وإلا فلا اعتراف .

وكانت الهدنة التي وقفت فيها بريطانيا العظمى تساوم على السلاح واللاجئين من جهة وتساوم على السلاح والمهاجرين من جهة اخرى .

فلم يعترف هؤلاء ، ولم يعترف هؤلاء .

ثم انتظرنا فسمعنا ان الانجليز والصهيونية على وفاق عملي في مشروع جديد سيعلنه المرحوم برنادوت .

وسمعنا ان هذا المشروع يخرج النقب من حصة اليهود ويخرج الجليل من حصة العرب ، وان اليهود يقبلون ، وأناساً غير اليهود لا يرفضون .

ولم تكن اعانة مع هذا ولم يكن اعتراف . بل كان سفر « وزير مالية » من جهة وسفر مندوبين سياسيين من جهة اخرى إلى العاصمة البريطانية .

ويظهر ان الصفقة تمت من جهتيها ، ولم يحل دون تمامها علانية إلا خصلة واحدة معهودة في الانجليز ، وهي انهم يدفعون الثمن بعد تسليم البضاعة ، ولا يوقعون عقد البيع باليسار إلا إذا تسلموا البضاعة باليمين .

ثم انتظرنا فنظرنا . .

نظرنا مؤتمراً يلحق فلسطين بشرق الاردن ، ونظرنا عدوانا تتواتر الانباء بوقوعه من اليهود على الحدود الاردنية .

لو كان الانجليز قد اعترفوا بعصابة إسرائيل لما استطاعوا ان يعملوا شيئاً في هذا الموقف الحرج ، لانهم لا يملكون مع بقائهم في هيئة الأمم المتحدة ان يعالجوا المشكلة وحدهم بغير رجوع إلى الهيئة التي تنتمي اليها إسرائيل كما تنتمي اليها بريطانيا العظمى . هذه دولة تعتدي وهذه دولة تشكو فالحكم بينهما لمجلس الامن او لهيئة الامم المتحدة ، وليس لبريطانيا ان تنفرد بالعمل لمساعدة شرق الاردن على دولة اسرائيل . وشرق الاردن لا ترجع بمسائلها إلى هيئة الامم لانها ليست بعضو فيها . وإسرائيل لا ترجع بمسائلها إلى الهيئة لانها كذلك ليست بعضو فيها . فيحق لبريطانيا العظمى إذنأن ترجع إلى « التعهدات الفردية » بينها وبين الدولة الاردنية ، ويحق لها ان تعطيها السلاح وتدركها بالمدد لانها معرضة للعدوان عليها من بعض العصابات . وقد حدث فعلا ان

الحكومة البريطانية أعلنت انذارها بتنفيذ التعهدات والالتزامات .

ويا عصابة اسرائيل سلمي .

ويا شرق الاردن خذي من سلاحي ومددي ما تدفعين به العدوان من إسرائيل .

ويا هيئة الامم لا تلومي ولا تعتبي . فنحن في حدود الميثاق ونحن كذلك في حدود « التعهد والالتزام » .

هذا هو الموقف الآن .

فما عسى ان يحدث بعد الآن ، ننتظر فننظر ، ولا يطول الانتظار ؟

بعد اتفاق [1]

نعتقد أن الحركة التي تمت أخيراً في شرق الأردن لا يمكن أن تتم بغير اتفاق سابق مع بريطانيا العظمى من جهة ومع العصابة الصهيونية من جهة أخرى. ونعتقد أن بريطانيا العظمى تقرها وليس لديها مانع من إقرارها ، لأنها تكسب كثيراً من ورائها إذا جرت الأمور على ما تريد ، ولا تخسر شيئاً مما في يديها الآن إذا جرت الأمور على غير ما تشتهيه . فبريطانيا العظمى تعهدت بالمبادرة إلى معونة « شرق الأردن » في حالة وقوع الحرب . ولكن بريطانيا العظمى لم تعترف بعصابة إسرائيل ولم تعترف بها شرق الأردن إلى الآن . فهي قانونا غير ملزمة بمساعدة شرق الأردن إذا هجم الصهيونيون عليها، لأنها حالة لا توصف بأنها حالة حرب في لغة المعاهدات الدولية . وهي عملياً تستطيع أن تساعد شرق الأردن دون أن يؤخذ عليها شيء من وجهة السياسة الدولية . تستطيع ان تساعدها بالسلاح والمال والجنود الذين ينتظمون في الفيلق العربي ويحسبون في ميدان القتال من جنوده ، وإن كانوا انجليزاً أو عاملين لحساب الانجليز . وكل شيء في هذه المساعدة العملية يتوقف على مسلك شرق الأردن ومسلك العصابة الصهيونية .

فبريطانيا العظمى تساعد شرق الاردن إذا خرجت عصابة الصهيونيين عن أمرها ومشيئتها وهجمت على شرق الأردن ولم تقبل شروط الانجليز التي تمليها على العصابة في المرحلة الحاضرة.

---

(١) الاساس ١٥/١٢/١٩٤٨ .

وبريطانيا العظمى تهدد العصابة الصهيونية بهذه المساعـــدة فتقبل سياستها الفلسطينية في المرحلة الحاضرة ، ولو كان هذا القبول إلى حين .

أما شرق الأردن فلا حاجة بها إلى تهديد لاجراء هذه الحركة ، ولا إلى تهديد للامتناع عنها ، فهي إن لم تحقق طلباً بضم فلسطين اليها خشيت ان تفوتهامطالب كثيرة بامتناع المدد من المؤونة والسلاح .

والامر الذي لا يعقل — ونكاد نقول انه مستحيل — هو أن تقـــدم شرق الأردن على خطوتها هذه على الرغم من السياسة البريطانية ، لأنها في هذه الحالة تتحدى الصهيونيين ، وتتحدى الجامعة العربية ، وتتحدى بريطانيا العظمى ، وتتحدى مجلس الامن وهيئة الامم المتحدة ، وتقف وحدها أمام جميع هؤلاء بغير مدد من مال أو سلاح . وهذا هو غير المعقول ، بل هذا هو المستحيل .

أما العصابة الصهيونية فمن مصلحتها في هذه المرحلة ان تكسب موافـــقة بريطانيا العظمى على وجودها ، وتتقي سعيها في المجـامع الدولـــية لاحباط مشروعاتها . وهي — امام خطوة شرق الأردن — تتردد بين مسلكين : احدهما ان تهاجم شرق الاردن ، والآخر ان تتفق معها . فاذا هاجمت شرق الاردنفهي في حرب صريحة مع بريطانيا العظمى ولا قبل لها بهذه الحرب صريحة كانت أو غير صريحة .

وهي مع هذا لا تأمن أن تطبق عليها الدول العربية التي تخالف شرقالاردن ولكنها لا تضيع هذه الفرصة إذا سنحت لها وتمكنت بها من سحق العصابـــة الصهيونية .

أما إذا اتفقت مع بريطانيا العظمى فهي تتقي أولا ذلك الخطر الداهم، وهي تكسب ثانياً مسالمة بريطانيا العظمى ، ثم تعزل شرق الاردن عـــن الجامعة العربية ، وتدخر أعمالها ومساعيها إلى وقت آخر قد يتهيأ لها فيه ما لا يتهيأ في الآونة الحاضرة .

وليست عصابة إسرائيل مضطرة إلى إعلان خطتها هذه بصفة رسمية ، بل لعلها تود أن تكتمها ولا تصرح بها أمام الدول الكبرى ، خشية ان تفقد شيئاً من معاونة روسيا الشيوعية ، وشيئاً من معاونة الولايات المتحدة إذا هي اعلنت

وفاقاً منفصلا بينها وبين الانجليز . وخير للعصابة الصهيونية ان تضمن مسالمة الانجليز سراً ومساعدة الروسياوالولايات المتحدة علانية ، من ان يعاديهاالانجليز سراً وعلانية ، وهي لا تدري ماذا تستفيد غداً من تأييد الدول الاخرى .

وليس معنى هذا ان الصهيونيين ينزلون اليوم عن مطامعهم في فلسطين كلها ، أو عن مطامعهم في شرق الاردن نفسها ، لأن هذه المطامع لا تتحقق كلها اليوم، ولن تتحقق غداً إلا بسياسة الامر الواقع التي تلجأ اليها العصابة الصهيونية متى استطاعتها ، ولا داعي إلى التعجل بها اليوم وهي في المرحلة الحاضرة مطلب غير مستطاع .

* * *

إن لجنة التوفيق التي تألفت أخيراً في هيئة الامم المتحدة هي في لبابها لجنة امريكية ، تسيطر عليها الولايات المتحدة بكلتا يديها . فالسياسة الانجليزية تستعد لقرارات هذه اللجنة بأمر واقع تواجهها به من جانب فلسطين، متواطئة عليها مع شرق الاردن وعصابة صهيون .

فإذا تم للسياسة الانجليزية ما تريد فقد بلغت كل ما تسعى اليه ، وإذا فاتها بعض ما تريد فهي في موقفها بغير خسارة طارئة ،وقد تملك إحباط لجنة التوفيق والدخول بالقضية الفلسطينية في طور جديد .

ولهذا نعتقد ان الخطوة التي خطتها شرق الاردن أخيراً هي خطوة متفق عليها مع الدولة البريطانية والعصابة الصهيونية. ولا بد أن تنكشف هذهالحقيقة أمام العالم ليعالجها العرب ويعالجها المهتمون بقضية فلسطين من غير العرب على هذا الاعتبار .

أمر واقع لا يقع [1]

من أخبار العاصمة الانجليزية أن المراجع المختصة بالشرق العربي في تلك العاصمة تتحفظ في التعليق على « تصرفات » شرق الاردن الاخيرة ، ولا تبدي ما يدل على تشجيعها أو إقرارها .

ومن اخبار عمان ان شرق الاردن لا ينوي ان يعقد مع الصهيونيين هدنة أو صلحاً قبل ان تنتهي الدول العربية إلى قرار في هذه المسألة ، وانه لا ينزل عن مقترحات المؤتمرين في أريحا ، ولكنه لا يشرع الآن في تنفيذها .

ومن اخبار الخليل ان الحامية الاردنية تخلت عن بلدة صغيرة إلى الغرب من الخليل فتعرضت البلدة لاغارة اليهود عليها ، ثم اغار اليهود فعلا على تلك الجهة فتصدى لهم جيش الجهاد الوطني يعاونه السيد احمد محمد حجة عضو المجلس التأسيسي ، فكان جزاؤه على معاونته ان ثلة من الجيش الاردني قبضت عليه وساقته إلى سجن رام الله .

ان هذه الاخبار جميعاً تدل على موقف واحد من شرق الاردن ، وهو موقف « محاولة » لايقاع جميع المعنيين بقضية فلسطين أمام الامر الواقع ، كما يقولون .

وليس في الشرق العربي من يصدق ان الحكومة الانجليزية كانت تجهل كل الجهل ما يجري في شرق الاردن قبل مؤتمر أريحا وبعد هذا المؤتمر . وليس في

---

(١) الاساس ٢٤/١٢/١٩٤٨ .

الشرق العربي من يصدق ان الحكومة الانجليزية علمت بما سيجري قبل جريانه ولم تطلع شرق الاردن على رأيها فيه ، قبولا كان او رفضاً او نصيحة بالتريث والاناة . وليس في الشرق العربي من يصدق ان الحكومة الانجليزية منعت شرق الاردن فلم يمتنع ، او انكرت ما سيقدم عليه فلم يكترث لهذا الانكار .

وكل ما يصدقه الناس في الشرق العربي وغير الشرق العربي ان الحكومة الانجليزية تركته يفعل ما يشاء على « مسئوليته » ولم تمنعه ان يقدم عليه حتى يصبح أمراً واقعاً فتعمل ما تستطيع لتأييده دون ان تتقيد بوعد قاطع في هذا الموضوع .

والامر الواقع المنتظر هو ان يقبل اليهود خطوة شرق الاردن في الظرف الحاضر لينقسم العرب على انفسهم وتلقاهم عصابة اسرائيل منقسمين في مجامع الدول او ميادين فلسطين . وان تقبل الامم العربية هذه الخطوة من شرق الاردن حذراً من التشعب والانقسام . وان يتفق شرق الاردن والامم العربية وعصابة صهيون على موقف واحد تعتمد عليه الحكومة الانجليزية وتسبق به لجنة التوفيق إلى حل يرضيها ، فتدعو اليه تأييداً للامر الواقع وفضاً للاشكال .

ومن تمام الامر الواقع ان يشعر اهل فلسطين فترة بعد فترة بأنهم مهددون من جهة بانسحاب شرق الاردن ، ومن جهة اخرى باغارة الصهيونيين عليهم ، فينزلون على إرادة شرق الاردن ويسلمونه القيادة طائعين او كارهين .

ولكن الامر الواقع لم يقع كما أرادوا . وكل ما وقع منه ان الصهيونيين لم يقطعوا امل شرق الاردن في الصلح معهم ، لأنهم لو قطعوا هذا الامل ضاع املهم هم في تمزيق الجامعة العربية ومعالجة كل دولة منها على انفراد . وان الامم العربية قابلت بين مجاراة شرق الاردن ومعارضته فوجدت ان مجاراته هي التي تمزقها شر ممزق وتجعلها أثراً بعد عين . وان بريطانيا العظمى نظرت الى عاقبة المحاولة المتفق على تجربتها فرأت من هذه التجربة انها لم تسفر عن شيء يحسن الدفاع عنه ، ولم تقرر خطة واقعة تؤيدها في المجامع الدولية .

وكل ما وقع — او هو واقع الآن — خداع متبادل بين شرق الاردن وعصابة اسرائيل . عصابة اسرائيل توميء باستعدادها ، وشرق الاردن يوميء باستعداده ولا غنى لكليهما عن تمثيل هذا الدور لانه دور يمليه الاضطرار الى ان يستقر

الامر على قرار .

وخلاصة هذه المناورات وهذه المداورات جميعاً ان شرق الاردن هو الذي وضع نفسه امام امر واقع يتقدم فيه تارة ويتراجع عنه تارة اخرى . وقد كان في غنى عن هذا الوضع القلق وهذا المأزق المريب . لم يضمن شيئاً واحداً بتلك المحاولة المخفقة . لم يضمن تأييداً من الانجليز اكثر من التأييد الذي كان في يديه قبل مؤتمر اريحا ، ولم يضمن موافقة من الامم العربية مجتمعات او متفرقات . ولم يضمن هدنة مأمونة من الصهيونيين، ولن يضمن هدنة كهذه حيث يستطيع الصهيونيون ان ينقضوها ويهجموا عليه ليدخلوه عنوة في حوزة صهيون .

واذا كان معوله في دفع هذا الخطر ان الانجليز يمنعونه ويصدون الصهيونيين عنه فليس في ذلك كسب جديد او باب من الامان لم يكن مفتوحاً امامه على مصراعيه .

وانفرد شرق الاردن بين الدول العربية ، لانه الدولة الوحيدة التي تنادي بأن فلسطين لشرق الاردن وليست لاهلها الذين يفصلون وحدهم في مصيرها . ومن حوله امم عربية لم تطلب لنفسها شبراً من ارض فلسطين ، ولا تزال تجهر امام العرب وأمام العالم كله بأن فلسطين للفلسطينيين .

هذا هو الامر الواقع الذي وقع .

وذلك هو الامر الواقع الذي لم يقع .

وشرق الاردن هو الخاسربين ما وقع له وما كان ينتظر وقوعه . فانعزلته السياسية عن الامم العربية تزيد الانجليز تمكناً منه وقدرة على تهديده ، وتزيد الصهيونيين أملا في مساومته واخضاعه ، وتزيده هو حاجة لا تقضى له حاجة من الحاجات .

جزى الله ذلك الباقعة الذي اخترع كلمة « الامر الواقع » . فانه اخترعها ولم يعلم المستمعين اليها كيف يضعونها في مواضعها ، فاذا هم يضعونها واقعين في شر اعمالها ، واذا هم يتوقعون فيقعون ، وليتهم بعد وقعتهم ينهضون .

موقف واضح [1]

إن كان في قضية فلسطين شيء حسن في الموقف الحاضر فذلك الشيء الحسن بين آكام متراكمة من السيئات هو ان الموقف فيها واضح لا يلتبس في جانب من جوانبه على أحد .

واضح جداً ان اليهود لا يحفلون بمجلس الأمن ولا بقراراته وآراء وكلائه ومندوبيه ، لأنهم لم يعاقبوا مرة واحدة على مخالفة قرار أو عدوان على مندوب ، وقد يتجاوز الأمر أحيانا « عدم العقاب » إلى المكافأة والتشجيع . فهم لا يتوقعون عقاباً لأنهم يضمنون على الأقل دولة واحدة تستخدم حق النقض لمنع توقيع كل عقاب .

وهم ينتظرون المساعدة لأسباب متعددة قد يحيط بها الغموض ولكن نتيجتها واضحة كل الوضوح في جميع الأحوال ، وهي حصول المساعدة على وجه من الوجوه .

وواضح جداً ان اليهود يعملون للخلاص من دول الجامعة العربية دولة دولة على انفراد .

وأوضح من هذا ما يجب على الدول العربية في هذه الحالة ، فان الدولة العربية التي تمكنهم من تنفيذ هذه الخطة لا تجني على فلسطين فقط ، ولا تجني على الجامعة العربية في جملتها و كفى ، ولكنها تجني على نفسها ولا يطول بها انتظار اليوم الذي تتعرض فيه للغدر بها أو الهجوم عليها .

---

(١) الاساس ٢٧-١٢-١٩٤٨ .

وواضح ايضاً ان قيام دولة صهيونية تسيطر على ملتقى القارات الثلاث خطر على جميع الأمم التي تجاورها على الخصوص ، بل هو خطر على العالم بأسره سيتضح غداً لا محالة لمن لا يستوضحونه اليوم .

ان قيام دولة صهيونية تسيطر على الجانب الشرقي من البحر الأبيض المتوسط خطر على كل امة تجاورها .

ذلك شيء واضح لا يلتبس على احد .

ولكن الاوضح منه جداً ان نصيب مصر من ذلك الخطر لا يزيد على نصيب امة من الامم الاخرى ، بل هو على اليقين أقل منه بكثير .

فمصر امة تقارب عدتها عشرين مليوناً من النفوس ، ولها حدود تستطيع ان تدفع عنها العدوان ، ولها جيش يزداد قوة في العدد والعتاد ، ولها مركز سياسي تهتم به دول العالم ولا يقتصر الاهتمام به على الاصدقاء دون الأعداء ، ولها ثروة زراعية واقتصادية تتحدى كل مؤامرة يدبرها سماسرة اليهود في أسواق الشرق الادنى أو في الأسواق العالمية ، وموقعها على العموم خير من موقع ينحصر بين الصهيونيين وحلفائهم الشيوعيين .

ومصر تعرف واجبها ازاء هذا الخطر وتؤديه ولا تقصر في أدائه .

وهي لا تدعو أحداً إلى مساعدتها في أداء هذا الواجب ، ولكنها كذلك لا تدعو أحداً إلى العلم بواجبه نحو نفسه ونحو الأمم العربية جمعاء ، لان الواجب على كل أحد واضح في مثل هذا الموقف الواضح .

وإذا كان قصارى ما ترجوه مصر من خوض المعركة الفلسطينية هو إعزاز العروبة وصون كرامتها فمن غير المعقول وغير المقبول ، ان يكون هذا المسعى من جانبها سبباً لاذلالها بالطلب أو سبباً للامتنان عليها بالقبول .

على كل واجب يؤديه ولا فضل له في ادائه على غير نفسه . وعلى مصر واجب تؤديه وتعرفه في جميع الحالات ، وهي مسئولة عنه وقادرة على ان تضطلع بجميع مسئولياته ، وانه بحمد الله لواجب مشهود او واجب واضح كل الوضوح ما دمنا نتحدث في هذا المقال عن الوضوح .

واجبها نحو نفسها هي تؤديه ولا يطلب منها مزيد عليه . وواجبها نحو فلسطين هي تؤديه ولا يطلب منها مزيد عليه . وواجبها نحو الأمة

العربية جمعاء هي تؤديه ولا يطلب منها مزيد عليه .

وليس احب اليهامن انيكون شأنهاشأن كل امة عربية تعنيها قضيةفلسطين.

ولكن ليس ابغض اليهامن ان تؤدي واجبها فتصبح في عرف العابثين الهازلين داعية لهذا او طالبة من ذاك .

ليس ابغض اليهامن هذا والخطر عليها اقل من الخطر على غيرها والصنيع الذي صنعته ولا تزال دائبة عليه ليس بالشيء القليل ، وباب المغالطة فيه اضيق من ان يتسلل منه العابثون الهازلون إذا التمسوا لهم يوماً من الايام باب مغالطة او باب نجاة .

ان اليهود يخصون المواقع المصرية بأقوى الهجمات ، فلماذا يفعلون ذلك ؟

انهم قد يفعلونه لاسباب عسكرية ، او اسباب سياسية . قد يفعلونه للتغلب على الجيوش العربية واحداً بعد واحد ، وقد يفعلونه للتفرقة بين الامم العربية في موقفها المشترك من القضية الفلسطينية .

وأيا كان الغرض الذي يختصون المواقعالمصرية من اجله بخرقالهدنة ومتابعة الهجوم فهو غرض مفهوم من الوجهة الصهيونية ، لانه يحقق لهم مصلحة يغنمونها في الحالتين .

وقد دخلت الجيوش العربية أرض فلسطينلتفويت اغراض الصهيونيين ، ولم تدخلها بالبداهة لتحقيق تلك الاغراض : أغراض الصهيونيين .

والفرق بين العمل لتفويت الاغراض الصهيونية والعمل لتحقيقها واضح بحمد الله الذي لا يحمد على مكروه سواه .

ووضوحه هذا هو الذي يغني عن افاضة الكلام فيه ، فان الموقف برمته لأوضح من ان يحتاج إلى زيادة ايضاح .

فتنة إسرائيلية [1]

يؤمن اصحاب الاديان على اختلافها بأن الله خالق الخلق وانه سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ، ويؤمنون جميعاً بأن حق الله ليس فوقه حق ، وان سلطانه ليس فوقه سلطان . ومع هذا يؤمنون جميعاً بأن الإله الذي هذه صفته وهذا سلطانه لا يعاقب أحداً بغير حساب . والإسلام في طليعة الاديان التي تقررت فيها هذه العقيدة على وجه واضح ناصع لا لبس فيه . ولهذا يسمى يوم القيامة في الإسلام يوم الدين الذي يدان فيه الناس بما يعملون ، ويوم الحساب الذي يسأل فيه كل إنسان عما جناه من خير وجناه من شر .

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تصف الله جل وعلا في مقام العطاء والإحسان بأنه يرزق بغير حساب ويوفي الاجر بغير حساب . ولكن ليس فيه آية واحدة تقول للناس ان الله يدين احداً بغير حساب او يعاقبه بغير سؤال . هذا وهو الخالق العليم بما يعمل خلقه ، الغني عن سؤالهم بعلمه ، الذي له القدرة على جزائهم بما يشاء ، وله العدل الذي تنزه عن الشبهات .

وإذا نزلنا عن مرتبة الربوبية إلى مرتبة النبوة لم نجد نبياً واحداً أباح لنفسه او اباح له الدين ان يتصرف بنفس بشرية ، وفيما دون النفس البشرية ، بغير بينة وشهادة وقضاء ، وان ادب النبوة مع هذا كله ليوحي اليه ان آدرأ الحدود والشبهات .

---

(١) الاساس ٢/١/٩٤٩ .

وتأتي دون مرتبة الأنبياء مرتبة ولاة الأمور ، وليس لأحد منهم بالبداهة أن يجيز لنفسه في محاسبة الناس حقاً فوق حق النبي أو حق الإله .

وعلى هذه السنة القويمة دام أمر المجتمع الإسلامي في جميع العهود من أيام الخلفاء الراشدين إلى أيام الخلافتين الأموية والعباسية إلى هذه الآيام . وكل ما جاء من الشذوذ عن هذه السنة التي لا يستقيم أمر مجتمع من المجتمعات بغيرها إنما كان من طائفتين خارجتين على جماعة المسلمين ، وهما طائفة الخوارج وطائفة اليهود والمجوس الذين دخلوا الإسلام ليفسدوه ويهدموا دولته من داخلها ، كما فعل عبد الله بن سبأ في صدر الإسلام ، وكما فعل عبد الله القداح في القرن الثالث للهجرة . فالخوارج واصحاب الدعوات الإسرائيلية هم الذين أباحوا لأنفسهم قتل النفس وإيقاع العقاب بغير سؤال أو قضاء أو حساب ، وهو حق لو شاء الله أن يتخذه لأحد لاتخذه لنفسه ، وهو الفعال لما يريد والعليم بذات الصدور .

فليس هو من الاسلام في شيء ، وليس هو من المجتمع الإسلامي في شيء ، بل هو هدم لكل نظام وخروج على كل سنة من سنن الجماعات .

وعلى اتفاق الخوارج ودعاة اليهود والمجوس في المذهب ظهر الاختلاف بين الفريقين في الطريقة والخطة والتنظيم . فالخوارج لم يعرف عنهم تنظيم يمزج بين الدعوة وبين خطط السياسة وتدبير الاقتصاد .

اما اليهود خاصة فقد كانت جماعاتهم السرية في الإسلام – كما كانت جماعاتهم السرية في جميع البلدان تدعم دعوتها بالوسائل الاقتصادية والحركات التي تبطن غير ما تظهر إلى ان تتمكن من الأمر فتجهر بقلب النظام .

والفتنة التي ابتليت بها مصر على أيدي العصابة التي كانت تسمي نفسها بالاخوان المسلمين هي اقرب الفتن في نظامها إلى دعوات الإسرائيليين والمجوس . وهذه المشابهة في التدبير والتنظيم هي التي توحي إلى الذهن ان يسأل : لمصلحة من تثار الفتن في مصر وهي تحارب الصهيونيين ؟

والسؤال والجواب كلاهما موضع نظر صحيح . ويزداد التأمل في موضع النظر هذا عندما نرجع إلى الرجل الذي أنشأ تلك الجماعة فنسأل : من هو جده ؟ ان احداً في مصر لا يعرف من هو جده على التحقيق ، وكل ما يقال عنه إنه من المغرب ،

وإن أباه كان « ساعاتياً » في السكة الجديدة . والمعروف ان اليهود في المغرب كثيرون وان صناعة الساعات من صناعاتهم المألوفة ، واننا في مصر هنا لا نكاد نعرف ساعاتياً كان مشتغلا في السكة الجديدة بهذه الصناعة قبل جيل واحد من غير اليهود ، ولا يزال كبار « الساعاتية » منهم إلى الآن .

ونظرة إلى ملامح الرجل يعيد النظر طويلا في هذا الموضوع .

ونظرة إلى اعماله واعمال جماعته تغني من النظر إلى ملامحه وتدعو الى العجب من هذا الاتفاق في الخطة بين الحركات الإسرائيلية الهدامة وبين حركات هذه الجماعة .

ويكفي من ذلك كله ان نسجل حقائق لا شك فيها ، وهي اننا امام رجل مجهول الاصل ، مريب النشأة ، يثير الفتنة في بلد إسلامي وهو مشغول بحرب الصهيونيين ، ويجري في حركتة على النهج الذي اتبعه دخلاء اليهود والمجوس لهدم الدولة الإسلامية من داخلها ، بظاهرة من ظواهر الدين .

وليس مما يبعد الشبهة كثيراً او قليلا ان اناساً من اعضاء الجماعة يحاربون في ميدان فلسطين . فليس المفروض ان الاتباع جميعاً يطلعون على حقائق النيات . ويكفي لمقابلة تلك الشبهة ان نذكر ان اشتراك اولئك الاعضاء في الوقائع الفلسطينية يفيد في كسب الثقة وفي الحصول على السلاح والتدرب على استخدامه ، وفي امور اخرى تؤجل إلى يوم الوقت المعلوم ، هنا او هناك .

فأغلب الظن اننا أمام فتنة اسرائيلية في نهجها واسلوبها ان لم تكن فتنة اسرائيلية اصيلة في صميم بنيتها .

وأيا كان الامر فهي فتنة غريبة عن روح الإسلام ونص الإسلام ، وانها قائمة على الارهاب والاغتيال ، وكل ما قام على الارهاب والاغتيال فلا محل فيه للحرية والاقناع . وجدير بالمسلمين ومن يؤمنون بالحرية والحجة من غير المسلمين ان يقفوا له بالمرصاد .

خدام الصهيونية [1]

حدثت بعد زحف الجيش المصري إلى فلسطين حوادث شتى من حوادث الشغب والعدوان والقاء القنابل في العاصمة وبعض المدن الكبرى .

هذه الحوادث لم تصب احداً من الصهيونيين او اليهود عامة في نفس أومال. فقد كانت القذائف تلقى في الصباح الباكر او في منتصف الليل او في فترة الظهيرة التي تغلق فيها الحوانيت ، فيقتل من يقتل ويجرح من يجرح من الحراس او عابري السبيل وكلهم مصريون او اجانب من اصدقاء القضية العربية في المجالس الدولية . اما المال فلم يضع منه مليم واحد على صاحب محل اصيب بقذيفة ، لان اصحاب المتاجر يؤمنون على بضاعتهم وعقاراتهم ويقبضون عوضاً اكبر من الخسارة كما هي العادة في عقود التأمين . وقد تكون شركات التأمين المصرية هي التي تصاب بالغرم في جميع هذه التعويضات .

خسارة واحدة لم تصب الصهيونيين من هذه الحوادث سواء في مصر او في ميادين القتال ، وسواء في الانفس او في عروض الاموال . اما الخسارة المحققة من جرائها فهي التي اصابت المصريين والأمة المصرية .

« اولا » بما اصيب به الابرياء العابرون في طريقهم من قتل او تشويه وتجريح .

---

(١) الاساس ٤ - ١ - ١٩٤٩ .

و « ثانياً » بما تغرمه الدولة او المرافق الاقتصادية من التعويضات .

و « ثالثاً » بما يشيع في النفوس من القلق والفزع في الاماكن العامة او الخاصة او الطرقات .

و « رابعاً » بما يشغل رجال الامن والقائمين على شئون الحكومة من هذه الحوادث وتحقيقاتها واتخاذ الحيطة لاتقائها وهم احوج ما يكونون إلى التفرغ لمراقبة الدسائس الصهيونية في داخل البلاد ، والى توطيد الامن حماية لأبنائنا المقاتلين في الميدان ، وضماناً لانتظام اعمال المدد والتموين .

و « خامساً » بما يشيع عن مصر من سوء السمعة وتهمة العجز عن حفظ الامن وتنظيم اداة الحكومة ، وما يجر اليه ذلك من قطع الموارد عنها او اختلال المعاملات معها او قلة الإقبال عليها ، وما يستفيده خصومنا من التشهير بسمعتنا وانكار ما ندعيه من حقوق الحرية والدفاع .

فأي عقل من العقول – إلا ان يكون عقلا رانت عليه غباوة البهيمية – يخيل اليه ان هذه المزعجات تصدر عن غيرة على الإسلام او رغبة في مكافحة الصهيونية ؟

أي عقل من العقول – الا ان يكون عقلا منكوس التركيب – يخيل اليه اننا نخدم جيشنا في الميدان باشاعة القلق وراء ظهره وصرف الدولة عن الاهتمام بأمره ؟

أي عقل من العقول – إلا ان يكون عقلا مطموس البصيرة – يجهل ان خدمة الصهيونية لن تتحقق في مصر بعمل انفع لها من هذه المزعجات في هذه الظروف ؟

* * *

ثم جاء الوقت الذي انفرد فيه الجيش المصري وحده بقتال الصهيونيين في ميادين فلسطين . فأي مخلوق بشري يخطر له ان هذا هو الوقت الذي تثار فيه الفتن والقلاقل في داخل البلاد ؟

جيش مصري يقاتل الصهيونيين منفرداً في جميع الميادين . وجيوش عربية تقف موقف المتفرج على هذا القتال العنيف . وامة مصرية مشغولة بفتنة هنا

وجريمة هناك ، وحريق يشعل في هذه المدرسة ، واضطراب يستفحل في هـذا المعهد ، ومؤامرات في الخفاء تغذي هـذه العناصر المفسدة بالتحريض والتهييج وتزودهابالذخيرة والسلاح .

أهذه هي محاربـة الصهيونية ؟ أهـذه الغيرة على الإسلام ؟ أي خدمة للصهيونية أكبر من هذه الخدمة ؟

وأي خذلان للاسلام أشنع من هذا الخذلان ؟ ان يهـود الأرض لو جمعوا جموعهم ورصدوا أموالهم وأحكموا تدبيرهم لينصروا قضيتهم بتدبير أنفع لهم من هذا التدبير لما استطاعوا . وإلا فكيف يكون التدبير الذي ينفع الصهيونية في مصر، في هذا الموقف الحرج ، في هذه الفرصة المؤاتية لقضاء لباناتهم ، إن لم يكن هذا هو التدبير الذي تشتريه الصهيونية بالمال والحيلة والجهد الجهيد ؟

* * *

ان العقول إذا ران عليها الغباء كانت كتلك العقول التي وصفهـا القرآن الكريم أصدق وصف لاصحاب الهاوية الذين « لهم قلوب لا يفقهون بهـا ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ، اولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » . هؤلاء الغافلون يمكن أن يقال لهم إنها هي الفرصة السانحة للانقلاب المنشود ، فيصدقون !

فرصة لمن ؟

فرصة للصهيونيين ، نعم . أما فرصة لمصر فمتى وقع في التاريخ انقلاب ودفاع في وقت واحد ؟ متى استطاع اناس أن يوطدوا انقلابا ويهيئوا أسباب الدفاع في اسبوع واحد أو شهر واحد أو سنة واحدة ؟ إن انقلاب تركيا قـد أغرى خصومها من دويلات البلقان بالهجوم عليها بعد أن كانوا يخشونها ولا يتفقون عليها . فكيف بانقلاب في ناحية ، والجيش في ناحية ، والمتربص الأجنبي واقف بالمرصاد ، والصهيونيون متألبون ومن ورائهم دول تمدهم من معونـة السلاح ومناورات السياسة بكل مدد مستطاع !

أبت الرؤوس الآدمية أن تنفتح لضلالة كهذه الضلالة لو كان الأمر هنا أمر

إدراك وإقناع ، ولكن الكلام عن الإدراك والإقناع هنا عبث ومجون ، وإنما هي مطامع خبيثة تتطلع ، وغرور صبياني يهاج ، وشر كمين في الطبائع العوجاء يستثار .

وليس لهذه الآفة من علاج غير علاج واحد ، وهو الشدة التي لا تعرف الهوادة ، والحزم الذي لا يعرف الإبطاء .

فيا رجال مصر ، هل أنتم رجال ؟

عملت مصر ما عليها [1]

نعم عملت مصر ما عليها وزيادة في قضية فلسطين .

وشهد الملأ من امم العالم شرقاً وغرباً بما عملته في هذه القضية ، وفي مقدمتها الأمم العربية .

ولو انها احجمت عن عملها لانقلبت جميع الأوضاع في الشرق العربي ، واختلفت فيه جميع التقديرات ، ثم اختلف مع هذه التقديرات كل اتجاه تتجه اليه السياسة في الشرق الأدنى بعد اليوم .

كانت تنقلب جميع الأوضاع فيصبح خوان القضية العربية اليوم وهم أبطال العروبة في نظر الجميع .

وكان خوان هذه القضية الذين ثبتت خيانتهم لها اليوم يظهرون أمام الملأ في صورة الأبطال الغيورين ، الذين حالت الظروف بينهم وبين ما أرادوه من نصرة فلسطين ونصرة العرب أجمعين .

كان أيسر شيء عليهم أن يقولوا في مقام الاعتذار والادعاء : ماذا نصنع ؟ وماذا نستطيع ؟ لقد كنا نريد ونريد ، وكنا نتخذ العدة لنضرب هنا ونهجم هناك .. ولكن ما الحيلة وقد خذلنا المصريون في مطلع الطريق وتركونا أمام الصهيونيين والدول الأجنبية منفردين ؟

---

(١) الاساس ٦/١/١٩٤٨

كان هذا أيسر ما يقال،وكان إذا قيل صدقة الناس في الشرق والغرب ؟ وصدقهالكثيرون ، بل الأكثرون -من المصريين .

وكان ينبني على هذا التصديق خطأ في كل اتجاه تتجه اليه سياسة الشرق الأدنى في هذا الجيل كله ، وخطأ في فهم جميع الحقائق وجميع المقاصد التي تنطوي عليها النيات ، بل ينبني عليه إخفاء تلك الحقائق التي ينبغي أن تظهر ظهوراً كاملا ليعرف الشرق العربي أين هو ؟ ولتعرف شعوب الشرق على من تعتمدوعلام تعتمد فيحاضرها الراهن ومستقبلها القريب .

وكان من المستحيل ، أو قريباً من المستحيل ، ان تزول من اذهان الشعوب آثار هذا الخطأ ، وأن تقنعهم بالصواب في عمل من الأعمال .

فمصر حين عملت ما عليها قد أبرأت ذمتها من واجبها . وقد كشفت حقائق الأمور في سياسة الشرق الأدنى وإقامتها في الحاضر الراهن والمستقبل القريب على أساس صحيح .

فلا التباس في الاعمال والنيات بعد اليوم .

ولا التباس في المواقف ولا في الرجال ولا في الخطط المرسومة ، وكل ماتتخذه من الخطط بعد اليوم فهو عمل صراح ينظر اليه أبناء هذه الأمة ، وينظر اليه أبناء الأمم العربية في ضوء النهار .

لقد عملت مصر ما عليها .

وسلكت في موقفها من البلاد العربية وسائر بلاد العالم مسلك الدولة المحترمة .

كلمتها كلمة صدق ، ووعدها وعد وفاء ونجاز ، وغاياتها غايات المنزه عن المآرب الخفية وعن نفاق المطبوعين على سوء الطوية .

وليس قصاراها مما عملت انها كسبت به مكانة أدبية تحرص عليها الدول ويتوطد به ضمان الثقة بين الشعوب .

ولكنها كسبت به اثراً عملياً يستحق مجهوده الذي بذل فيه إلى الآن .

فلولا عملها في فلسطين لتم للصهيونية في اسبوع واحد نجاح محقق لا تتوقع بلوغه الآن في عشرين أو ثلاثين سنة .

فلولا عمل مصر لقامت في فلسطين دعوى واحدة يعززها الواقع كله ولا تعارضها من الوجهة الأخرى دعوى مسموعة في ارض فلسطين او في علاقاتها بالدول الأجنبية .

لولا عمل مصر لاجتاحت فلسطين قوة الصهيونية ومن ورائها قوة الشيوعية وغيرها من قوى الدول الكبرى ومنها ولا ريب قوة الدولة الأمريكية .

وإذا تم هذا الاجتياح في مدى اسبوع واحد بعد جلاء الانجليز عن فلسطين فما هي الحجة التي تمنع الاعتراف بهذا « الآمر الواقع » كما يقولون .

ان العرب لا يعترضون .

وان السلم مستقر في البلاد الفلسطينية فلا محل للاحتجاج بالخطر على السلام في الشرق الأدنى ، او في العالم بأسره .

فلا ينقضي اسبوع حتى يكون الصهيونيون قد حققوا في خلاله أملا يستبعدون الآن تحقيقه في عدة سنين .

وهذا مع ضياع الثقة بنا في الشرق والغرب ، بل ضياع الثقة بنا بين انفسنا. ومع التباس التبعات وخفاء الحقائق عن طوايا النيات ، وقلة الاكتراث لمعارضتنا بعد اليوم في امر من الأمور التي تمس بلادنا او تمس بلاد الشرق العربي في جملته ، ووراء ذلك ما وراءه من فتح أبواب الدعاية للفتنة والدسيسة والافتراء المسموم الذي لا تحمد عقباه ولا يقوم الدليل من الواقع الملمس على نقضه وتنفيذه .

ويقال يومئذ : مصر قصرت في واجبها وخانت أمانتها .

بل يقال أكثر من ذلك انها هي التي حالت بين الأمم العربية وبين قيامها بواجبها وادائها لأمانتها ، وانها هي التي وطدت دولة صهيون في جميع ارجاء فلسطين .

ولا يتحرك لنا يومئذ لسان بالجواب على هذا الذي يقال .

فالحمد لله على ما قضاه . فانه الواجب الذي لا معدى عنه ، وانه مع ذلك هو الخير لنا في اثره وحسن سمعته ، وفي اتقاء شرور الأقاويل والنفث غداً في سموم الاكاذيب والأباطيل .

وعسى الله ان يكون قد أراد لهذا البلد خلاصاً من تلك المحـــنة التي كان وشيكا ان يتعرض لها وينغمس فيه ، قياساً على ما كان في أواخر عهد الدولـة العثمانية وأوائل عهد الاحتلال البريطاني لهذه الديار .

لقد كانت القاهرة يومئذ مثابة للافاقـــين الذين كانوا يتجرون بالدعوات السياسية في الاقطار الشرقية ، هذا يعمل لحساب بريطانيا العظمى ، وهذا يعمل لحساب فرنسا ، وهذا يعمل للسلطان عبد الحميد ، وهذا يعمل لتركيا الفتاة ، وهذا يعمل لهذه الدولة تارة ولتلك الدولة تارة اخرى ، وكلهم يشغلون مصر بالدسائس والدعايات التي لا مصلحة لها فيها ولا غاية لها من ورائها ، وكلهم يجدون متسعا لهم في رحاب الاحتلال الذي يطلع منهم عـــلى أسرار المساعي الخفية ، ويسخرهم جميعاً في إضعاف الدولة العثمانية .

ولقد أوشكت هذه الرواية ان تعاد تمثيلا وإخراجاً في هذه البلاد ، فلعلنا نستريح منها بما شهدناه وعرفناه ، ولعله خير .

وهو خير ان شاء الله .

أين نحن ؟[1]

لم تمض مرحلة من مراحل القضية العربية عرفنا فيها كما عرفنا في الموقف الحاضر أين نحن من هذه القضية ، سواء فيما يرجع إلى فلسطين ، او فيما يرجع إلى الدول العربية ، او فيما يرجع إلى السياسة الدولية .

ونحن بحمد الله في أكرم موقف يشهد به إجماع الآراء : موقف المنزه عن الغرض والمنفعة ، والمنزه عن الغدر والخلف ، والمنزه عن الكذب وسوء النية ، والمنفرد مع هذا كله بجميع الأعباء وجميع المغارم والضحايا .

ولا يقل موقف بعض الدول العربية الأخرى عن موقفنا صراحة ووضوحاً تتفق عليها جميع الآراء ولكن على وجه غير هذا الوجه ، ودلالة غير هذه الدلالة ، وهي الدلالة التي تحتاج إلى تفسير لأنها لا تقبل الخلاف. وقد بلغ موقف هذه الدول غايته من العجب الذي لا يخطر ببال ، ولكنه يزداد عجباً كلما نظرنا إلى اطمئنان عصابة إسرائيل إليه ، وضمانها لدوامه ، وثقتها من ذلك غاية الوثوق، حتى بلغ من وثوقها هذا أن تقدم على إخلاء الساحات جميعاً من المدافعين والمقاومين ، وما كانت عصابة إسرائيل لتفعل ذلك لو خامرتها ذرة من الشك في امتناع الهجوم من تلك الساحات .

وانه لعجب فوق عجب ، لو لم يكن أيضاً جلاء فوق جلاء ، وكشفا لما وراء الخبايا فوق انكشافها فيما مضى من الأحداث .

---

(١) الاساس ١٠ - ١ - ١٩٤٩

وقد قبل الصهيونيون اليوم وقف القتال في مواجهة الجيش المصري ، ولم يحتاجوا قط إلى من يدعوهم لوقف قتال في مواجهة الجيوش العربية الأخرى ، بل كان وقف القتال هناك هو الذي أغراهم وشجعهم على توجيه كل قوة عندهم إلى الغدر بجيش مصر على انفراد .

فإذا كان لقوة من القوى فضل في إرغام الصهيونيين على قبول وقف القتال وعلى رد الصواب الى رؤوسهم بعد التمادي في القحة والعدوان ، فتلك هي قوة الجيش المصري التي انفردت بمقاومة كل قوة تحاربنا ظاهرة أو خفية في ذلك الميدان ، ومنها مع الأسف قوى غير قوى الصهيونيين والشيوعيين.

وقد شاع وذاع أن الولايات المتحدة تدخلت في الأمر ، وأنها تدخلت أخيراً بعد إلحاح من بريطانيا العظمى . فلنا أن نوقن كل اليقين أن هذا التدخل من الدولتين ما كان ليردع العصابة الصهيونية عن غيها لو أنها علمت من مجالدة الجيش المصري في ميدانه أن الفرصة سانحة للغلبة عليه . وقد كانت تظن أن هذه الفرصة سانحة بعد اطمئنانها إلى موقف هذه الدولة أو تلك من الدول العربية ، وبعد اطمئنانها إلى المدد الذي تلقته ولا تزال تتلقاه من أوربة الشرقية ، وبعد اطمئنانها إلى شلل الحركة في أعمال مجلس الامن وهيئة الأمم المتحدة ، ومتى اطمأنت إلى ذلك جميعه فما من رادع كان يردعها عن اغتنام الفرصة السانحة لو لم تنقلب هذه الفرصة عليها بفضل الجيش المصري حماه الله وسدد مرماه .

بل نحن نعتقد أن الولايات المتحدة لم تكن لتضغط على عصابة إسرائيل قليلا من الضغط او كثيراً لو علمت أن التغاضي عن هذه العصابة ينفعها في مواجهة القوة المصرية . ونعتقد مع هذا أنها لم تقبل أن تضغط على العصابة ضغطها الهين اللين إلا بعد شيء من المساومة والتعويض . ويبدو لنا من ظواهر الاحوال أن المساومة كانت على البترول وتوصيله من العراق إلى معامل التكرير في حيفا التي يسيطر عليها الصهيونيون هناك ، وأن لهذه المساومة بين بريطانيا العظمى والولايات المتحدة وعصابة إسرائيل علاقة بالتغيير الوزاري المفاجيء في العراق .

هذا هو الموقف الآن في إجماله . وهو موقف يسمح لنا بالتصرف الحر الطلق في المستقبل الذي يواجهنا ، ويوجب علينا أن نطمئن إلى شيء واحد ولا نطمئن إلى شيء غيره ، وهو ما نملكه من قوتنا دون سواها ، فليس علينا أن نعمل شيئاً يلجئنا إلى قوة لا نطمئن إليها ، بل نتوقع الغدر منها في أحرج المآزق عن يقين .

وإذا أفادنا هذا الموقف في تحديد وجهتنا من المستقبل القريب أو البعيد ، فإنه ليفيدنا أضعاف ذلك في تحديد الماضي الذي خفيت حقائقه على المتعجلين منا ، واحتكموا فيه إلى الجهل والرعونة بغير بينة وبغير أدب في كثير من الاحيان .

إن جهل الجهلاء أعدى لنا من الصهيونية والاستعمار ، لانه عدو مستقر في أحشاء هذه الامة المنكوبة ، وبخاصة إذا اعتقد هؤلاء الجهلاء أنهم هم وحدهم الذين يفهمون ، وهم وحدهم الذين يخلصون ، وهم وحدهم الذين يتهمون ويحكمون ، وليس أيسر على الجاهل من أن يفهم هذا ولا تخامره ذرة من الشك فيه .

لقد كان أناس من هؤلاء الجهلاء يسألون رجال الدولة : لماذا قبلتم الهدنة ؟ ويوجبون عليهم الجواب العاجل وإلا فهم مقصرون مفرطون . فليتفضل أوسع هؤلاء الجهلاء جهلا اليوم وليقل لنا كيف كان رجال الدولة يجيبون على هذا السؤال ؟

أيقولون إننا قبلناها لاننا نخشى الخيانة من هذه الدولة أو تلك بين الدول العربية ؟ وهل ينفعنا ذلك أمام العالم لو أننا قلناه ؟ هل ينفعنا ذلك أو ينفع الخونة المتهمين إذا قيل بغير دليل ؟

إن الخونة يستطيعون يومئذ أن يصطنعوا الغضب ويفعلوا ما يشاءون جهرة وهم معذورون في نظر العرب أجمعين ، والحجة معهم كلها وليست معنا حجة تناهضها لان خيانتهم لم تثبت بعد بعمل من الاعمال المكشوفة التي تنقطع فيها اللجاجة والمحال .

فليتفضل أوسع جهلائنا جهلا وليقل لنا كيف كان يقول إذا أوجبنا عليه أن يقول .

كذلك كانوا يسألون : لماذا لم تقبلوا توحيد القيادة ؟

إن رئيس الوزارة العراقية كان يصدر الاوامر إلى جيشه من مصر وبغداد فلا يلتفت أحد الى كلامه . فإذا تكلم رجال الدولة عندنا ليقنعونا بالضرر من توحيد القيادة فماذا يقولون ؟

أيقبلون قيادة يحتملون تبعاتها ولا يضمنون تنفيذ أوامرها ؟ أم يذكرون لنا الخطر الذي ينجم عن توحيد القيادة بالكلام المفتوح ؟

إننا لا نذكر هذا لنقنع جاهلا ، فما من جاهل يعرف سبيل الإقناع ولكننا نذكره للمسئولين منا ليعملوا واجبهم ولا يكترثوا لصيحة الجاهلين في أمور تطيح بمستقبل البلاد . فإن لزم الجاهل حده فذاك، وإن تجاوز حده وأساء أدبه فليأخذوه أخذ العدو العابث بمصير الوطن كله ، فانه لأعدى لهذا الوطن من جميع أعدائه، ولو كانوا مستعمرين أو صهيونيين او خونة مفسدين، وإلا فليسلم المسؤولون زمام هذه الامة لجهلائها إن كانوا لا يستطيعون عمل المسؤولين .

حجة الاستعمار (١)

نشرت إحدى الصحف الاستعمارية في لندن مقالا رددت فيه ما يلغط به دعاة الاستعمار وسماسرة الصهيونية في هذه الايام ، وزعمت فيه أن الامن مختل في الديار المصرية وأن اختلاله راجع الى جلاء الجيش البريطاني عن عواصم مصر وإسناد الحراسة وحفظ النظام الى المصريين ، وذكرت أن هذه الحالة قد تؤدي الى احتلال العواصم التي جلت عنها الجنود البريطانية .

وليس أوهن من دعوى هذه الصحيفة ودعوى الذين يسخرونها من المستعمرين والصهيونيين . فالحوادث التي وقعت في مصر بعد جلاء الجنود البريطانية عن العاصمة والإسكندرية قد وقع مثلها والجنود البريطانية التي تعسكر في هذا البلد تعد بمئات الألوف ، والمسؤولون عن الأمن من مستشار الداخلية الى حكمدار البوليس الى الكنستابل الصغير كلهم من صميم الإنجليز . وقد قتل في العاصمة الإنجليزية قائد انجليزي كبير بأيدي الإرهابيين من الارلنديين. وقتل اخيراً شاب انجليزي بقذيفة صهيونية حملها اليه بريد حكومته ، وحدثت عشرات من هذه الحوادث في إرلندة والإنجليز يحتلونها . وحدثت عشرات منها في فلسطين والإنجليز منتدبون للوصاية عليها .

وأياً كان الأمر في حفظ الأمن أو اختلاله. فليس من حق بريطانيا العظمى أن تحتل كل عاصمة أو بلدة يقع فيها ما يخل بالأمن العام ، والا لكان من حقها

---

(١) الاساس ٢١ - ١ - ١٩٤٩

أن تحتل العواصم الأوربية كلها في هذه الآونة ، وأقرب هذه العواصم اليها باريس التي اعترف حفظة الامن فيها بعجزهم عن حماية بعض الساسة والموظفين في هيئة الامم المتحدة وأرسلوهم بالطائرة الى البلاد الامريكية ، ولا نذكر ما يقع فيها من حوادث التخريب والعدوان على أيدي المضربين حيناً بعد حين .

فالصحيفة الاستعمارية ـ الصهيونية ـ تستند في تهديدها الى أوهن حجة وأسخف سبب اذا كانت المسألة في السياسة الاستعمارية مسألة الحجة الصادقة والسبب الصحيح . ولكنها مع الاسف الشديد ليست كذلك سواء في موقف الاستعمار من مصر أو موقفه من البلاد الاخرى التي يطمع فيها . وانما المعول كله عند الاستعمار على الادعاء والدعاية والقوة والتواطؤ بين الدول التي تتبادل الإغضاء عن هذه المطامع .

وما احتل الإنجليز مصر بحجة قوية ، ولا نزل الصهيونيون في فلسطين وسخروا الدول لخدمة مطامعهم فيها بحجة قوية ، ولكنها الدعاية والإدعاء ، والتذرع بالاسباب التي يتلقفونها كلما سنحت لهم فرصة ولاحت أمام أعينهم غنيمة مشتهاة .

فان لم يكن في مقدور الاستعمار البريطاني أن ينفذ وعيده في هذه الظروف فأقل ما يستفيده من شهرة مصر باختلال أمنها أن يدفع حجتنا في قضية السودان ، ولا نقول قضية ليبيا وفلسطين .

واذا كان الذين يرتكبون الجرائم في هذه الايام ينزعون الى قلب نظام الحكم كما يقولون فهم أقصر الناس نظراً وأغبى الناس عقولا اذا فاتهم حساب القوة الاجنبية التي لم تخرج بعد من البلاد ، ولم يقدروا من بين التقديرات المحتملة على الاقل أننا قد نرجع في يوم واحد مدى ستين سنة ونستهدف لخراب لا تنقذنا من جرائه عشرات السنين .

أما ان كان الغرض هو خدمة الصهيونية أو خدمة الاستعمار فمن المحقق أن تشويه سمعة مصر وسلب الامان من أهلها وصرف حكومتها عن واجباتها واثارة الفتن وراء جيشنا هو غاية ما يتمناه الصهيونيون أو المستعمرون من خدمة في هذه الظروف وفي جميع الظروف .

ان حكومة مصر حين فكرت في اعلان الاحكام العرفية قبل زحف الجيش المصري الى فلسطين كانت تتخذ هذه الحيطة لتتقي بها أعداء مصر من الصهيونيين وأنصارهم على اختلاف الاسماء والعناوين .

والواقع أن الصهيونيين واعوانهم لو جمعوا كل اموالهم واحكموا كل تدبيرهم لما استطاعوا ان يخدموا قضيتهم وقضية الاحتلال بعمل انفع لهم من اثارة الفتنة في هذا وصرف جهود الحكومة الى قمعها واتقاء اسبابها .

ولكن محاولتهم مع هذا تظل مقصورة على أبناء جلدتهم جميعاً على اكبر تقدير وابعد احتمال . وان ذلك لخطب هين الى جانب المحاولة التي تحرك للفتنة أناساً يدعون العمل باسم الإسلام او باسم الوطنية . فان تدبير الفتنة بين سبعين ألفاً من اليهود خطر لا يذكر الى جانب الخطر من تدبيرها بين الملايين .

ويومئذ تبلغ الصهيونية كل ما تتمناه، ويبلغ الاستعمار غاية دعواه، وحسبه أن يقنع منها بالدعوى التي يسوغ بها تأخير الجلاء ، ان لم يطمح الى ما وراء ذلك من تهديد الاستقلال .

وقى الله هذه الأمة شر أعدائها ، ووقاها — والعياذ بالله — شر أبنائها . فما كنا نحسب في يوم من الايام أنها تدعو لنفسها هذا الدعاء .

الجامعة العربية في الميزان (١)

مصر أقل الدول غرضاً من الجامعة العربية .

ومصر أقل الدول حاجة إلى الجامعة العربية .

ومصر أكبر الدول عبئاً في الجامعة العربية .

ومصر الآن أوضح الدول عذراً في تصحيح موقف هـــذه الجامعة وإعادة النظر في أمرها .

هي أقل الدول غرضاً من الجامعة ، بل هي لا غرض لها في منفعة خاصة تجنيها من ورائها ، لأن العرب جميعاً يعلمون كما تعلم مصر أنها لم تتطلع إلى شبر واحد من الأرض تضيفه إلى بلادها ولا إلى غنيمة مادية تنفرد بها . وهي أقل الدول حاجة إلى الجامعة في الدفاع عن نفسها ، لأنها تستطيع أن تعتمد عـــلى موارد العدد من أبنائها وموارد العدة من ثروتها ومركزها . وهي أكبر الدول عبئاً في الجامعة ، لأنها تنهض وحدها بنحو النصف من نفقاتها فضلا عن الأعباء الأدبية والاعباء الأخرى التي لا يحصيها سجل النفقات . أما عذرها اليوم ـ إذا هي أعادت النظر في أمر الجامعة ـ فهو من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى كثير أو قليل من التوضيح . فقد تركت وحدها في الميدان أمام الصهيونيين ومن يعاونهم خفية وجهرة من الدول الأوربية والامريكية . ولم تترك خطأ في مرة واحدة فيقال إنه خطأ لا يتكرر او إنها غلطة يسهل تفسيرها . بل هي قد تركت وحدها

---

(١) الاساس ١٩٤٩/١/٢٦

عمداً مرة بعد مرة، وظهر الإصرار على تركها من مسلك بعض الدول، وتجاوز الامر الإصرار إلى الشماتة بهـــا والتهليل لكل إشاعـــة من إشاعات الانتصار عليها .

وقيل في تعليل ذلك الترك ما لو صدقناه — على علاته — لكان هو أدعى الاسباب الى إعادة النظر في المسألة بجذافيرها .

قيل إن شرق الاردن تطمع في فلسطين وسورية . وقيل إن العراق تؤيدها وتجري في مجراها . وقيل إن سورية لم تستطع ان تحرك جيوشها لانها تخشى من انقضاض شرق الاردن عليها .

وهذه الاسباب — ان لم تكن هناك أسباب غيرها — كافية للنظر من جديد في تكوين الجامعة وفي برنامجها وفي الاغراض التي ترجى منها .

ولقد كانت حرب فلسطين هي النار التي محصت معدن هذه الجامعة وكشفت عن كل ما له من القيمة . وليس أصلح من النار لتمحيص معادن النفوس ومعادن الاشياء . فنحن نعلم اليوم أن الجامعة العربية قد تنفع في تبادل المعونة في المجالس الدولية . ونعلم اليوم انها قد تنفع في تبادل المعونة الثقافية، او تحسين العلاقات الإقتصادية، وأنها قد تنفع — الى حد محدود — في الوساطة بين أعضائها كلما نشب خلاف بينهم على بعض المنازعات السياسية . ولكن منافعها جميعاً تقف عند هذا ولا تتعداه .

فإذا وصل الأمر الى الحرب او ما ينذر بالحرب فليس في وسع مصر ان تعتمد على قرار غير قرارها، او على قوة غير القوة المصرية التي تملك زمامها .

وعلى هذا يجب النظر من جديد في شأنها مع الجامعة العربية للموازنة بين هذه الاغراض وبين الاعباء التي ننهض بها او تنهض بها أمة أخرى .

فليس من المعقول أن نعمل ما يفيد غيرنا ويضر العرب جميعاً ويضرنا نحن في الطليعة باسم الجامعة العربية .

وقد رأينا ان دخولنا فلسطين قد أنقذ « شرق الاردن » خاصة من سطوة الصهيونيين عليها بعد الإغارة على فلسطين من أقصاها إلى أقصاها . فاذا بشرق الاردن تطيق الصهيونيين ولا تطيقنا، وقد يبدو ذلك مستحيلا لولا وقوعه امام اعين

الناس وامام اعيننا ، وقد يبدو عجيباً بعد وقوعه وانتفاء كل شك فيه . ولكنه في الواقع غير عجيب او غير مختلف عن المعهود بين الحاسد والمحسود . فان شرق الاردن تحسد مصر وتكره الصهيونية وتخشاها ، وما زال الحسد حيث كان أقوى من الكراهية . فربما اطاق الحسود من يكرهه ويخشاه ، ولكنه لا يطيق من يحسده ويرجوه . وليس من شأننا بعد اليوم ان نحمي احداً من الصهيونية التي يطيقها وهو مهدد بها ولا يطيقنا وهو معتمد علينا .

ولقد قال صديقنا الاستاذ المازني صواباً حين قال « إننا اصبحنا امام حقائق ثقيلة » ، ولكننا لا نقره على قوله « إننا حاربنا وانتصرنا وضحينا عبثاً » . وحسبنا ان نسأل هنا سؤالا لا اختلاف في الجواب عليه وهو : ماذا كان يحدث لو أننا لم ندخل فلسطين ؟

كان شرق الاردن يصبح بطلا ونصبح نحن الخونة للقضية العربية . وكان أيسر ما يقال ان مصر هي التي خيبت الآمال ومكنت للصهيونية في جميع بقاع فلسطين وان شرق الاردن ومن جرى مجراه معذورون غير ملومين .

وتلك دعاية مسمومة لا تؤمن عقباها في الشرق كله وبين المصريين خاصة ، ويزيد عليها بقاء الحقائق مجهولة وإقامة الخطط في السياسة العربية بعد اليوم على خطأ وتضليل .

فليس من العبث اننا عرفنا « الحقائق الثقيلة » ووضعنا كل تبعة على عاتق المسؤول عنها ، واقمنا سياسة المستقبل على الواقع الممحص الذي لا مغالطة فيه ، وعرفنا انفسنا وعرفنا غيرنا وخرجنا بسمعتنا نقية سليمة من الظن والتشكيك .

وليس في عمل من اعمال الدول ما هو خير واجدى من عمل تؤدي به واجباً ، وتستفيد به تجربة ، وتحفظ به سمعة ، وتتقي به دعاية سيئة ، وقد تحقق لنا ذلك كله فيما عملناه لفلسطين وللجامعة العربية .

المسألة كلها تنكشف (١)

لما اعترفت بريطانيا العظمى بعصابة صهيون قيل في التعليق على هذا الاعتراف ان السياسة البريطانية في الشرق الأدنى ظلام يكتنفه ظلام ، وانها باعترافها هذا قد زادت سياستها الشرقية غموضاً على غموض .

والواقع ان هذا الاعتراف قد كشف المسألة كلها وازال عنها الغموض الذي يكتنفها، وانه لم يكشف الموقف الدولي في مسألة فلسطين وحدها، بل تجاوزها الى توضيح هذا الموقف في القارة الأسيوية من غربها الى شرقها او من شرقها الى غربها .

فمما لا شك فيه ان بريطانيا العظمى لم تحجم عن الاعتراف بعصابة صهيون تحرجاً من الاحكام الفقهية في تقاليد القانون الدولي دون غيرها ، ولكنها أحجمت عن الاعتراف لتجعل له ثمناً تطلبه من اسرائيل ومن الولايات المتحدة التي احتضنتها وتصدت لها ولا تزال تتصدى لحمايتها .

وقامت المساومة بين الدولتين الكبيرتين على أن الولايات المتحدة تستطيع ان تضغط على اسرائيل ، وان بريطانيا العظمى تستطيع ان تضغط على بعض الدول العربية ، او تستطيع على الاقل ان تضغط على شرق الاردن والعراق .

وكان الضغط المعلوم من بريطانيا العظمى على شرق الاردن والعراق فوقفنا

---

(١) الاساس ٢ - ٢ - ١٩٤٩

موقف الحيدة في الحرب الفلسطينية .

وكان الضغط من الولايات المتحدة على اسرائيل في تنبيهها الشديد الى ملاحظة الهدنة ، ثم اعترافها الاخير بشرق الاردن، وهو قمع موقوت – ولو الى حين غير بعيد – لمطامع اسرائيل في العقبة وشرق الاردن كله ، وربما كان هذا القمع الموقوت هو الذي اقنع بريطانيا العظمى بالتراضي في مسألة الطيارات الخمس وما كانت ستثيره من الكلام عن تجريدتها الى العقبة في جملتها .

وربما تضمن الامر اتفاقاً آخر على البترول في البلاد العربية كلها ، وتقسيما لمناطقه بين الدولتين الكبيرتين .

ومتى اتفقت بريطانيا وامريكا على سياسة واحدة في الشرق الادنى فالدول الاوربية الغربية لا تقف موقف المعارضة لما اتفقتا عليه .

وهو الذي كان بعد اتفاق الدولتين فاعترفت الولايات المتحدة بشرق الاردن، واعترفت بريطانيا العظمى بالواقع في ارض العصابة الصهيونية ، وتتابع اعتراف الدول الاوربية في اربع وعشرين ساعة كأنها كانت على ميعاد ، بل كانت فعلا على ميعاد .

والذي نعتقده ان حوادث الصين كان لها اعظم الاثر في تعجيل الاتفاق الإنجليزي الامريكي الذي كان يتعثر في طريقه منذ شهور .

فلا يخفى ان الولايات المتحدة هي التي أصرت على اشراك دولة أسيوية كبيرة في مجلس الامن بين الدول الخمس الكبرى، وانها هي التي اختارت الصين وقررت ان تكون واحدة من أربع دول على الاقل إذا وقع الخلاف على الخامسة .

ثم تضعضعت الصين امام هجمات الشيوعيين وخيف ان يجتاح النفوذ الروسي آسيا برمتها فوجب التعجيل بالاتفاق على سياسة آسيوية من اقصاها شرقاً في اليابان الى أقصاها غرباً في فلسطين . وقد تواتر في الانباء الاخيرة ان ضغط الدول الكبرى يشتد على هولندة لحملها على الاعتدال وكفها عن الشطط في

القضية الاندونيسية ، لان تهاون الدول الغربية مع هولندة قد يدفع بالشعب الاندونيسي الكبير الى احضان الشيوعية ، او الى دائرة النفوذ الروسية .

فاذا كانت روسيا قد وسعت نطاق نفوذها في الصين فالامم الآسيوية الكبرى التي يعتمد عليها في مقاومة هذا النفوذ هي الهند وباكستان وبورما والفيلبين وجزر الملايا او اندونيسية .

والولايات المتحدة وبريطانيا العظمى على اتصال مباشر وعلاقات سياسية بهذه الامم الآسيوية ما عدا اندونيسية ، فمن الواجب اكراه هولندة على ارضاء اندونيسية لإتمام الإتصال بشعوب القارة الآسيوية التي بقيت خارجة من نفوذ الشيوعيين . وهذا فيما نرجح هو سر الضغط على هولندة في الايام الاخيرة . وهذا ايضاً هو سر تلك المهادنة التي شرعت فيها روسيا مع الدول الغربية في الاسبوعين الاخيرين ، لانها – أي روسيا – خشيت بعد نجاح الحزب الشيوعي في الصين ان يفزع الخطر دول الغرب فتتفق على خطة موحدة في المانيا وفي غربي اوربة على العموم .

وهي من جهة اخرى كالوحش الذي يبتلع أكلة ضخمة فيأوي الى كهفه ليعكف حيناً على ابتلاعها وهضمها .

وفي وسعها اليوم ان تشغل شعبها بتمثيل الاكلة الآسيوية بعد ان كانت تشغله بمشكلات أُوربة الغربية وأُوربة الوسطى ، فهي مهادنة خدعة لا مهادنة سلام .

ويبدو لنا أننا لا ننتظر طويلا قبل أن نرى من جانب فرنسا تعديلا لسياستها في الهنــــد الصينية وتوسيعاً لحقوق الشعوب في تلك الأقطار ، مجاراة للسياسة العامة التي تتجه الى تحويــــل الأمم الآسيوية عن دائرة النفوذ التي يتطلــــع اليها الروس .

* * *

ان المسألة كلها تنكشف وتتبدد عنهـــا سحب الغموض . ونحن في عصر

لا تؤخذ فيه مسألة من مسائل الشرق والغرب على حدة . فان اشتباك المسائل في العالم الحديث يقضي علينا بتعميم النظر إلى العالم كله عند النظر إلى أية قضية من قضاياه . وعلى هذا الوجه ينبغي ان ننظر إلى التحول الجديـــد في سياسة الدول الكبرى نحو الشرق الأدنى . فاننا لن نمضي على هدى من أمرنا في أقربه المشكلات الينا إذا فاتنا ان نحيط بالأفق الواسع في السياسة العالمية بجملتها .

اننا أمام خطط عالمية ، فلنمض في خطتنا أبداً على هذا الاعتبار .

مستور ينكشف (١)

جاء في الصحف أن « جون كيمش » داعية الصهيونية المشهور أرسل الى صحيفة نيويورك بوست التي تحمل لواء الصهيونية في الولايات المتحدة برقية يقول فيها « إنه علم من مصدر عسكري عليم في العاصمة الإنجليزية أن السلطات الحربية البريطانية تنظر بعين الإهتمام والقلق إلى الحالة في مصر عقب مصرع الشيخ حسن البنا ، وأنها على استعداد تام لاحتلال القاهرة والإسكندرية وأماكن أُخرى إذا اقتضى الأمر ذلك » .

ولا شك أن داعية الصهيونية هذا هو أول من يعلم بطلان هذه الاشاعة ، ويعلم أنها « تلفيقة » لا يمكن تعزيزها من سوابق السلطات البريطانية في الشرق الأدنى . فقد كانت فلسطين خاضعة للانتداب البريطاني إلى منتصف شهر مايو من السنة الماضية ، وحدث في أيام الانتداب أن الصهيونيين جلدوا وقتلوا كثيراً من الضباط والجنود الإنجليز ، واقترفوا جرائم العدوان المسلح على العزل الآمنين في ديارهم من العرب وغير العرب المقيمين في فلسطين. فلم يكن جزاء الصهيونيين على الإخلال بالأمن مضاعفة قيود الأنتداب وزيادة القوى العسكرية التي تحتل البلاد ، بل كان جزاؤهم على بعض ذلك أن بريطانيا العظمى قررت إلغاء انتدابها وجلاء جنودها عن فلسطين كلها ، وتسليم حيفا للعصابات الصهيونية .

---

(١) الاساس ١٨/٢/١٩٤٩ .

ثم أَعلنت العصابات الصهيونية أنها دولة تسمى دولة إسرائيل ، وحدث في ظل هذه الدولة أن مندوباً لهيئة الأمم المتحدة قتل بأيدي تلك العصابات ، وقتل معه كما قتل قبله وبعده طائفةمن رجال هيئة الامم وغيرهم من رعايا الدول الأجنبية ، وزادت العصابات على ذلك أَنهـــا أسقطت لبريطانيا العظمى خمس طائرات ووقفت منها موقف التحدي والإذلال. فلم يحدث من جراء ذلك سلب استقلال تلك الدولة المزعومة ، بل حدث نقيضه على خط مستقيم ، وهو الاعتراف البريطاني بحكومة صهيون .

فاذا شاءت بريطانيا العظمى أن تتخذ من مصرع الشيخ حسن البنا ذريعة إلى احتلال القاهرة والإسكندرية فليس في سوابقها القريبة ما تستطيــع أن تعزز به هذه الذريعة ، وليس في الواقع ما يدل على مسوغ لها أو بادرة من بوادر التعكير فيها .

والقصة كلها على ما هو ظاهر تلفيق من مخترعات الداعية الصهيوني والصحيفة الصهيونية ، ولكن هذا التلفيق ليس هو بيت القصيد . وإنما بيت القصيد هو هذا الغضب الذي يغضبه الداعية الصهيوني ، وهذا التذرع بمصرع الشيخ حسن البنا للتهويل مـــن جانب الدعاة الصهيونيين والإنذار بالويـــل والثبور وعظائم الامور .

فما هي الحـكاية ؟ وما وراء ذلك الغضب العجيب !

لقد كان المفروض أن دعاة الصهيونية آخر من يثور لمصرع دعاة الإسلام . فكيف انقلبت الامور هذا الانقلاب ، وأصبح مصرع « داعية الإسلام » عندهم ذريعة إلى احتلال القاهرة والإسكندرية والعدوان على استقلال الامة المصرية ؟

اننا كشفنا سر ذلك من قبل ، وها هو ذا السر يزداد انكشافاً على توالي الايام . فالواقع أن الصهيونيين لم ينتظروا من أبناء جلدتهم في مصر خدمة أنفع لهم من تدبير فتنة فيها خلال الحرب الفلسطينية. ولما أعلنت الاحكام العسكرية عند زحف الجيش المصري إلى فلسطين كان إعلانها حيطة لا بد منها لاتقاء الدسائس الصهيونية داخل البلاد . ولو أن هذه الدسائس بلغت مداها ونجحت غاية نجاحها لكان خطبها محصوراً في مصدرها ، وهو لا يتجاوز بضعة آلاف

من أبناء جلدة الصهيونيين على أكبر تقدير . أما المطمع الذي كان من وراء الحكم فهو أن تثار لهم هذه الفتنة العمياء باسم الإسلام والمسلمين، وأن تثار لهم والجيش المصري في أحرج المواقف منفرداً وحده بقتال العصابات الصهيونية، وحكومة مصر مشغولة بالشاغل الاكبر الذي لا تستطيع ان تنصرف عنه لحظة واحدة ! وهو إمداد الجيش وحماية ظهره والمبادرة إلى معونته وتلبية كل مطلب من مطالبه العاجلة بالليل والنهار .

ذلك هو المطمع الذي لم تكن أحلام الصهيونيين ولا أوهامهم تترامى اليه ، فبلغوه على أيدي أناس يثيرون الفتنة باسم الإسلام والمسلمين ، ثم يشعلونها في كل مكان بين مؤامرة هنا ومظاهرة هناك ، وقذيفة تلقى في الطريق، وثورة تحتدم في المدرسة ، وقتيل من رجال القضاء تارة ومن رجال الامن تارة أخرى ، وجو من الإرهاب والفزع يخبط فيه الخابطون في ظلام من حوله ظلام .

ومن حق الصهيونيين أن يغتبطوا بتلك الفتنة التي جاءتهم في أوانها ، وحق لهم أن يزدادوا غبطة بها بعد أن علموا وأيقنوا أنها تنفع عصاباتهم أجل منفعة ولا تصيب فرداً من أفرادهم بأقل سوء. فالقذائف التي كانت تقضي على عشرات المصريين في الطرقات كانت تلقى على الدكاكين قبيل الساعة السابعة من الصباح ، او في الساعة الثالثة بعد الظهر ، او عند منتصف الليل، حين لا يتعرض لها يهودي من أصحاب تلك الدكاكين او عمالها فلا تمسهم في حياة ولا تمسهم في مال لان المال مضمون لهم من تعويضات التأمين ، وبعض الغرم فيه على شركات المصريين .

لقد حق لداعية الصهيونية ان يقيم القيامة وينادي في صحيفة الصهيونية بالويل والثبور وعظائم الامور .

ولقد قلنا من قبل إنها فتنة إسرائيلية ، ولم نرجم بالظن ، ولا تعودنا أن نرجم بالظن في خطب من هذه الخطوب . فإن كنا قد نظرنا إلى ما وراء الستار حيث تعمى بعض الابصار فهذا هو الستار يتمزق ويتكشف فلا تخفى وراءه كوامن الاسرار .

الموقف في فلسطين (١)

ليس في السياسة الدولية نحو فلسطين شيء جديد غير قول مجلس الأمن انضمام العصابة الصهيونية إلى هيئة الامم المتحدة وليس قبول المجلس انضمام تلك العصابة إلى هيئة الامم المتحدة شيئاً جديداً في غير الشكل والصيغة .

لأن الدول التي قبلتها الآن قد سبقت إلى الاعتراف بها واحدة بعد واحدة فأصبح قبولها بعد الاعتراف بها امراً متوقعاً مرتهناً بوقته . ومما لا شك فيه أن العصابة الصهيونية بذلت غاية الجهد لاقناع الدول أولا باعلان الاعتراف بها ، ثم اقناعها بقبول انضمامها الى الامم المتحدة،ولكن مما لا شك فيه أيضاً ان جهود العصابة وحدها لم تكن كافية لتحقيق مسعاها ، لولا تأييد الولايات المتحدة واستخدام نفوذها في السياسة الدولية ، وقد رفض مجلس الامن قبول العصابة حين عرض عليه الامر منذ شهور قليلة فما الذي طرأ في هذه الشهور مما حمله على التحول من موقف الرفض إلى موقف القبول ؟

لم يطرأ شيء جوهري يسوغ هذا التحول ، ولكن الولايات المتحدة ربما تذرعت ببعض الحجج « الصورية » لاقناع الدول بالتحول عن الرفض إلى القبول.وحتى ان الصهيونيين مستعدون للاذعان لقرارات المجلس في مسألة الهدنة وان الانتخابات التي جرت لاختيار الحكومة الصهيونية قد اسفرت عن هزيمة الشيوعيين ورجحان كفة الديمقراطيين . وهي كما اسلفنا حجج صورية لا تدل

---

(١) الاساس ٧ مارس ١٩٤٩

على تبدل جوهري في تصرف العصابة الصهيونية . فإن العصابة لم تذعن للهدنة وهي قادرة على متابعة القتال ، ولكنها أذعنت لأنها افتقرت الى المـــال واحتاجت إلى قرش لم تجده بطبيعة الحال في الأسواق الروسية ؟ ولأنهـــا عجزت عن تنفيذ خطتها العسكرية في الهجوم على الجيش المصري بعد انفراده بالقتال في جميع ميادين فلسطين. فاذعنت وهي صاغرة راغمة . ولم تكن لتذعن ولا لتميل إلى الإذعان لولا عجزها في موارد المال وخطط القتال .

أما هزيمة الشيوعيين في الانتخابات فهي ولا شك نتيجة لا توجب الارتياح في دوائر الحكومة الروسية ؟ ولكنها لا توجب اليأس ولا النقمة في الوقت نفسه لأن أبواب صهيون لا تزال مفتوحة لكل دعوى تأتي من الكرملين او الكومنفورم ولم ينهزم الشيوعيون هناك لأن جمهور الصهيونيين يعارض الشيوعية وينفر منها . وإنما جاءت الهزيمة تدبيراً مفهوماً او متفقاً عليه للانتفاع بمعونـــة الدول الديموقراطية والحكومة الروسية في وقت واحد . ولو انتصر الحزب الشيوعي الصهيوني لخسرت العصابة الصهيونيـــة كل عون من الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى .

أما بريطانيا العظمى فلا غرابة أيضاً في موقفها بمجلس الأمن بعد اعترافها واعتراف مستعمراتها بالدولة المزعومة . ولكنها كانت تستطيع أن تعطل قرار المجلس باستخدام حق النقض كما تستخدمه روسيا في أمثال هذه المواقف . ولو استخذمت حق النقض لاحبطت الحركة وحالت دون نفـــاذ القرار . ولو إلى حين . إلا أنها على ما يظهر ، قد اشتركت مع الولايات المتحدة وبعض الدول الأوربية الغربية في اتفاق شامل لسياستها في الشرق الأدنى فوقفت مع قرار مجلس الأمن موقتاً مع الولايات المتحدة ولا تنظر منهـــا أكثر منه إذ العبرة بالنتيجة لا بالصورة ، والنتيجة هي فوز القرار بالعدد المطلوب .

وبقيت مسألة العقبة بين صهيون وبريطانيا العظمى. ومسألة العقبة هذه عقدة قديمة ترجع إلى أكثر من أربعين سنة ، حين دخلت ثلة من الجيش التركي إلى كاية وأوشك الخلاف بين انجلترا والدولة العثمانية ان يفضي يومئذ إلى حرب عالمية . فقد كانت انجلترا تدافع يومئذ عن القضية باسم الفرامانات السلطانية التي تلحقها

بالحدود المصرية ... ثم عادت بعد الحرب العالمية الأولى فاحتلتها تمهيداً لالحاقها بشرق الأردن . وثار الخلاف عليها من أجل ذلك بين شرق الأردن والمملكة السعودية .

ويقال اليوم إن عصابة صهيون تطمح اليها لإنشاء قناة بينها وبين البحر الأبيض المتوسط تزاحم قناة السويس، وانها تنفذ البعوث العسكرية اليها لانتزاعها من شرق الأردن وحليفتها بريطانيا العظمى .

ولا نعتقد أن المسألة في دورها الحاضر تعدو أن تكون مناورة سياسية . لأن الصهيونيين لا يبلغ بهم الحمق ان يطمعوا في انتزاعها عنوة من القوة البريطانية التي تعسكر في بحرها وبرها ؟

وغاية ما هنالك أنهم يلوحون بالزحف عليها ليدخلوها في حساب المساومة بينهم وبين شرق الأردن . ويجعلوا الانصراف عنها تجاوزاً عن شيء في مقابلة شيء آخر تتجاوز عنه تلك المملكة العربية .وتوسط بريطانيا العظمى لقبول الصفقة المتبادلة بين الفريقين .

والموقف بالنسبة الينا في فلسطين يتلخص في انه هدنة عسكرية وقد وصف بعضهم هذه الحالة بأنها هدنة دائمة . وهو وصف لا معنى له في اللغة ولا في الإصطلاح ، لأن الهدنة بطبيعتها علاقة بين المتحاربين لا توصف بالدوام . إذ هي فترة موقوتة ، لامناص من انتهائها بعقد الصلح او باستئناف القتال وغاية الفرق بين هدنة وهدنة ان هناك هدنة عامة وهدنة خاصة أو جزئية . وحتى هذه التفرقة لا تسوغ وصف الهدنة القائمة الآن بأنها هدنة عامة الا من ناحية الجبهة المصرية .

أما إذا نظرنا إلى جبهات القتال في فلسطين كلها فهي هدنة جزئية أو موقتية . لأن المفاوضات مع شرق الأردن وسوريا ولبنان والعراق لم تنته إلى نتيجة متفق عليها . ولم يشترك فيها بعد مندوبون عن اليمن والمملكة السعودية .

فهي هدنة عامة في جبهة واحدة وهذا هو الموقف الصحيح بالنسبة إلى مصر في الميادين الفلسطينية وهو موقف لوحظت فيه جميع الاعتبارات التي يجب علينا

ان نلاحظها في علاقاتنا بالأمم جميعاً وفي مقدمتها الامم العربية .

أما موقف الدول الكبرى – أو مواقفها – فلا بـــد ان تظهر نهايتها بعد حين .

ونهايتها التي لا نشك فيها انها ندم وخيبة ، وأسبق الدول إلى الندم والشعور بالخيبة غداً هي الدول التي سبقت إلى الاعتراف بصهيون ، وإلى السماح لها بالدخول في حظيرة الامم ، وهي حرب على كل سلام ولا غاية للامم فيما تزعم غير اقرار السلام .

أبطالنا العائدون (1)

إن أبطالنا العائدين من الفلوجه قد هيأوا لأمتهم أول فرصة للاحتفال بمجد عسكري وطني منذ أكثر من مائة وعشرين سنة . فلم تحتفل مصر بعد عودة البطل الفاتح إبراهيم باشا من حروب الجزيرة العربية بيوم كهذا اليوم . ولو لم تكن لبطولة الفلوجة مزية غير هذه المزية لـكانت هي وحدها كافية لاحتفال الأمة به وتعظيمها لشأنها وشأن أبطالها .

ولكنها لحسن الحظ مزاية واحدة من مزايا كثيرة. فان بطولة الفلوجة جديرة بأن تقرن بأعظم المواقف العسكرية التي تردد ذكرها في حروب العصر الحديث. وكثيراً ما ذكر الناس مواقف دنكرك وستالنجراد لهـذه المناسبة أو قبل هذه المناسبة .

فيسرنا أن نقول صادقين موقنين أن بطولة المصري المقاتل في الفلوجة أحق بالفخر والمباهـاة من بطولة المقاتلين في دنكرك او ستالنجراد لأن البطولة لا تقاس بضخامة المكان الذي يجري فيه القتال ولا بضخامة الجيش الذي يحاصر مدينة او يتعرض فيها للحصار وإنما تقاس بالقوة النفسية او القوة « المعنوية » التي تتجلى في الموقف وتتطلبها المقاومة .

والقوة المعنوية التي تطلبها الدفاع عن الفلوجة اعظم واكرم من القوة المعنوية التي كان يتطلبها الخروج من دنكرك او المقاومة في ستالنجراد .

---

(1) الاساس 10 مارس 1949 .

ان الجندي الروسي الذي صمد للمقاومة في ستالنجراد كان يقاوم الأعداء في عقر داره . وكان يستطيع الثبات على هذه المقاومة لأنه يعتصم بمعاقله وبيوته ويجد من حوله كل ما احتاج اليه من طعام ودواء وسلاح وذخيرة ، ولا يشكو النقص في مورد من هذه الموارد ساعة او بعض ساعة ، ولا يقابل في دفاعه عدداً اكبر من عدده . ولا عدداً من الجند والسلاح اعظم من عدده .

ولم يكن المدافعون في دنكرك بحاجة إلى المصابرة أياماً بعد أيام للخروج من المدينة إلى البحر وإنما كانوا يصابرون أعداءهم ساعات يعانون فيها ضغط العدو وضغط الزحام على السفن ولامراء ، ولكنه عارض يشد أعصاب المهددين به ساعات ثم ينقضي بسلام .

أما الفلوجة فلا هي بمعقل حصين ولا هي بمكان صالح للتحصين على عجل ، لأنهار رقعة من صحراء ؟ وليست هي قطعة من الارض المصرية على مقربة من اعداد المؤنة والسلاح . فمن يدافع عنها فانما يدافع الموت والمرض والجوع ونفاذ الذخيرة والسلاح ، وهو منقطع عن موطنه الذي يعتمد عليه . من يدافع عنها إنما يحتاج إلى بطولة في وجه الموت والعذاب والضنك والفزع حيثما ألقى ببصره في نطاق دفاعه . كل ما فيها يهبط بالروح المعنوية ويمهد العذر لمن هبطت في صدره هذه الروح .

قذائف تترامى بالليـــــل والنهار جرحى ينزفون ولا وسيلة للعلاج ، جياع يتضورون . سلاح لا يكفي للمقاومة .

وليس للقوة المعنوية غير مورد واحد هو صدور الابطال المجاهدين فيها ، وانفتهم لوطنهم ان يحني الرأس أمام عدو من أعدائه . فإذا قيست البطولة فهي لا تقاس بالارقام التي تفرق بين قرية الفلوجة ومدينة ستالنجراد في مساحة الارض وعدد السكان والمدافعين .

وهي بطولة فاز منها كل فرد من أفراد الحامية المجيدة بحصة الاسد الذي لا يرضى بما دون الغاية .

بطولة القائد في الحزم والتدبير والحول والحيلة والعطف على من هم في كفالته

من المقاتلين والمسالمين ،وبطولة الجندي في الطاعة والاستبسال ومقاومة العدو ومقاومة الضعف من حيث يتسرب الضعف إلى نفس بشرية .

وبطولة الجريح الذي يؤثر الموت والعذاب على الشفاء والراحة بين يدي أعدائه . وهمامنه قريب وتلك هي بطولة الفلوجة الخالدة وتلك هي البطولة التي تحتفل بها اليوم.

بطولة تحتفل فيها مصر بنفسها وتحتفل فيها مصر بمجد أسلافها ومستقبل أبنائها واحفادها .

وخير ما يطمح اليه مصري ان يكون احتفال الوطن به احتفالا بنفسه ، واحتفالا بحاضره ومستقبله وماضيه .

فهنيئاً لـكم ابطال الفلوجة الامجاد، ان الوطن بكم لفخور .

الفلك لم يتهود (١)

في بعض أيام الدولة الفاطمية شاعت أسباب مالية تؤيدها اسباب نسائية ان يتغلب سلطان اليهودعلى الدواوين وعلى الاسواق فقال الشاعر ابن البواب ساخراً ساخطاً :

يهود هذا الزمان قد بلغوا
غاية آمالهم وقد ملكوا
العز فيهم والمال عندهمُ
ومنـــهم المستشار والمـــلك
يا أهل مصر لقد نصحت لكم
تهودوا قـــد تهود الفلك

رحم الله ابن البواب ماذا يقول الآن إذا رأى يهود هذا الزمان .

انه على اية حال لا يستطيع ان يزيد على ان الفلك قد تهود . ولكنه سيترك نصيحة اهل مصر ليوجه هذه النصيحة إلى امم الأرض قائلا من غير ان يخرج على الوزن واحكام العروض :

يا امم الارض قد نصحت لكم
تهودوا قـــد تهود الفلك

فلو عاد ابن البواب اليوم إلى الحياة لخيل اليه ان الفلك لم يشتمل في هذا

---

(١) الاساس ١/٤/١٩٤٩ .

الزمان على أمة واحدة يقال عنها إنها تفعل ما تشاء بغير وازع ولا رادع غير الأمة اليهودية ، أو الأمة للصهيونية .

وحسبها من ذلك انها تجرم فتصبح جريمتها قانونا تسقط أمامه الحقوق .

إذا تشرد اليهود في أوربة كان تشريدهم ظلماً يستحقون من أجله التعويض والعطف والمعونة ، ويقضي بذلك من ظلموهم وشردوهم ، وهم الأوربيون .

أما إذا شرد اليهود مئات الألوف من العرب ، وأخرجوهم من بلادهم التي عاشوا فيها وعاش فيها من قبلهم آباؤهم وأجدادهم عشرات القرون ، فهذا التشريد حق يترتب عليه حق آخر . وهو استيلاء الصهيونيين على تلك البلاد وإغلاقها في وجوه أصحابها المشردين .

وإذا كان للقانون الدولي سوابق وتقاليد ، فالسابقة التي شرعتها معاملة الدول للصهيونيين شيء عجيب لا ندري كيف يمكن أن يصاغ في لغة القوانين .

فالحكومات التي تطلب من الدول أن تعترف بوجودها مطالبة بشروط تستوفيها كل الاستيفاء ، أو بعض الاستيفاء ، قبل أن تظفر بذلك الاعتراف .

فيجب أن يثبت لها أولا أنها قامت بالحكم فعلا ، وانها قامت به في مكان معروف الحدود معروف الرعايا والسكان ، وانها مستعدة لقبول الالتزامات الدولية وتنفيذها ، وانها تعترف بأصول الشرائع الانسانية التي تواضعت عليها أمم الحضارة .

فاذا أراد عالم من علماء القانون الدولي غدا أن يضع قواعد الاعتراف بالحكومات كما يستمدها من السابقة الصهيونية فماذا يقول ؟

لا بد أن يقول — شاء أو لم يشأ — ان مجرد إعلان الحكومة كاف للاعتراف بوجودها ، وان التثبت من حقها لا يحتاج إلى اكثر من عشر دقائق ، وأنها تؤكد هذا الحق كلما نقضت عهداً أو خرجت على اتفاق ، وتزيده توكيداً كلما وقع فيها العدوان على الأرواح والأموال ، وكلما مضى الوقت ولم يلحق بذلك العدوان عقاب .

ان السابقة الصهيونية تملي هذا إملاء على من يريد أن يضيفها إلى عرف

السوابق والتقاليد ، وان يلغي بها ما تقدم من « الشروط » على اعتبار انها هي العرف الأخير .

ولكنه قد يضيفها ويضيف اليها وهو صادق : ان هذا هو حكم قانون الدول مع الصهيونية دون غيرها . أما « غيرها » فهو مأخوذ بما يفرضه العقل والعادة والحياء في جميع الأحوال .

ولا احترام للعقل ولا للعادة ولا للحياء عندما يكون الكسب للصهيونيين ويكون الخسار على الآخرين .

وابن البواب معذور حين يعلن « تهود الفلك » إذا كان للصهيونية وحدها حق غير الحقوق ، وقانون غير القوانين ، ومعاملة غير المعاملات .

* * *

ولكن هل يمكن هذا ؟

هل يمكن أن ينتظم في هذه الدنيا عرف يزري بالعقل ، وينقض العادة ، ويتجرد من الحياء ؟

ان القوة المادية — قوة المال والسلاح — قد حاولت بعض هذا في جميع الأزمان فلم تفلح ، أو لم تبلغ من الفلاح ما يكتب له البقاء .

ولا نحسب ان الزمن سيطول قبل أن تعرف القوة المادية — قوة المال والسلاح — انها لا تقدر على كل شيء ولا تقدر على تهويد الفلك كما قال ابن البواب .

فهم يتكلمون اليوم عن شرق البحر الأبيض واتفاق أممه وحكوماته على الدفاع .

فاذا اعترفت القوة المادية — قوة المال والسلاح — بعصابة صهيون ولم تعترف امم البحر الأبيض بها فكيف يكون الاتفاق ؟

على اننا نسأل هذا السؤال ونتخيل ان الصهيونية نفسها متفقة على الموقف الذي تلتزمه بين الكتلة الديمقراطية والكتلة الشيوعية ، فهل هي حقاً في هذا الموقف على اتفاق ؟

ان القوة المادية — قوة المال والسلاح — لا تضمن اتفاق الصهيونية على الورق ولا

تضمنه في الواقع ، لأن عصابة صهيون نفسها كتلتان على الأقل متنازعتان وليس منها كتلة تخلص في نية أو يوثق بها في تنفيذ .

ويوم يجد الجد ، وتنقشع الغشاوة عن العيون ، سيتوارى لا محالة ذلك « الفلك المتهود » الذي تراءى لابن البواب ، ويبقى على الدوام ذلك الفلك الدوار الذي قال فيه حكيم المعرة :

تقفون والفلك المحرك دائر
وتقدرون فتضحك الأقدار

محترمة بين محترمين [1]

أفادت أنباء الهيئة الموقرة –هيئة الأمم المتحدة– انها قبلت عصابة اسرائيل عضواً فيها بالموافقة من نحو اربعين صوتا ، والمعارضة او الامتناع من نحو عشرين.

وقبل أن يصدر هذا القرار الحكيم ، من تلك الهيئة الموقرة ، كانت الهيئة تعرف من المناقشات التي دارت فيها كل سبب يدعوها – بل يوجب عليها – ان ترفض طلب العصابة ، ولم يكن سبب واحد من أسباب القبول معروفاً بين أعضاء الهيئة في خلال تلك المناقشات .

قال مندوب مصر ان « دولة اسرائيل » الملفقة ليست لها حدود معروفة ، وليست من الدول التي تعمل للسلم وتتجنب العدوان .

وقال انها تنتهك الحرمات وتضطهد الرعايا وتشردهم ثم لا تقبلهم في بلادهم ، بل تحول بينهم وبين الرجوع اليها .

وقال ان دماء القتلى من مندوبي هيئة الأمم المتحدة الذين لقوا حتفهم بأيدي رجال العصابة لا تزال مطلولة ولن تزال جرائم العدوان عليهم متروكة بغير عقاب .

وقال ما هو أولى بالاقناع من كل ذلك ، وهو ان عصابة اسرائيل لا تبالي بهيئة الامم التي تطلب الانضمام اليها ، ولا تقبل منها أمراً ولا توصية في مسألة إنسانية كمسألة اللاجئين ، ومسألة دولية دقيقة كمسألة بيت المقدس .

---

(١) الاساس ١٣/٥/١٩٤٩ .

قال هذا وقال غيره ، ولم يقل أحد يناصر العصابة سبباً يوجب قبولها أو ينقض الأسباب التي تدعو إلى رفضها .

ولقد كان عكس هذا هو المعقول في المقدمات التي تنتهي إلى هذه النتيجة ، وهي الاعراض عن أسباب الرفض والاعتماد على اسباب القبول ولكن غير المعقول هو الذي حدث ، لأن العقل الانساني معطل على ما يظهر في كل شأن يتعلق بعصابة إسرائيل .

ويبدو لنا ان هؤلاء الأذلاء الذين شبعوا ذلا في تاريخهم الطويل يلذ لهم ان يستذلوا أولئك الساسة التعسين وأن يسوموهم كل مكروه وهم على ثقة من اذعانهم له وعجزهم عن التمرد عليه أو التردد في قبوله .

فقد كان في وسع العصابة الاسرائيلية ان تؤخر طلبها إلى أن تفرغ الهيئة من مسألة تدويل القدس ومسألة اللاجئين .

كان في وسع العصابة الاسرائيلية وهي تصر على رفض أوامر الهيئة في هاتين المسألتين أن ترفض أوامرها ولا تطلب منها شيئاً على الأقل في هذه الفترة القصيرة .

ولكن الساسة التعسين أهون على العصابة من ذلك فهي ترفض رجاءهم ، ثم لا تكلف نفسها الانتظار لحظة بعد رفض ذلك الرجاء .

بل ترفض وتأمر ، وهي على ثقة من طاعة اولئك الساسة التعسين .

ويا له من ذل لا ذل بعده ، فليس في تاريخ بني الانسان أحقر ممن يسام الذل جهرة على أيدي المنبوذين المستذلين في طوال العصور ، ثم لا يملك معهم موقفاً غير موقف الاذعان والتسليم . وانا لنتخيل الآن مسكيناً من مساكين الفقه الدولي يريد ان يسجل السوابق في كتابه بعد هذه السابقة في « شروط الالتحاق » بأمم الحضارة .

فما هي السابقة التي يقيدها المسكين في قوانين الامم من مستحدثات هذه الشروط ؟

أيخطيء إذا سجل الغاء جميع الشروط التي تلاحظ في حالة المنع وجميع الشروط التي تلاحظ في حالة القبول ؟

أيخطيء إذا قلب الأوضاع رأساً على عقب فجعل أسباب القبول هي اسباب

المنع وأسباب المنع هي اسباب القبول ؟

أيخطيء إذا قال ان الدواعي والموانع في هذه المسألة هي سر خصوصي يُتفق عليه في الخفاء ولا يصح التعرض له في العلانية !

ما من حكم من هذه الأحكام يخطيء الفقيه المسكين إذا استمده من هذه السابقة التي جاءتنا بها إسرائيل .

وبورك للعالم في دولة محترمة تفتتح عهدها في جماعة الأمم المحترمة مثلها بقلب كل وضع ونقض كل معقول وتسويغ كل محظور .

لكن مسجل التاريخ لا يستطيع أن يخرج من عجائب إسرائيل كلها بمحصول قد يفيدنا بعض الشيء حيث لا نستفيد شيئاً من هراء هذه « السوابق الدولية ».

فكل من عاون إسرائيل حتى الآن قد لقي جزاءه الحق بأيدي إسرائيل : الدولة التي منحتهم وعد بلفور ، وأبناء البلاد الذين باعوا لهم ارضهم طائعين او كارهين ، وساسة الغرب والشرق الذين تواطؤا معهم على الكيد والنفاق .

والعاقبة للبقية .

والبركة في معين من ميراث الغدر والكنود لا ينضب عند عصابة إسرائيل، وهي بركة والعياذ بالله لا يستحب معها التبريك .

من علامات النضج [1]

والتقدم

كنا قبل سنوات نغضب من مظالم السياسة العالمية فنسمع الدعوة من كل جانب إلى اعتزال هيئة الامم المتحدةوما جرى مجراها لأنها هيئات مغرضة تقضي بالهوى وتجري وراء المصلحة ولا تعرف شريعة الانصاف .

ولم تكن هذه الدعوة في حقيقتها أكثر من صيحة غضب في لحظة من لحظات الشعور بالخيبة وفوت الرجاء .

اما انها رأي يوازن بين الوقائع وينظر إلى العواقب فذلك أبعد وصف يوصف به مثل ذلك الاندفاع .

لأن خروجنا من هيئة الأمم أو هيئات لايصلح فسادها ولا يبعدنا عن نطاق أغراضها وكل ما هو مضمون موثوق به من نتائجه انه يعزلنا ثم يعرضنا لجرائر العزلة ويعطي المعذرة لمن يلتمس المعذرة في الاساءة الينا .

فمن دلائل النضج والتقدم أننا لا نسمع هذه الصيحة كثيراً في الآونة الأخيرة وان اجماع المفكرين وذوي الرأي يوشك أن ينعقد على بقائنا في هيئة الأمم بعد ما بلوناه من مساوئها وعلية الأهواء على أحكامها .

وهو رأي سديد راجع كل ما فيه من عيب انه لا يرضى فورة الغضب الأولى

---

(١) الاساس ١٨ - ٥ - ١٩٤٩

ولكنه يرضي العقل ويوافق مقتضيات الواقع وهي تلك المقتضيات التي اوجبت على غيرنا أن يبقى في تلك الهيئة ومنهم من يعاني من مساوئها مثل ما نعانيه وأشد مما نعانيه .

ليس في وسع أحد أن يزعم لهيئة الأمم انها محكمة عادلة تعطي صاحب الحق حقه وترد الباغي عن بغيه .

ولكن ليس في وسع أحد كذلك ان ينكر انها منبر عال مسموع في جوانب العالم واننا نستطيع فيها ما لا نستطيعه في مجال آخر من بسط الحقائق وتفنيد الأكاذيب وكشف المغالطات والأضاليل .

ولو كان هذا كسباً قليلا هيناً لزهدت فيه الدول الكبار التي تملك العدة والعتاد وتستغني عن حجج « الدعاية » والكلام ولكنه في الواقع كسب غير قليل وغير ميئوس من جدواه لأنه على الأقل يدفع بعض الأضرار ويكف بعض المطامع ويلجيء الأقوياء والمغرضين إلى المداورة وبذل الجهود في تلبيس الحق بالباطل وشراء الموافقة من هذا واتقاء المعارضة من ذاك وهي نتيجة تساوي الثمن الذي نتكلفه بالبقاء في هيئة الامم كما يبقى الآخرون وكثير منهم لا ينالون فيها أكثر مما ننال .

على ان المغرضين قد ينصفون وهم مكرهون .

لأنهم لا يتفقون دائماً على غرض واحد ويضطرون أحيانا إلى مساومات كثيرة للموازنة بين الأغراض المتناقضة وربما كان في أيدينا نحن بصوت واحد أو بضعة أصوات ان نرجح فريقاً على فريق وأن نأخذ حقنا ثمناً لهذا الترجيح .

ولقد كان قبول الدولة الملفقة التي تسمى بدولة إسرائيل آخر المساويء التي تحصى تباعاً على هيئة الأمم المتحدة .

فماذا نستفيد أو ماذا يحصل لو اننا اعتزلنا هيئة الامم احتجاجاً لهذا القبول .

إن احتجاجنا لا يلغي ذلك القرار وكل ما هنالك ان الجو في هيئة الامم يخلو للدولة الملفقة لتدعي ما تشاء ولا تسمع جوابا على ما تدعيه واننا نوفر لها الجهود

التي تبذلها حيناً بعد حين في سبيل مقاومتنا وإحباط الاعتراض من جانبنا وهي ذات مصلحة في توفير جهودها وصرفها جميعاً إلى الاضرار بنا ولكننا نحن لا مصلحة لنا على الاطلاق في ان نوفر لها تلك الجهود .

ومما يخشاه بعضهم أن يكون اشتراكنا في هيئة الأمم – مع قبول الدولة الملفقة فيها – بمثابة اعتراف منا بقيام تلك الدولة .

ولكنها خشية لا مسوغ لها من سوابق الهيئات الدولية فقد سبقت عصبة الامم فقبلت دولة في عداد أعضائها وبين هؤلاء الأعضاء من لا يعترف بها ولا يبادلها العلاقات السياسية . وقد حدث ان عصبة الامم قبلت روسيا بين أعضائها وظلت سويسرة التي تنعقد العصبة في بلادها غير معترفة بالحكومة الروسية او متفقة معها عى تبادل العلاقات السياسية وحدث مثل هذا في العلاقات بين روسيا وبلجيكا وهما مشتركتان معاً في هيئة دولية واحدة .

فقبول الدولة الملفقة في هيئة الامم لا يعتبره أحد بمثابة اعتراف منا بقيامها وإنما يحسب علينا الاعتراف إذا أقررناه برضانا وموافقتنا ولا يحسب علينا على وجه من الوجوه بغير ذلك الاقرار الصريح .

ان أظهر علامات العقل الضيق أو العقل المشلول انه لا يرى في الاشياء إلا حالة من حالتين :

شيء أبيض أو شيء اسود .

وقبول مطلق أو رفض مطلق .

وفائدة بغير ضرر اوضرر بغير فائدة !

وليس هذا من عمل عقل إنساني بل من عمل آلة تدور على وجهة واحدة فقط ولا نعرف طريقها إذا تعددت الوجهات أو اختلفت درجات الاتجاه .

ومن علامات النضج والتقدم اننا استفدنا كثيراً من تجارب السياسة العالمية واستطعنا ان نعرف مساويء هيئة الامم جميعاً ثم لاتدعونا المعرفة بها إلى مقاطعتها وإنكار وجودها .

انها لا تصل إلى الغاية حتى حين تقدر على الوصول اليها .

فلتكن لما شاءت أن تكون .

فنحن لا نخسر شيئاً إذا قلنا كما قال ذلك المغربي : «على قلبها لطيلون » .

بعض المفارقات (١)

(١)

المفارقة الاولى

في سنة ١٩٣٧ لم يكن على حدودنا الشرقية خطر نتقيه ولم يكن قد مضى عام على إبرام معاهدة المودة والولاء بيننا وبين بريطانيا العظمى ولم نكن قد ملكنا كل حريتنا في زيادة الجيش أو في تسليحه وتنظيمه لأن البعثة العسكرية كانت لا تزال حائلا قويا بيننا وبين التوسع في هذه الاغراض .

ولم تكن الحرب العالمية قد وقعت ولا كان الانجليز قد خرجوا منها محتجين علينا بضعف قوة الدفاغ الوطنية كلما طالبناهم بالجلاء .

ومع هذا كان صاحب الدولة اسماعيل صدقي باشا يلح على الحكومة القائمة بالاسراع في تقوية الجيش وتسليحه ثم يلح عليها بعرض التجنيد على المصريين — جميعاً بغير استثناء .

(٢)

المفارقة الثانية

وفي سنه ١٩٤٩ قام على حدودنا الشرقية شيء يسمى دولة إسرائيل .

ودولة إسرائيل هذه هي التي تعلن مطامعها في جميع البلاد العربيـــة وفي مقدمتها وادي النيل .

---

(١) الاساس ٣٠/٥/١٩٤٩ .

ولا تقصر الطمع على فلسطين .

وهي التي عرفنا من حربها مبلغ استعدادها لتنفيذ هذه المطامع بقوة السلاح فضلا عما وراءها من قوة المال .

وهي التي تعترف بها الدول الكبرى وتقبلها هيئة الامم بين اعضائها .

ولم يكن شيء من ذلك يهددنا سنة ١٩٣٧ .

ولكنه كله تهديد قائم سنة ١٩٤٩ .

اما في السنة الاولى فقد كنا في حاجة إلى استعداد وقوة دفاع و كنا في حاجة إلى تعميم التجنيد ..!

وأما في هذه السنة الاخيرة فلا حاجة بنا إلى هذا ولا ذاك .

لأن التكتل بين دول الشرق ودول الغرب – يغنينا عن هذا وذاك .

(٣)

المفارقة الثالثة

ولا يخفى ان عصابة صهيون – التي تسمى بدولة إسرائيل – تتمتع بالتأييد من الكتلتين .

تؤيدها الكتلة الشيوعية وتؤيدها الولايات المتحدة ولا تخذلها بريطانيا العظمى .

عندها الغاية القصوى من الانتفاع بسياسة التكتل سواء اتفقت الكتلتان أو وقعت بينهما الحرب او بقيتا على خلاف بغير حرب ولا اتفاق .

وعصابة صهيون في حاجة إلى مشروعات الانشاء والتعمير لأنها لا تزال بعد في دور الانشاء والتعمير .

وعصابة صهيون تحب المال ولا يتهمها احد بجهل قيمته والعبث بانفاقه في غير طائل .

ولكن عصابة صهيون تنفق الملايين في شراء السلاح ولا تعتمد على ولاء الكتلتين مجتمعتين بل هي تستعير وتقترض لشراء السلاح وعندها من الازمات المعضلة مايحوجها إلى المال الذي تستفيده من تلك القروض .

وكل شيء يمكن ان يقال عن هؤلاء القوم إلا انهم يجهلون فنون الاقتصاد أو

يعجزون عن السعي بين الكتلتين او يعجزون عن السعي بين الجيران والاقربين!!

(٤)

المفارقة الرابعة

على ان رجال الاقتصاد في العصر الحديث هم الذين يفهمون ان الجيش الذي يناسب قوة الامة ثروة وطنية وليس قصارى الامر فيه انه مجموعة من الجنود تصطف في ساحة القتال.

ففي وسعنا ان نستفيد من الجيش شيئاً كثيراً في محو الامية إذا اوجبنا تعلم القراءة والكتابة على المجندين.

وفي وسعنا ان نستفيد من الجيش شيئا كثيراً في تصحيح الابدان إذا عالجنا جنوده من الامراض المستوطنة التي تصيب الفلاح وغير الفلاح.

وفي وسعنا أن نستفيد من الجيش شيئا كثيراً في إحياء الصناعة لأن الجيوش لا تستغني عن ضروب شتى من الصناعات التي تنفع في المعسكرات وغير المعسكرات.

وفي وسعنا ان نستفيد من الجيش دروسا في المعيشة النظامية او تربية الناشئين على حب الواجب وخدمة الوطن واحترام القانون .. إذ لا توجد في الأمة بيئة تستفاد منها هذه الدروس ان لم يتعلمها الناشئون في ظل النظام.

وفي مصر اقطاب كبار من رجال المال والاقتصاد.

ولكن مصر كما قيل فيها قديما بلد المفارقات.

وهذه بعض ما فيها من المفارقات.

ودفاع اقتصادي (١)

من أحدث الاخبار عن فلسطين ان عصابة صهيون على اتصال بالحكومة الأردنية لإقامة محطات في الأردن لتوليد الكهرباء وزراعة البطاح التي تصلح للزراعة واستخراج المعادن من مناجمها المعروفة والبحث عن المناجم التي لا تزال مجهولة حتى الآن ومنها مناجم البترول والحديد .

والخبر على هذه الصورة حديث من ناحية واحدة وهي ان هذه المشروعات الاقتصادية توضع الآن موضع الاتفاق .

اما فيما عدا ذلك فالخبر من اقدم الاخبار التي أثرت عن عصابة صهيون منذ قيام أمرها بأرض فلسطين .

فان هذه المشروعات الاقتصادية من الخطط العلنية التي أذاعها الصهيونيون في أنحاء العالم واشترك في الدعوة اليها اناس يظهرون البعد عن العصبية الصهيونية ويوصفون بالاعتدال في مشايعة الحركة اليهودية على الإجمال .

ومن هؤلاء « هارولد لاسكي » الذي يسمونه دماغ حزب العمال الانجليزي ويجب من أجل ذلك ان يتجنب التورط في مظاهر العصبية الصهيونية جهد ما يستطيع لان انتماءه إلى حزب رسمي في البلاد الانجليزية يوجب عليه وعلى حزبه ان يقصي نفسه عن كل خطة تعرض حكومة العمال للشبهات وقد يكون اتقاؤه لهذه الشبهات مصلحة يهودية ينظر اليها قبل نظره إلى مصالح الاحزاب

---

(١) الاساس ١٥/٦/١٩٤٩ .

والحكومات في بلاد الانكليز .

هارولد لاسكي هذا هو الذي كتب منذ سنوات عن مستقبل فلسطين فقال: ان المشروعات الاقتصادية والعمرانية هناك يجب ان توضع من غير نظر إلى شيء يسمى الحدود بين فلسطين وشرق الاردن وان استغلال الأردن وصحراء النقب ومناجم المعادن فيها وحولها اول ما ينبغي الالتفات اليه من مشروعات الاقتصاد والتعمير في الارض الصهيونية !

فلا جديد في المشروعات التي اشارت اليها الأنباء البرقية لأنها اقدم ما احتواه البرنامج الصهيوني حتى في عهد الانتداب .

وانما الجديد انها تدخل الآن في دور الاتفاق ولا يبعد أنها قد اصبحت فعلا موضع اتفاق يتبعه التنفيذ السريع .

لا يبعد هذا لانه اقرب شيء يفكر فيه الصهيونيون في المرحلة الحاضرة وليس في التجارب القريبة ما يدل على عقبة جدية يمكن ان تحول بينهم وبين نجاح المساومة على تنفيذ ما فكروا فيه .

والمهم بالنسبة الينا ان الدفاع الاقتصادي لازم لنا كلزوم الدفاع العسكري الذي اجتمعت عليه آراء المفكرين في مصر لمدار حلين اثنين تدعوهما الاسباب لهما إلى الخروج على هذا الاجماع.

والدفاع العسكري عمل صريح لا مواربة فيه .

اما الدفاع الاقتصادي فهو العمل الذي قد تعوزه الصراحة ويحيط به اللبس ولا غنى فيه عن الحيطة والانتباه .

فالذين يعارضون الأستعداد يبدون آراءهم ويشرحون اسبابها كما يحبون ان يقنعوا بها غيرهم ثم تقف جهودهم عند هذه المعارضة سواء اجيبوا اليها او قوبلوا بالاعتراض .

اما المعارضة في الاستعداد الاقتصادي فقد تكون عملية واقعية في غير حاجة إلى إبداء آراء وشرح اسباب .

وقد تعلن لها في بعض الاحيان آراء واسباب ولكنها عند البحث في النتائج أهون ضروب المقاومة في هذا الميدان .

فالاموال الصهيونية — او اليهودية على الاقل — موجودة في البلاد المصرية .

والنفوذ الصهيوني – أو اليهودي على الاقل – في اسواق التجارة والمدافعة الاقتصادية اظهر من ان يخفيه القوم لو انهم حاولوا إخفاءه ولكنهم لا يحاولون.

والعلاقات بين بعض المصريين وبعض مجال تلك الاموال او مجال ذلك النفوذ متشابكة متشعبة تظهر حيناً وتختفي في بعض الاحيان .

وهذه العلاقات هي التي يجب ان نحسب حسابها ونتخذ الحيطة لها في دفاعنا الاقتصادي امام خطر صهيون ولا سبيل إلى اتخاذ الحيطة لها إلا إذا برح عنا الخفاء فعرفت الامة كيف تتصل هذه العلاقات واين يبلغ بها مدى الاتصال .

وهي على العموم مسألة عمل وواقع لا مسألة آراء واحاديث فلا يسقطها تفنيد الرأي وإبطال الحجة كما يسقطها أن تنكشف في وضح النهار .

وقد سمح البحث في الدفاع العسكري بمخالفة بعض الآراء لاجماع القائلين بضرورة هذا الدفاع وهي ولا شك مخالفة من اعجب المخالفات .

فليس بالمستغرب ان يتعرض دفاعنا الاقتصادي لمن يعارضونه مؤمنين بصواب هذه المعارضة او غير مؤمنين .

وكلاهما – من يؤمن بمعارضته ومن لا يؤمن بها – يستوجب منا الحيطة إذا اتفقت كلمتنا على لزوم الدفاع الاقتصادي كلزوم الدفاع العسكري وقد يكون الامر في الآونة الحاضرة اعجل والزم من ان يحتمل الإرجاء .

كيلان ظاهران [1]

قد يكيل الحكم بكيلين اثنين ، ويبدو من خفة اليد كأنه يحمل كيلا واحداً يكيل به للفريقين ، لأن المسألة قد تحتاج إلى اختلاف تفسير يتوقف على اختلاف التقدير . ولكن الكونت برنادوت – وسيط هيئة الأمم في قضية فلسطين – يحمل الكيلين معاً ظاهرين بارزين في كلتا يديه ، ولا تسعده خفة اليد باخفاء واحد منهما ، ولو كان الناظر اليه لا يحب أن يراه ، كما يفعل بعض الساسة من أنصار « إسرائيل » .

خذ لذلك مثلا انه يزج بدولة شرق الأردن في مسألة الخلاف بين العرب والصهيونيين . ويستبيح ذلك بحجة واحدة ، وهي انه يريد الرجوع بالحالة في فلسطين إلى بدء أيام الانتداب ، كأنه يتحرى الانصاف ويبدأ كما يقولون من البداية قبل اشتجار الدعاوى وتنازع الحقوق. فاذا كان الرجوع إلى بدء الانتداب واجباً فلماذا لم يرجع إلى ذلك التاريخ فيما يتعلق بحالة اليهود ؟

في سنة ١٩٢٢ لم يكن عدد اليهود في جميع أنحاء فلسطين من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب يتجاوز خمسة وثمانين ألفاً على أكبر تقدير . ولم تكن لليهود مستعمرة واحدة من هذه المستعمرات التي اشتروها بالضغط والاغراء . ولم تكن تل أبيب – عاصمة الدولة المزعومة – غير ضاحية صغيرة من ضواحي مدينة يافا يسكنها على الاغلب بضعة آلاف من أعيان اليهود اليافيين .

---

(١) الاساس ١٩٤٩/٧/٧ .

فلماذا لا يرجع الوسيط إلى هذه الحالة عند الموازنة بين الحصص والحقوق ؟ ولماذا يبطل استقلال شرق الأردن بجرة قلم واحدة ولا تبطل هذه الزيادات الطارئة ولا تدخل في الحساب ؟

ويسوي الوسيط الدولي بين العرب واليهود في مسألة الهجرة ، فهل هناك مسألتان للهجرة في قضية فلسطين ؟ هناك مشكلة واحدة للهجرة في فلسطين ، وهي هجرة اليهود اليها من أقطار الأرض الأربعة لانتزاع ديارها بالسلاح أو بالمال . وليس للعرب هجرة إلى فلسطين . وإذا هاجرت اليها اسرة عربية أو رجل عربي فهو لا يجور على أحد من غير العرب في مقام ولا معاش ، إن صح انه يجور .

فاذا منعت الهجرة بتاتا لم يخسر العرب شيئاً . وإذا ابيحت الهجرة إطلاقاً لم يربح العرب شيئاً . فما معنى التسوية بين العرب واليهود في مسألة الهجرة ، وهي مسألة واحدة لا يطلبها احد غير الصهيونيين ولا تنفع أحداً غير هؤلاء الصهيونيين .



والكيلان في يد الوسيط ظاهران في المبدأ الذي يختاره للتوزيع والتقسيم حيث يشاء وكيفما يشاء . فهو تارة يختار التوزيع على مبدأ الأرض وينظر إلى البلاد الفلسطينية كأنها رقعة واحدة من الارض لا تمييز فيها بين مكان ومكان . وهو تارة يختار التوزيع على مبدأ السكان ، فيقرر ان تقسيم الأرض لا يتأتى بغير نظر إلى المقيمين فيها .

وهو يأخذ بهذا المبدأ أو بذاك حين يكون كلا المبدأين في مصلحة الصهيونيين فالشواطيء ليست إلا بقعة من الأرض يحتلها اليهود شعبياً أو حكومياً في النظام الجديد . وتنزع من العرب إذا كانوا مقيمين فيها كما تنزع أرض يافا وما جاورها. أما القدس فمبدأ السكان هو المبدأ الملحوظ في نظامها الجديد . لأنها تخلو من مقدسات لليهود . مع ان هذه المقدسات بقيت لليهود منذ عهد سليمان ، ولم يكن بيت المقدس في هذا الزمن كله مستقلا أو تابعاً لدولة صهيونية أو دولة يسمع فيها صوت للصهيونيين .

* * *

إن المشكلة كلها مشكلة المكيالين . فهي إذا كيلت بمكيال واحد لا تعضل على برنادوت ولا من هو أقل منه في الخبرة بفن التحكيم . أما إذا كيلت بمكيالين فهي أعضل المعضلات على برنادوت وهيئته ، وأعضلها على هيئة الأمم مجتمعات.

والذي يحدث الآن أننا نرى المكيالين ظاهرين بارزين في قبول الدعوى فضلا عن قبول الأسانيد . فدعوى الصهيونيين انهم يستحقون أرض فلسطين لأن الملك سليمان كان يتولى جانباً منها قبل تسعة وعشرين قرنا . وهي دعوى إن صحت لم تقبل اليوم من أحد قط في أرجاء العالم غير الصهيونيين ، فقبولها منهم أولا هو قبول الكيل بمكيالين . على انها ليست بالدعوى الرابحة من الوجهة التاريخية ، لأن العرب الكنعانيين كانوا هنالك قبل عهد سليمان ، بل قبل عهد موسى ، بل قبل عهد ابراهيم ، وقد كان فيها المصريون قبل هؤلاء أجمعين .

إنما الكيل بمكيال واحد هو الكيل بالمكيال الذي يؤخذ به في كل مكان ، وهو حق الشعب في وطنه الذي يقيم فيه . وحق الشعب في وطنه يقضي بفلسطين للعرب ، ويشهد لهم بالكرم والتسامح إذا قبلوا من أقام في وطنهم حديثاً من الصهيونيين الغرباء .

وللعرب حق ان ينكروا الكيل بمكيالين . ولهم حق أن يطلبوا الكيل بمكيال واحد .

وليحمل هذا المكيال من شاء ، فانهم لعلى يقين انهم يظفرون منه بأوفى الحقوق .

مستقبل الجامعة العربية (١)

من أحسن ما قيل عن ضمان النجاح للجامعة العربية ان تكون جامعة شعوب تعنى بالمصالح الشعبية المختلفة بين البلاد العربية، ولا تعلق هذه المصالح باختلاف الحكومات او اختلاف الوزارات .

سمعنا كلاماً في هذا المعنى من صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود عند زيارته لمصر قبل بضع سنوات ، وتقررت هذه الحقيقة ثم ترددت في خطاب صاحب المقام الرفيع رئيس الوزارة المصرية الذي ألقاه امس الاول في افتتاح دورة الجامعة حيث قال إننا « ننتظر نفعاً جزيلا من الجامعة التي لم تؤلف ولم تبذل المجهودات المضنية في سبيلها إلا لتكون ادق معبر عن رغبات شعوبها وترجمان صدق لما يتردد في حناياها ... وان يكون رائدها مصلحة البلاد العربية لا أية مصلحة اجنبية سواها » .

هذا هو الأساس الذي ينبغي ان يقوم عليه بناء الجامعة العربية ، فاذا قام البناء على هذا الأساس فخير ضمان لسلامته واستقراره ان نستفيد من التجارب وان نواجه الحقائق بالصراحة التي لا تقبل المواربة والغموض .

ان العلاقات التي لا تحتمل الصراحة لا تحتمل البقاء ولا تقوى على مواجهة الحوادث والأخطار . ولهذا نود ان تكون الصراحة تامة عامة ، في المراحل المهمة على الخصوص من حياة الجامعة .

---

(١) الاساس ٢٧ مارس ١٩٥٠

وأول ما نلتزمه من هذه الصراحة ان نلاحظ هناشيئاً من التناقض في كلام رئيس الوزارة المصرية الذي أشرنا اليه ، فانه يبدأ بأن يقول انــه « لو كانت الشجاعة متوفرة والصراحة متمكنة من النفوس ، لتلافت الجامعة كثيراً من المشاكل التي وقعت فيها ولتجنبت عديداً من الورطات التي اساءت إساءة بالغة إلى سمعتها ، ولا اقول كادت تقوض بنيانها » .

يبدأ بأن يقول هذا ثم يعقب بان يقول : « لست هنا بصدد سرد تفصيلات بعينها أو ذكر وقائع مفصلة . فكل هذا سيظهر في الأعمال التي نقوم بها،ولكني أكتفي بالتلميح دون التصريح».

فهل يدعو إلى الصراحة ثم يكتفي بعد سطور بالتلميح دون التصريح ؟ ام أن مقامه الرفيع قد اراد « الايجاز دون التفصيل » فقال : « بالتلميح دون التصريح ؟ » .

ايا كان ما أراده صاحب المقام الرفيع فنحن هنا نريد الصراحة بغير تلعثم ولا مصانعة ، فنقول ان تجارب الجامعة قد اثبتت انها وسيلة صالحة للتوفيق بين اعضائها في بعض المشكلات الاقتصادية ، واثبتت كذلك انها وسيلة نافعة للتساند بين اعضائها في الهيئات الدولية ، وانها تعمل في هذه الحــدود فتفيد وتستحق البقاء ، وربما كان من فوائدها في الدورة الحاضرة انها تزيل ما طرأ من الخلاف بين جارتين صديقتين هما سورية ولبنان ، وانها تحدد الموقف الذي يقفه كل عضو من اعضائها في مسألة فلسطين ومسألة العلاقة بين الأمم العربيــة والصهيونية ، وليس هذا بالشيء القليل إذا نظرنا اليه ونظرنا إلى الضرر الذي ينشأ من فقدان الوسيلة إلى تحقيقه .

ولكن هل يتأتى – بعد تجربة المعارك الفلسطينية – ان نتجاوز بعلاقــات الجامعة هذه الحدود ؟ .

إن الصراحة توجب علينا ان نقول إن موقف الجيش المصري منفرداً وحده في الميدان امام العصابة الصهيونية واعوانها الدوليين في الجهر والخفاء موقف لا يجسر على تكريره سياسي مصري يعرف لمنصبه ذمة ولوطنه حقــاً ولأرواح الابناء والاخوان قداسة تصان.

إن الصراحة توجب علينا ان نقول هذا وان نقول معه ان الحقائق التي برزت للعيان في العهد الأخير قد القت دروسها الصارمة على من يخلطون بين الحزبية والقومية في مآزق الخطر وعلاقات مصر بالسياسة الدولية . فقد لجت ببعضنا صغائر الحزبية فزعموا ان شرق الأردن لم يلتزم الحيدة في معارك فلسطين الاخيرة ، ولم يترك الجيش المصري منفرداً في الميدان إلا لأنه لم يعرف من الحكومة المصرية نبأ الهجوم الصهيوني على جيش مصر بجوار الحدود الاردنية ، ولم يتلق طلب النجدة من الحكومة المصرية بعد ذلك الهجوم !

زعموا ذلك فكانت غرابة ما زعموه وحدها كافية لاسقاط هذه السخافة في اعتبار العقلاء ومن يميزون الوقائع ولو بعض التمييز . ولكن الامر لم يقتصر على غرابة الزعم وسخافة الادعاء ، بل تواترت الانباء بعد ذلك بالنبأ الصحيح عن تلك الحيدة المتعمدة في أحرج مآزق القتال ، فاذا هي نتيجة خطة مدبرة وقرار متفق عليه ، وإذا بالوزارة المصرية لم تقصر في التبليغ ولم يكن للتبليغ ضرورة على الاطلاق لو انه لم يحدث كما قيل .

اليس هذا من الصراحة الواجبة ؟ اليس هذا مما ينبغي ان يقال وان يعرف وان يحسب له في الغد كل حساب ؟

هذه هي الصراحة التي تجب علينا بيننا وبين أنفسنا ، وهذه هي الصراحة التي يجب على البلاد العربية ان تواجه بها الحقائق في ضوء النهار ، وهذه هي الصراحة التي تتفق مع سياسة الشعوب ولا تبالي شيئاً بما يجري وراء الستار في جنح الظلام .

ويجمل ما يقال في صراحة لا لبس فيها ولا مواربة ان الجامعة العربية اداة نافعة في العلاقات بين اعضائها وفي العلاقات بينها وبين الهيئات الدولية ، ولكن التجربة القريبة — تجربة المعارك الفلسطينية — لا تسمح لسياسي مصري ان يجاوز بها هذه الحدود إلى تكرار الخطر الذي واجهناه ولا يصح ان نواجه تكراره في الغد على اية صورة وعلى اي احتمال .

عاصمة العالم العربي

أهي لندن ؟[1]

كان موقف شرق الاردن من الامم العربية حديث الناس في الشهور الاخيرة وكان انتقاد هذا الموقف موضع الإجماع الذي لم نعرف إجماعاً مثله في مسألة من المسائل التي تهم البلاد العربية .

وخلاصة هذا الموقف ان شرق الاردن ينفرد في سياســة فلسطين بحلول وعلاقات تناقض ما اتفقت عليه الدول العربية ، وانه كان على اتصال بالصهيونيين في اثناء القتال وبعد القتال ، وكانت العلاقة بينه وبين اسرائيل – على الجملة – اقرب واوثق من العلاقات بينه وبين امم العرب جمعاء ، وبخاصة اقربها اليه .

وزاد على ذلك فقاطع مجلس الجامعة وشن على اعضائها حملة لسانية اوقلمية ، تارة في اذاعته وتارة في الصحف التي تكتب ما يمليه عليها .

وقيل ان مجلس الجامعة سيتخذ بعض القرارات في هذا الموقف ، وتردد هنا وهناك ان فصل هذا العضو النافر من الجامعة كان في مقدمة القرارات التي اتجهت اليها الافكار .

وقيل من الجانب الآخر ان شرق الاردن يصر على تجاهل الجامعة والتمادي في خطة الشذوذ والانفراد التي سار عليها ولا يزال يسير عليها حتى الآن .

---

(١) الاساس ٣ ابريل ١٩٥٠

ثم حدثت مقابلات بين اناس من كبار الموظفين السياسيين الانجليز وبين وزرائنا المسئولين ، وحدثت مقابلات كهذه في شرق الاردن على ما يقال ، فاذا بالموقف كله يتغير في يوم او يومين .

عدلت الجامعة وعدل شرق الاردن ، وعرف الناس جميعاً ان المقابلات التي حدثت كان لها شأن في هذا العدول . وقد يكون لهذا العدول سبب من الاسباب يقنع الساسة الذين جنحوا اليه ، ولكننا لا نخطيء التعبير عن رأي احد من العرب إذا قلنا ان اسباب العدول ينبغي ان تكون من تفكيرنا نحن لا من تفكير الحكومة الانجليزية ، وهي على الخصوص حكومة قد اعترفت باسرائيل ولم تعترف بعد بشيء يسمى الجامعة العربية في المجامع الدولية .

يحق لنا إذن ان نسأل : هل اصبحت لندن عاصمة العالم العربي التي تفرض مشيئتها او مشورتها — على الموافقين والمخالفين ؟ وهل سلطانها علينا كسلطانها على شرق الاردن المعلوم ؟ وهل نحن اهون شأناً من اسرائيل التي لم تستطع الحكومة الانجليزية ان تقنعها حتى الساعة بخطة من الخطط او رأي من الآراء؟

نخشى ان نقول ان الامر يوشك ان ينجلي عما هو أسوأ من هذا بكثير ، فقد يكون الغرض من الوساطة الاجنبية ان نتبع نحن شرق الاردن في خطته مع إسرائيل . وقد كانت الغضبة كلها لتحويل شرق الأردن عن تلك الخطة وحمله على اتباع السياسة التي رسمتها الجامعة العربية بالاتفاق فيما بينها .

فبحق يكون شرق الاردن إذن زعيم العرب ورائد السياسة العربية ، ويكون من هم الوسطاء بعد الآن ان يحركوا شرق الاردن قبلنا ثم يحركونا بعده ، فلا نرفض الحراك !

ونعود فنقول ان الآراء قد تختلف في علاقاتنا بعصابات الصهيونيين ، ولكن الذي لا خلاف عليه هو اننا نتخذ موقفنا منها برأينا وعلى حسب مصالحنا ، ولا نتخذه برأي لندن او واشنطون ، وعلى حسب المصالح التي يفرضها الانجليز او الامريكيون .

وإذا كانت للجامعة العربية فضيلة توجب بقاءها فهو التعاون على ازدياد نصيب الاعضاء الداخلين فيها من الاستقلال ومواجهة السيطرة الاجنبية ، فليس

باللائق ولا بالمعقول ان يدفعنا الحرص على بقائها الى قبول السيطرة من هذا او ذاك .

إننا لا نصدق أن الحكومة الانجليزية هددت حكومة مصر بالاحجام عن المفاوضة إذا هي لم تقبل نصيحتها في مسألة شرق الأردن وإسرائيل . ولكننا نصدق ان حكومتنا لم تكسب شيئاً في موضوع المفاوضات بالاصغاء إلى الوساطة الانجليزية ، لأن أحاديث « المسئولين » في هذا الموضوع تدل على موقف الطلب والمحاولة والتراجع من القول الصريح إلى الأقوال التي تقبل التأويل .

وآخر ما سمعناه من هذا القبيل حديث رئيس الوزراء في إذاعة باريس حيث يقول : « ليس لنا أن نقعد عن واجبنا الوطني المقدس وهو أن تكون مصر بحدودها الطبيعية المعترف بها وحرياتها التي استردتها بدماء أبنائها بلداً ذا سيادة شاملة كاملة » .

فأين عبارة « مصر بحدودها الطبيعية » من عبارة الجلاء العاجل عن الوادي بشطريه !

لقد سئل رئيس الوزراء بعد ذلك عن مسألة السودان فقال : « إن ردي على السؤال السابق هو ردي على هذا السؤال » ... ثم قال « إن مصر حريصة أبداً على قيام وحدة وادي النيل تحت تاج الملك فاروق إلى جانب المباديء الديمقراطية الصحيحة » .

فكأنه لا يزيد شيئاً على ما جاء في مشروع المعاهدة التي وقع الخلاف عليها ، وكأن حزب الوفد أعنف المخالفين .

ومن تعزية النفس بالأباطيل أن يقال ان « بيفن » تقرب إلى مصر بقوله في مجلس النواب البريطاني « انها كانت في حدود حقها عندما منعت سفن البترول من عبور قناة السويس ، فان « بيفن » قد شفع ذلك علانية بمساومة إسرائيل على مجاراة السياسة الانجليزية قبل انتظار التشدد من جانبها في حل مسألة البترول وعبور السفن التي تحمله إلى حيفا من قناة السويس .

فالمقصود هنا هو إرغام إسرائيل على التعقل والاذعان ، وليس المقصود هو

التقرب من مصر أو الحكومة المصرية ، فلا تزال الحكومة المصرية تطرق الباب وتتسمع الجواب ، وقد كان حزبها قبل اليوم يحرم دخول المفاوضات إذا دعينا اليها ، فضلا عن تكرار الدعوة من جانبنا بأسلوب بعد اسلوب .

إن التراجع في مسألة شرق الأردن وإسرائيل ظاهر بعد الوساطة الانجليزية ولكن الأمر الذي خفي على الجميع هو الفائدة من هذا التراجع في موقفنا أمام إسرائيل أو أمام الحكومة الانجليزية ، فلا يظهر لنا اننا قد كسبنا شيئاً من هذين الموقفين .

بحمد الله نحن وشرق الأردن سواء (1)

لو عهد إلي أن أكتب تعريفاً للديمقراطية في قاموس من قواميس السياسة باللغة الانجليزيه لأديت معناها أصدق الأداء إذا عرفتها بما يأتي :

الديمقراطية في انجلترا هي تحقيق مشيئة الأمة الانجليزية ، والديمقراطية في خارج إنجلترا هي تحقيق مشيئة الحكومة الانجليزية ، فكل انتخاب يجري خارج انجلترا فميزان صحته انه يضمن تنفيذ السياسة البريطانية كما تريدها حكومة لندن ، ولا عبرة بما يريده أبناء البلاد التي جرى فيها الانتخاب .

هذا هو التعريف الصادق الذي ينبغي أن يتضمنه قاموس السياسة باللغة الانجليزية حين يتناول كلمة الديمقراطية ، وليس في وسع أحد أن ينقض هذا التعريف بتجربة واحدة من تجارب الحوادث في مدى عشرين أو ثلاثين سنة ، أي منذ سلم الانجليز للامم الشرقية بحق الانتخاب .

* * *

نعرف الآن من سلسلة الأخبار والتصريحات التي تصدر من جانب الساسة الانجليز أو الصحافة الانجليزية انهم يريدون من الأمم العربية :

« أولا » أن تعقد الصلح مع إسرائيل بشروط إسرائيل .

و « ثانياً » ان تبقي على علاقاتها بشرق الأردن .

---

(1) الاساس ١٧/٤/١٩٤٠

و « ثالثاً » ان تقبل ما تطلبه شرق الأردن من ضم فلسطين العربية اليها .

ولا يشك أحد في أن هذه الخطة هي خطة الحكومة البريطانية ، وانها تطلب تنفيذها لمصلحتها هي لا لمصلحة العرب ولا لمصلحة شرق الأردن ، ولا لمصلحة إسرائيل .

* * *

وبالأمس تكتب « التيمس » مقالا من تلك المقالات الموعز بها تنعى فيه على العرب انهم يحترمون قرار هيئة الأمم المتحدة ويطالبونها باحترامه وتنفيذه وتقول ما معناه ان أوان احترام هـذا القرار قد فات ، وان انتخابات شرق الأردن أحق وأولى بالاحترام في هذه الأيام .

قالت الصحيفة الكبيرة بكل ثقة ، وبغير ذرة من الحياء ، إن الجـامعة العربية لا تواجه الحقائق ، ويدل على مجافاتها للواقع « ذلك الاقتراح الذي ينص على ان اتفاق جميع دولها مع إسرائيل يجب ان يتم على أساس مشروع التقسيم الذي أقرته هيئة الأمم المتحدة في سنة ١٩٤٧ ، فان أوان قيام دولة عربية قد فات وإن كان هذا يدعو إلى أسف الكثيرين ، ثم ان الانتخابات التي جرت أخيراً في شرق الأردن تدل على أن الأغلبية الساحقة من عرب فلسطين تقبل المـلك عبد الله ملكاً عليها » .

فمواجهة الحقائق إذن في عرف السياسة الانجليزية هي اعتبار هيـئة الأمم المتحدة وهماً من الأوهام ، وإعطاء القدوة لمن يشاء في الاستخفاف بها والاجتراء على تحديها ومخالفتها ، وتسليم زمام العالم وسياسته لمن يركب رأسه ويقترف جرائم العدوان ثم يقول لمن يحترمون الحق ويدينون بالقانون : هذه هي الحقائق فواجهوها ولا تحفلوا بهيئات الأمم وما تصدره من قرارات ، فانكم إن حفلتم بها وكففتم عن العدوان والشغب واهمون غافلون .

وكل هذا تنادي به السياسة البريطانية اليوم لأنه يحقق لها مطامعها في الشرق الأدنى .

ولكننا ينبغي أن نجهل هذه المطامع وان نعلم ان « انتخابات شرق الأردن» هي التي توحي الينا ان الحق والمصلحة فيما يريده الانجليز .

* * *

والحمد لله ، قد أصبحنا وشرق الأردن سواء في مزايا الانتخاب . فقد جرى الانتخاب في مصر قبل بضعة شهور ، وقال القائلون هنا وهناك انه لا بد ان يسفر عن اغلبية ، وان هذه الأغلبية قادرة على إبرام الاتفاق مع الانجليز !

ثم خاف رئيس الأغلبية المنتظرة أن تخذله النتيجة فأعلن انه لا يفاوض الانجليز ولا يتفق معهم إذا فاتته الأغلبية الموعودة . فلما جاءت الأغلبية الموعودة كانت عند الانجليز علامة لصحة الانتخاب ، وكانت مزية هذا الانتخاب الصحيح عندهم انه يمكن الناجحين من قبول المطالب الانجليزية .

تماماً كما حصل بعد ذلك في شرق الأردن !

فمعنى الانتخابات في مصر ان تسفر عن تنفيذ المطالب البريطانية ، وليس معناها أن تسفر عن تحقيق مطالب المصريين. ومعنى الانتخابات في شرق الاردن أن تفرض الخطط البريطانية على جميع أمم العرب ، فيقبلون الصلح مع إسرائيل بشروط إسرائيل ، ويتحولون هم إلى سياسة شرق الإردن بدلا من تحويل شرق الأردن إلى سياستهم مجتمعين !

وماذا بقي بعد هذا من فصول الرواية ؟

بقيت انتخابات اخرى في السودان ، وبقي ان تعرب هذه الانتخابات عن مشيئة الانجليز في السودان بنصها وحرفها وبغير تعديل كثير او قليل في مدلولها .

فمن الواجب في جميع الانتخابات الشرقية ألا تسفر عن شيء غير إعلان الخطط الانجليزية وتوكيد المطالب الانجليزية . وإلا فهي انتخابات « أقليات » لا يعول عليها !

رحم الله الشهيد الكريم حين قال لمراسل التيمس : « ان البلية معكم ايها الانجليز انكم تحسبون ان المصري الوطني هو الذي يعمل في السياسة المصرية عمل الانجليز ! » .

ونحن لا نخطو وراء هذه الحقيقة خطوة واحدة اذا اضفنا اليها انها بلية توجب على كل انتخاب في الشرق ان يسفر عن مشيئة دوننج ستريت ! والا فهو انتخاب « الأقليات » التي لا تمثل المصريين ولا العرب ، ولا تجري على سنة الديمقراطية « الصالحة للتصدير » الى البلاد الشرقية !

من عجائب التفسير

أو من ذكريات التاريخ ، ومن عظات الواقع . .![1]

(١) من عجائب التفسير

ابو جعفر محمد بن جرير الطبري عمدة المفسرين والمؤرخين ، نشأ في القرن الثالث للهجرة وكتب تفسيره المسمى بجامع البيان في تفسير القرآن ، وقال جلال الدين السيوطي « انه اجل التفاسير واعظمها » .

والحق ان هذا التفسير الجليل يشتمل على عجائب من الانباء والنبوءات لا ندري كيف نعللها ، ولكننا نورد مثلا منها ننقله بحرفه كما جاء في الصفحة الخامسة من الجزء الثالث والعشرين ، وهو كما يلي بعد عنعنة الرواية من احمد بن زهير الى حذيفة بن اليمان : « جاء رجل الى ابن عباس فقال له — وعنده حذيفة ابن اليمان — اخبرني عن تفسير قول الله : حم عسق . قال فأطرق ثم اعرض عنه ثم كرر مقالته فأعرض فلم يجبه شيئاً ، فقال له حذيفة : انا انبئك بها . قد عرفت بم كرهها . نزلت في رجل من اهل بيته يقال له عبد الإله او عبد الله ، ينزل على نهر من انهار المشرق ، تبنى عليه مدينتان ، يشق النهر بينهما شقاً ، فاذا أذن الله في زوال ملكهم وانقطاع دولتهم ومدتهم بعث الله على احداهما ناراً ليلا فتصبح سوداء مظلمة قد احترقت كأنها لم تكن مكانها وتصبح صاحبتها

(١) الاساس ١/٥/١٩٥٠ .

متعجبة كيف افلتت ، فما هو الا بياض يومها حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد منهم ، ثم يخسف الله بها وبهم جميعاً ... » .

كنا نراجع حديث هذه النبوءة العجيبة في رهط من الأدباء والفضلاء ، فتعجبوا من حديث الضفة الغربية والضفة الشرقية على النهر المشاراليه ،وتعجبوا من حديث المدينة التي احترقت على احدى ضفتيه والمدينة التي تنظر اليها من الضفة الاخرى ، وأجمعوا على ان النبوءة كلها عجب في عجب ، وسألوا الله السلامة لأهل السلامة ، حيثما كانت البقعة المقصودة والنهر المقصود .

(٢) ومن ذكريات التاريخ

اما ذكريات التاريخ فعند اسرائيل نبأ منها حيث اقاموا اليوم ، وحيث يرجون ان يقيموا ... بعد حين قريب !

يقولون ان موسى عليه السلام قدمات ودفن بالقاع الجنوبي من شرق الأردن ، بعد الخروج من سيناء الى فلسطين !

ويقولون ان داود عليه السلام قد ألحق تلك البلاد ببيت المقدس ، بعد ان خضع له المؤابيون والعمونيون .

ويقولون ان بيت المقدس وما جاوره هو مملكة يهوذا القديمة التي يريدون ان يجددوها اليوم ، بعد تجديدهم لمملكة اسرائيل !

ويقولون ان ابن ملتهم هيرود كان ملكاً على يهوذا وكانت الدولة الرومانية تحالفه على اعترافها بملكه واعترافه بملكها ، الى ما بعد الميلاد .

ثم يزحفون زحفاً شديداً الى العصر الحديث فيقولون ان فصل شرق الاردن عن فلسطين في جملتها خيانة لأمانة الانتداب ، فان مؤتمر « سان ريمو » قد سلم فلسطين كلها للوصاية البريطانية في سنة ١٩٢٠ ، فليس من حق بريطانيا العظمى بعد سنة واحدة ان تسلخ منها شرق الاردن لتقيم عليها من تشاء .

ومعنى ذلك انهم يطلبون شرق الاردن لأنفسهم بحق الميراث المزعوم ، وبحق الانتداب المنقوض . يطلبون شرق الاردن باسم مملكة يهوذا ، ويطلبونها مرة اخرى بمراجعة وصايا الانتداب . ولذلك ينكرون تدويل القدس ولا يقنعون بما دون الدولة التي يزعمون انها شملت فلسطين كلها ، من اقصى مملكة

اسرائيل في الشمال الى اقصى مملكة يهوذا في الجنوب .

الى اين ؟ الى قبر موسى عليه السلام !

فهل ظلم القوم شرق الاردن في هذا الحساب وفي هذه المقاضاة ؟ الجواب في نيويورك ، وقد يكون غداً في لندن ، وقد يكون بعد غد في عواصم اخرى . ثم يجتمع كل جبار عنيد ، ويخسف الله بها وبهم اجمعين .

(٣) ومن عظات الواقع

اما عظات الواقع فما انتهت بعد حتى نفرغ من تسجيلها والاعتبار بمواعظها.

لقد كان منا اناس يتهمون مصر اذ خذلتنا شرق الاردن في ميادين فلسطين. فلعلهم اليوم يردون شرق الاردن من خذلان مصر الى تأييدها ، ولعلهم يبلغون مبلغ العذر والشفاعة امام شرق الاردن وامام اسرائيل وامام الانجليز وامام الامريكيين . فقد اختلط الحابل بالنابل فلا فرق بين اغضاب واحد من هؤلاء واغضاب الجميع .

يا لها من اعجوبة دهرية مصرية لا ندري هل فسرها ابن جرير او تركها بتفسيره احوج ما تكون الى التفسير .

نهاية أسطورة [1]

موضوع الخطاب التعقيب على كلامنا في مقال الاسبوع الماضي [2] عن ادعاء بعض الامم لعظماء الامم الاخرى .

وكاتب الخطاب يهودي او شيوعي او هما معاً . لانه يقول ان كثرة العظماء المنسوبين الى اسرائيل دليل علـى ان اسرائيل « ممتازة بالذكاء والنبوغ » وان الامم تبغض اليهود حسداً لهم واعترافاً برجحانهم . وان اليهود يردون علـى البغض بمثله فيدخلون في كل عقيدة تؤدي الى قلب نظام العالم ، ومنها (العقيدة الشيوعية) الى آخر ما هنالك من اشباه هذه الدعاوى وهذه المعاذير .

والاسطورة التي نعنيها بعنوان هذا المقال هي هذه الاسطورة التي يتقبلها بعض الناس بغير نظر ولا مناقشة . وهي ان الامة اليهودية ممتازة بالذكاء الخارق وان نوابغ اليهود اكثر عدداً من نوابغ الاقوام الآخرين . فهذه اسطورة لا سند لها من الواقع ولا من حساب الارقام . لأن اليهود في الوقت الحاضر يقاربون ستة عشر مليونا في أنحاء العالم . ونسبة نوابغهم في العالم بأسره لا تزيد على نسبة النوابغ الحاضرين أو التاريخيين في أية أمة متحضرة يقارب أبناؤها ستة عشر مليونا من النفوس . ويد صاحب الخطاب والقلم والقرطاس وأرقام العشرات والمئـات

---

(١) الاساس ١ سبتمبر ١٩٥٠ .

(٢) هو مقال عن كتاب « كارثة القرم الاسلامية » ٢٥–٨–١٩٥٠ .

والألوف ، فليحسب وليقارن ولينظر إلى النتيجة يتحقق من بطـــلان دعوى النبوغ الخارق في الشعب اليهودي على صفة خاصة بين سائر الشعوب ، بل يتحقق من الفارق الكبير بين الشعب اليهودي وغيره في ثبوت فضلهم على النابغين منهم في العصر الحاضر أو فيما تقدم من عصور التاريخ . فان فضل النابغ المصري راجع إلى الأمة المصرية . وفضل النابغ الايطالي راجع إلى الأمة الايطالية . وكذلك فضل النوابغ من الفرنسيين أو الانجليز او الروس أو الجرمان . فهم جميـــعاً يتزودون فضلهم من البيئة القومية التي نشأوا فيها وأخذوا من ثقافتها وحضارتها ونظم التعليم المهيأة لجميع أبنائها . أما اليهودي الذي ينبغ في ألمانيا أو فرنسا أو أمريكا فهو متزود من ثقافات هذه الأمم ، مستفيد من ارتقاء طبقة التعليم فيها فمن الواجب على هذا أن يكون عدد النابغين الاسرائيليين أضعاف عدد النابغين بين سائر الأقوام العاملين على إنشاء تلك الثقافات .

أما إذا نظرنا إلى النجاح في عالم المال فلا امتياز فيه لليهود على طائفة اخرى تنتفع بالفرصة التي ينتفعون بها . وشاهدنا على ذلك عدد الأثرياء في مصر بـــين طوائف الأرمن والاغريق وأمثالهم من أمم البحر الأبيض المتوسط . فانهم قد يزيدون على أثرياء اليهود أو يساوونهم في العدد . وقد يزيدون عليهم كذلك أو يساوونهم في مقدار الثراء وتنوع مصادر الاثراء . فبينما يكسب الاغريقي مـــن التجارة والزراعة والسمسرة يظل اليهودي عاكفاً على السوق المالية لا يتعداها إلى غيرها من أعمال الانتاج والتثمير . وقلما يرجع نجاح الاغريقي أو الأرمني إلى تضامن بينه وبين أبناء جلدته في السوق المصرية أو الاسواق العالمية كما يرجع نجاح اليهود الذين يزاحمونه في هذه الاسواق . فاذا وضعنا هذا « التضامن العالمي » في كفة الميزان ففضل اليهودي دون فضل الارمني والاغريقي في المزايا الشخصية التي حققت له أسباب النجاح .

ولا يخفى ان اليهود منبثون بين أرجاء الكرة الارضية ، وانهـــم يتعاونون داخلا وخارجاً على احتكار الاسواق حيثما استطاعوا أن يحتكروها بالحول أو بالحيلة . فاذا نجح أحدهم فلا حاجة به إلى مثل المزايا الشخصية التي يعتمد عليها مزاحمه في الميدان . وقد يعزى النجاح في الميادين الأدبية والفكرية إلى هـــذه

الرابطة العالمية التي خلقها تفرق اليهود بين امم الحضارة باختيارهم لا على الكره منهم.
ولولا هذا التعاون اليهودي العالمي ما كان اميل لودفيج وأندريه موروا إلا كغيرهم من زملائهم كتاب الالمان والفرنسيين في العصر الذي نشأوا فيه .

على أنه من السخف الواضح أن ينسب اضطهاد اليهود إلى حسد الناس لهم على الذكاء والنبوغ . فان اليهود قد أصابهم الاضطهاد من اقدم العصور وبين جميع الاقوام. فقد خرجوا قديماً او اخرجوا من الجزيرة العربية . وخرجوا أو أخرجوا من بلاد ما بين النهرين . وخرجوا أو اخرجوا من أرض كنعان ، ثم خرجوا أو أخرجوا من وادي النيل . ثم تفرقوا في الاقطار الاوروبية فأصابهم الاضطهاد ، حيث اقاموا من تلك الاقطار . لا فرق بين التيوتون واللاتين والسلافيين واهل الشمال واهل الجنوب . فمن السخف المطبق ان يعزى اضطهادهم إلى عيب في جميع هذه الامم ولا يعزى إلى عيب فيهم . ومن اللغو ان يقال انهم هم دون غيرهم الاذكياء المحسودون على الذكاء من اقدم العصور وبين جميع الاقوام .

وإنما الصواب ان نبحث عن علة الاجماع على اضطهاد اليهود في احوال اليهود أنفسهم . فانهم هم العلة فيما يستثيرونه عليهم من البغضاء بغير خلاف .

ما هي هذه العلة ؟

هي « اولا » عزلتهم بالنسب والعصبية القومية . وهي « ثانياً » معيشتهم من اعمال « السمسرة » وما اليها . او بعبارة اخرى معيشتهم من الاعمال التي لا تنتج ولا تثمر ولا تزال في كل مكان عالة على غيرها من الاعمال .

هذه هي العلة الواضحة ، وهي كافية لتعليل الاضطهاد الذي يصيب اية طائفة من الناس . فلا وجه لاستغراب اضطهاد اليهود إذا اجتمعت لهم العصبية القومية والعيش على تعب الآخرين بغير إنتاج .

والارجح ان هذه الآفة قد تمكنت من اليهود لأنهم وقف بهم النمو عند حدود القبيلة ولم يتجاوزها إلى الامة والقومية المتطورة . فاذا تذكرنا ان القول الغالب عن اصل اليهود انهم قبيلة نزحت من الشواطيء الشرقية الجنوبية في جزيرة العرب فربما كانت نشأتهم هناك هي سر العادة التي تعودوها من المعيشة على السمسرة ونقل البضائع والوساطة بين التجار . لان بلاد بين البحرين هي

مركز المواصلات القديم بين الهند والعراق وجزيرة العرب ومصر وبيزنطة . ولا يزال سكان الشواطيء على المحيط الهندي كله مشهورين بالمهـــارة في تداول الصفقات ، وإن كانوا لم يلتزموا طور « القبيلة » كما التزمه اليهود .

اما ان الرابطة بين اليهود لا تزال حتى اليوم رابطة القبيلة او رابطة اللحم والدم فذلك ظاهر مـــن احتكارهم لعقيدتهم الدينية كما تحتكر القبيلة أنساب أبنائها ، فما من عقيدة دينية إلا وابناؤها يهتمون بنشرها والتبشير بها والدعوة اليها . ويفرحون بمن يدخل فيها من الغرباء عنها . إلا اليهودية او الصهيونية على الخصوص . فان اهلها لا يعتبرونها هداية ينشرونها على جميع الامم بل ينظرون اليها كما ينظرون الى النسب الذي ينفي الغرباء عنه ويأنف من المشاركة فيه .

فلا التاريخ ولا أرقام الحساب اذن بالتي تشهد لليهود بالذكاء الخارق المتفرد بين ابناء آدم وحواء . ولا هذا الذكاء المزعوم بالذي يوجب اضطهاد الناس لهم أو يوجب اشتراكهم في حركات الثورة والانقلاب . ولكنهم قبيلة لم تتطور ولا تزال حتى الساعة تجري على سنة القبائل في استباحة الاموال من حولها والتعصب على الغرباء عنها . فلهذا يصيبهم الاضطهاد وتستخفهم دعوات الثورة والانقـلاب . ولا مصير لهم الا ان يطويهم العالم او يطووه . والحتم اللزام الذي لا شك فيه ان المصير الاول هو اصدق المصيرين .

بأسهم بينهم شديد (١)

وصل الي تقرير مفصل يقع في سبعمائة وخمسين صفحة من القطع الكبير عن التربية في الشرق الاوسط العربي ، ألفه الدكتور رودريك ماثيور استاذ التربية بجامعة بنسلفانيا والدكتور متى عقراوي المدير العام للتعليم العالي بالعراق . وترجمه إلى اللغة العربية الدكتور امير بقطر الاستاذ بالجامعة الامريكية في القاهرة ، وهو على الجملة مـن قبيل هذه النشرات والاحصاءات التي تصدرها الجامعات الامريكية بما تنطوي عليه من غرض صريح او غرض مضمون .

يشتمل التقرير على شرح عام لنظم التعليم في مصر والعراق وسورية ولبنان وشرق الاردن وفلسطين، ونظام التعليم عند الصهيونيين هو الذي نخصه بالتعقيب في هذا المقال .

جاء فيه من الصفحة الـ ٣٥٤ « أن نظام المدارس الاسرائيلية مقسم إلى ثلاثة أنواع أو اتجاهات ، تبعاً للحزب الذي ينتمي اليه آباء التلاميذ سواء اكان الحزب العام أم حزب مزراحي أم حزب العمل ، وتختلف هذه الاتجاهات في مثلها العليا التعليمية والدينية والسياسية ، فالذين يحبذون الحزب العام يعتقدون ان التقاليد الدينية اليهودية هي النبراس الذي ينبغي ان تستهدي به نظم التعليم ، على ان تترك مراعاة الوصايا الدينية للوالدين والبيت ، والهدف الذي ترمي اليه مدارس

(١) الاساس ٢٩ يونية ١٩٥١ .

الاتجاه العام بث روح التعـليم القومي الصهيوني في نفوس التلاميذ مصحوبـا بالمباديء الانسانية التقدمية ، وتبلغ نسبة التلاميذ اليهود الذين يؤمون مدارس هـذا الحزب نحو ٥٣٪ من مجموعهم في المدارس العامة . امـا مدارس حزب مزراحي او الصهيونية الاصولية التقليدية فترمي إلى توفير نوع من التعليم ذي ثقافة عامة مع عناية خاصة بالتربية الدينية ... واخـيراً حزب العمال وتعنى مدارسه بالجمع بين المباديء القومية العامة وتعاليم حركة العمال الأسرائيلية في فلسطين . فضلا عن نشر الثقافة العامة والمباديء الدينية بين التلاميذ وهي العناصر المشتركة في التربية بين جميع الاحزاب فان مدارس العمال تبث في نفوس النشء حب العمل اليدوي ... الخ .

عُنينا بهذا الجانب من التقرير بصفة خاصة لأننا نعتقد انه لمس العلة التي كمنت ولا تزال تكمن في كل مجتمع صهيوني ، وستظل كامنة بين هذه المجتمعات تفعل في المستقبل ما فعلته في الماضي ، فلا تخلو من الانقسام الذي ينشأ مـن دعوة واحدة او دعوات كثيرة لا نفرق بين الديني او السياسي او الاجتماعي منـها ، لأنها في الواقع هي كلها صور متعددة لطبيعة الانقسام في شعب صهيون .

وتلك العبارة التي نقلناها من التقرير تتلطف في وصف الحالة على حقيقتها ، لان اسباب الا نقسام حول مناهج التعليم لا تنحصر في الآراء التعليمية والخطط المدرسية بل تدور في اساسها « اولا » على التمهيد للسلطان والاستيلاء عـلى الحكومة . وتدور « ثانياً » على الوجهة السياسية التي تتجه اليها الحكومة بعد القبض على اعنة السلطان في الدولة . فحزب مزراحي في الواقع شديد المحافظة لا يقنع بما دون الرجعة إلى نظام الحكم الهيكلي على عـهد الدولة الاسرائيلية الغابرة ، ولكنه قد يُعتبر من الاحزاب المعتدلة بالقياس إلى حزب عقودة الذي يضيف إلى ذلك الغرض حماسة التعصب الاعمى وكراهة الأصغاء إلى كل تفسير يخالف التقاليد التي كانت متبعة في زعمهم قبل اكثر من الفي سنة ، والشقاق بينهم على مناهج التعليم انما هو شقاق عـلى السلطة بعد عشر سنين ، اي بعد تخرج التلاميذ الذين يتعلمون على حسب النظام في مدارس كل طائفة ، وقد ظل هذا الشقاق يعطل الدستور الصهيوني في حكومة إسرائيل زمناً طويلا لاصرار

كل فريق منهم على تضمين الدستور غايته من تعليم الناشئة وتوجيه الدولة ، ولن ينقطع هذا الشقاق على طول الزمن ، وإن لاح اليوم أن مآزق إسرائيل بين جيرانها تضطرها الى اصطناع الوفاق جهد المستطاع .

« بأسهم بينهم شديد ، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى » ذلك هو وصف بني اسرائيل في سورة الحشر من القرآن الكريم ، وقد نزلت هذه الآية في بني النضير من يهود المدينة ، ولكنها تصدق على اليهود في كل مجتمع ، وتصدق عليهم في اسرائيل العصرية ، فمن ظنهم مجتمعين على رأي واحد فهو على خطأ ، لانهم شتى القلوب كما كانوا قبل آلاف السنين ، وكما يكونون حيث كانوا مجتمعين . فالشقاق بينهم والشقاق مع جيرانهم طبيعة لم تفارقهم منذ سمع بهم التاريخ في هجرتهم الى وادي النهرين قبل ايام موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام ، وانبياؤهم هم الذين وصفوهم بأنهم شعب غليظ الرقبة ، وانهم لا يكفون عن الشقاق والعصيان . ولسنا نعني بالشقاق تلك الخلافات المذهبية التي اشتهر بها تاريخ اليهود من عهد ابراهيم عليه السلام ، فهي على التحقيق اكثر جداً من جملة الخلافات المذهبية في العقائد الاخرى ، ولكننا قد نقول انها ضروب من الخلاف تعم الاقوام ولا تصطبغ بالصبغة القومية في شعب دون غيره من الشعوب .

كذلك لا نعني بالشقاق تلك المنازعات السياسية التي بدأت مع الدولة اليهودية القديمة ، فقد انقسمت فلسطين الصغيرة بين دولة اسرائيل ودولة يهوذا ، وانقسم كل جزء منها الى أجزاء ، وظهر الانقسام حين ظهرت لليهود دويلة هيرود وهي لا تزيد على شرق الاردن ، وتكرر ذلك مع كل حكومة يهودية على نحو لم نعهده في جميع الحكومات .

ومع هذا لا نعني بالشقاق تلك المنازعات السياسية لانها كذلك عرض متكرر في حياة الامم وان اختلف في القوة والمقدار .

لا نعني الخلافات المذهبية ولا المنازعات السياسية ، ولكننا نعني تلك الظاهرة التي لم تنقطع في تاريخ القبيلة العبرية منذ اربعة آلاف سنة ، فانهم خرجوا من جزيرة العرب الى العراق فاختلفوا بينهم واختلفوا مع العراقيين وهجروا البلاد

الى ارض كنعان مكرهين ، ثم اختلفوا بينهم واختلفوا مع الكنعانيين ، ثم اختلفوا بينهم واختلفوا مع المصريين ، ثم اختلفوا بينهم واختلفوا مع سكان فلسطين في الجنوب ، ثم اختلفوا حيث هاجروا إلى كل مكان وفي كل زمان ، ولم يتفقوا مع مسيحيين ولا مسلمين ولا مع أجناس من الصقالبة أو أجناس من التيوتون أو أجناس من اللاتين .

ما علة هذه الطبيعة الراسخة في الزمن القديم ؟ هي علة خاصة لا شك في وجودها ، وخلاصتها أنها نشوز في التكوين الاجتماعي وقف بنموهم عند مرحلة مبتورة تحول دون تطورهم مع الزمن من تكوين القبيلة البدوية إلى تكوين الأمة الحضرية ، فهم إلى اليوم يبلغون غاية ما يبلغونه من المدنية والعلم ولا يتخلصون من علاقة القبيلة بينهم كما كانت فيدور البداوة ، فمسألة الإيمان بالديانة الاسرائيلية عندهم مسألة لحم ودم وقرابة عنصرية وليست مسألة الهداية الانسانية التي يشترك فيها جميع بني الإنسان . وذلك هو النشوز الذي يجعلهم شذوذاً ملحوظاً في كل بيئة فلا هم من قبائل البادية ولا هم من أمم الحضارة العالمية .

تلك هي خلاصة العلة في الزمن القديم .

أما العلة في العصر الحديث فهي مرض محقق لا شك فيه . مرض موصوف بتفصيلاته في كتب الأطباء ، ومعروف من خصائصه انه يبكي صاحبه بما ابكى به الشعب الصهيوني في كل ما هو مأخوذ عليه . ما هي أعراض « البارانويا » ؟ هي « أولا » تسلط فكرة الغرور والامتياز على سائر خلق الله . و « ثانياً » أنانية مريضة تغلب على المصاب بها فلا تزال تخيل اليه ان الناس جميعاً مسخرون لخدمته ، و « ثالثاً » عقيدة الاضطهاد وامتلاء النفس بالحذر من الآخرين ، و « رابعاً » شعور الفصام أو الانفصام كما يطلقه أطباء الأمراض العقلية ، ويعنون به انقطاع العلاقة بين المفصوم ومن يحيطون به من أبناء بيئته الاجتماعية ، وتلتقي « البارانويا » في هذا العرض بآفة « الشيزوفرانيا » المعروفة . وليس المهم أن تكون هذه الأعراض وسواساً وهمياً أو حقيقة واقعة ، بل ليس المهم أن يجري الاضطهاد فعلا أو يحدث الخوف من وساوسه الخيالية التي لا وجود لها في الواقع ،

ولكن المهم في الحالة النفسية المريضة هو فعل الأعراض في المصاب وأثر هذه الإصابة في عواطفه وأحاسيسه وتصرفاته واستجابة نفسه لمن حوله .

فهل هناك شك في ادعاء الصهيونيين أنهم شعب الله المختار أو شعب الله الممتاز دون سائر الشعوب ؟ وهل هناك شك في إيمانهم بتسخير الأمم كلها لخدمتهم واستباحتهم بمقتضى كتبهم كل ما تبيحه شريعة الأنانية في معاملة غيرهم ولا تبيحه شرائع الضمير والآداب ؟ وهل هناك شك في شعورهم بالاضطهاد واتفاقهم على العزلة حيث كانوا بين ظهراني كل مجتمع من مجتمعات الحضارة ؟

أعجب الأعاجيب أن نسمع من المخرقين الذين يتشدقون بذكر الأمراض النفسانية أو عداوة اليهود Anti sematism مرض اصيبت به في جميع الأزمنة . ثم يعز على هؤلاء المخرقين أن يصفوا الصهيونية بالمرض وهي « البارانويا » بعينها كما يشرحها الطب بجميع تفصيلاتها ، وقد فعلت هذه البارانويا في نفوس القوم ما تفعله عادة في جميع النفوس ، فان صاحبها ليتخيل انه افلت منها حين يكون في قبضتها ، وكذلك فعلت « البارانويا » الاجتماعية بالقوم حين خطر لبعض « مصلحيهم » أن يعالجوهم من أدوائهم ودعاواهم فجمعوا مؤتمر الإصلاح المشهور في « فلادلفيا » بأمريكا سنة ١٨٦٩ وكتبوا برنامج الاصلاح على حسب العقيدة العصرية التي تليق بالمعاصرين ، فاذا بالمادة الثانية منه تقول ما نصه : « نحن لا ننظر إلى خراب المجتمع اليهودي الثاني كأنه عقوبة لإسرائيل على خطاياها ، ولكننا ننظر اليه كأنه نتيجة التدبير الإلهي الموحى به إلى إبراهيم والذي اتضح جلياً في سياق التاريخ ، وغايته نشر اليهود في جوانب الأرض لتحقيق رسالة الكهانة العليا وقيادة الامم إلى العلم الصحيح بعبادة الله » .

ولما أراد هؤلاء المصلحون ان ينكروا الفوارق بين سلالة هارون التي تحتكر الكهانة وبين غيرها من اليهود كانت وسيلتهم إلى محو هذه العقيدة ان حق الكهانة قد تحول إلى كل يهودي بعد تفرق الشعب بين الامم ، فكل يهودي فهو كاهن مرسل إلى رعاياه من سائر الاقوام .

تلك هي « البارانويا » المتأصلة في هذه الصهيونية المصابة ، وتلك هي علة

الفصام بينها وبين من حولها وعلة الانفصام بين أبنائهـــا حيثما اجتمعوا إلى بيئة واحدة ، وهم على الدوام :

« تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » .

ما أبلغها من آية . ان « البارانويا » تسمية جديدة لما يمس العقول فلا تعقل ، فما أبلغ تعليل الشقاق بين القوم وبين أنفسهم وجيرانهم بأنهم « لا يعقلون » .

أمل إسرائيل [1]

في العهد الحاضر

يعرف المصريون قيمة التصريحات التي تعلنها الوزارة النحاسية بلسان وزرائها أو بلسان رئيسها ، ويعرفون ان توكيد هذه التصريحات مرة بعد مرة لا يزيدها نصيباً من الثقة بها والتعويل عليها ، ولو كانت في أخطر المسائل التي يتحرج الساسة من التعجل في الكلام عنها . فليس اخطر عند المصريين مـــن القضية الوطنية وكل ما يتصل بأخبارها وشئونها ، ومع هذا أعلن رئيس الوزارة الحاضرة غير مرة أنه متفائل وانه كبير الأمل في النجاح ، فلما روجع في ذلك وقيل له إن الانجليز يعلنون الإصرار على موقفهم من قضية الجلاء وقضية السودان عاد إلى توكيد التفاؤل بلهجة الواثق المطمئن ، وقال انه يعتمد في تفاؤله على شعوره وعلى معلوماته ولا يعنيه شعور غيره ولا معلومات الآخرين .

ولقد حرص الإنجليز عـــلى اجتناب التصريحات التي تبعث الامل في تغيير الموقف ، وبلغ من تشددهم في ذلك انهم كانوا يتبعون كل تفاؤل مـــن جانب الوزارة المصرية ببلاغ رسمي او بيان في البرلمان يؤكدون فيه ان الاحتلال باق وان قضية السودان لن يطرأ عليها تغيير ، وانهم لا يعرفون أساساً للاخبار التي ترد من القاهرة بما يخالف ذلك التقدير .

---

(١) الاساس ٢٣ يونيه ١٩٥١

ان مسألة إسرائيل ليست اخطر من مسألة الاستقلال او مسألة وادي النيل، فليس من المنتظر ان تتحرج الوزارة النحاسية في التصريحات عنها حيث لا تتحرج في مسألة الجلاء أو مسألة السودان . ويحق لنا ان نقف موقف الحذر والريب حين تقول اخبار لندن ان الوزارة النحاسية تراجعت في مسألة البترول ، ويقال في القاهرة والاسكندرية ان الوزارة لا تتراجع ولا تفكر في العدول عن تفتيش السفن التي تحمله اوتحمل المواد من قبيله إلى حيفا وغيرها من الموانيء ذات الصلة المريبة بالصهيونيين .

إن كثيراً من العقلاء في مصر يستريبون بالضجة الغريبة التي ثارت في لندن حول حادث التفتيش الاخير ويعتقدون ان لندن تريد بهذه الضجة أن تفتح الباب أمام الوزارة النحاسية للتراجع السريع في هذه المسألة الخطيرة ، وان اعلان الحكومة البريطانية عزمها على استخدام الاسطول لمنع التفتيش يجعل هذا التراجع معقولا أمام الرأي العام المصري ويبسط العذر للوزارة النحاسية حين تقول : ما الفائدة من استمرار التفتيش ؟ هل تريدون مني أيها المصريون أن أصطدم بالاسطول البريطاني في معركة بحرية ؟ وهل تتحملون معي مسئولية الاقدام على هذه المجازفة ؟ وهل هناك حيلة غير التراجع والاستسلام ؟

إن كثيراً من العقلاء في مصر يفهمون ان الضجة كلها مناورة من هذا القبيل، ونحن نعتقد حقاً انها مبالغ فيها ولا نستبعد ان تكون مقصودة للوصول إلى هذه النتيجة ، ولكننا نبادر فنقول إن الاشتباك مع الاسطول البريطاني في معركة بحرية أمر لا نتوقعه ولا ننصح الوزارة النحاسية بالاقدام عليه ، غير اننا نسأل من الذي قال إن إعلان مصر محافظتها على حقها في تفتيش السفن التي تمر بشواطئها يستوجب اشتباكاً مع الاسطول البريطاني او غيره من الاساطيل ؟ إننا نفرض أن الاسطول البريطاني منع التفتيش فعلا فهل من شأن ذلك أن يضطرنا إلى العدول عن قرار التفتيش والمحافظة على حقنا فيه ؟

فاذا اعلنت الحكومة البريطانية انها ستمنع التفتيش بالقوة اعلنا نحن أننا لا نعدل عن التفتيش ، واننا سنمنع وصول البترول وغيره إلى إسرائيل بكل ما نستطيع من وسيلة ، والجاهل المغرق في الجهل هو الذي يقول : وما الفائدة

إذن وما النتيجة ؟ ولماذا نحافظ على حق التفتيش ونتعرض للمشكلات من جرائه ؟

نعم إنه لجاهل مغرق في الجهل من يسأل هذه الأسئلة ، لأن النتيجة من حراسة الاسطول البريطاني لكل سفينة تعبر المياه المصرية في كل جهة من جهاتها هي مضاعفة التكاليف على ثمن البترول وتحطيم الصناعة التي تعتمد على بترول يباع بأضعاف ثمنه ويحتاج إلى كل هذه الحراسة ويكشف عن اعمال العداء من بريطانيا العظمى فلا يجوز لها في عرف العالم كله أن تشكو مصر إذا قابلت أعمالها هذه بما تستحقه من القطيعة والاضراب عن المعاونة .

فلا حاجة إلى معركة بحرية ولا إلى اسطول يساوي اسطول بريطانيا العظمى في القوة والعدد ، وكل ما نحتاج اليه أن نجعل وصول البترول إلى اسرائيل صعباً كثير التكاليف فنبلغ ما نريد من التفتيش فعلا او من اعلان المحافظة على استخدام حقنا فيه . هل في هذه الخطة عسر او مشقة او اقدام على مخالفة قانونية او على عمل من اعمال الخرق والمجازفة ؟

هل تستكثر حكومة مصرية مثل هذا الاجراء الهين على كرامتنا في ازمة فلسطين ، بل على ارواح الضحايا والشهداء ان تصبح سخرية للناس ولشذاذ الآفاق من العالمين ؟

ليس لنا من قوة السلاح ما نضرب به الصهيونية وانصارها ، ولكننا نملك المقاطعة في حدود حقنا ونملك بذلك ان نصيب الصهيونية في مقاتلها ، فهل كثير على الوزارة النحاسية ان تحافظ على هذا الحق الضئيل الذي لا شبهة عليه ؟هل تضيع من ايدينا جميع الوسائل المشروعة كلما عمد الانجليز الى مناورة من مناوراتهم المألوفة مع المستضعفين من ابناء هذه البلاد ؟

نعلم ان الصهيونيين يطمعون في هذا العهد النحاسي الذي يطمع فيه كل طامع وانهم شعروا بفك الحصار من حولهم بعد ما وصل اليهم من مهربات السودان أو تجارته المكشوفة في عهد الوزارة النحاسية ، ولكن الوزارة النحاسية نفسها لا تجرؤ على تحقيق مطامعهم بما هو أنفع لهم من تلك المهربات وما هو في حكمها ،

ومن الجرأة حقاً ان تفعل ذلك اذا هي تذرعت الى فعـــله بمبادرة التهديد الانجليزية ، فما من احد يطالبها بأكثر من المحافظة على حقها في تفتيش السفن ومنع التهريب الى اسرائيل فان لم يكن في ذلك الا مضاعفة التكاليف عـــلى الصناعة الصهيونية واقحام السياسة البريطانية في مشكلة بعـــد مشكلة وتسويغ المقاطعة من جانبنا بالحجة المشروعة لكان نجاحاً مستحقاً للعناء الذي نبذله فيه، وما هو أهون العناء الذي لا نتجشم فيه الا اعلانا عن المحافظة على حق مسلم ، واننا لا نعدل عنه ولا نفكر في العدول .

بروتوكولات حكماء صهيون [1]

ظهرت أخيراً في اللغة العربية نسخة كاملة من هذا الكتاب العجيب : كتاب بروتوكولات حكماء صهيون .

ومن عجائبه ان تتأخر ترجمته الكاملة في اللغة العربية إلى هذه السنة ، مع أن البلاد العربية أحق البلاد أن تعرف عنه الشيء الكثير في ثلث القرن الأخير ، وهو الفترة التي منيت فيها بجرائر وعد بلفور وبالتمهيد لقيام الدولة الصهيونيـة على أرض فلسطين .

إن هذا الكتاب لا يزال لغزاً من الألغاز في مجال البحث التاريخي وفي مجال النشر والمصادرة ، فقلما ظهر في لغة من اللغات إلا أن يعجل اليه النفاد بعد أسابيع أو أيام من ساعة ظهوره . ولا نعرف أن داراً مشهورة من دور النشر والتوزيـع أقدمت على طبعه مع تكاثر الطلب عليه ، وكل ما وصل الينا مـــن طبعاته فهو صادر مـــن المطابع الخاصة التي تعمل لنشر الدعوة ولا تعمل لأرباح البيـع والشراء .

ومن عجائب المصادفات على الأقل أن تصل إلى يدي ثلاث نسخ من هـــذا الكتاب في السنوات الأخيرة : كل نسخة من طبعة غير طبعة الأخرى ، وكل منها قد حصلت عليه من غير طريق الطلب من المكتبات المشهورة التي نعاملها .

أما النسخة الأولى فقد أعارني إياها رجل من قادتنا العسكريين الذين يتتبعون

---

(١) الاساس ٢٣ - ١١ - ١٩٥١

نوادر الكتب في موضوعات الحرب وتدبيرات الغزو والفتح وما اليها ، وقد أعدتها اليه بعد قراءتها ونقل فصول متفرقة منها .

وأما النسخة الثانية فقد اشتريتها مرجوعة مقطوعة لا يعلم بائعها ما اسمها وما معناها ، وقد ضاعت هذه النسخة وأوراق النسخة المنقولة مع كتب وأوراق أخرى اتهمت باختلاسها بعض الخدم في الدار .

وأما النسخة الثالثة – وهي من الطبعة الانجليزية الرابعة – فقد عثرت عليها في مخلفات طبيب كبير وعليها تاريخ أول مايو سنة ١٩٢١ وكلمة « هدية » بالفرنسية Souvenir وكدت أعتقد من تعاقب المصادفات التي تتعرض لها هذه النسخ انها عرضة للضياع .

والترجمة العربية التي بين أيدينا اليوم منقولة من الطبعة الانجليزية الخامسة : نقلها الأديب المطلع الأستاذ محمد خليفة التونسي ، وحرص على ترجمتها بغير تصرف يخل بمبناها ومعناها ، فأخرجها في عبارة دقيقة واضحة واسلوب فصيح سليم .

صدر المترجم الفاضل لهذا الكتاب الجهنمي بمقدمة مستفيضة قال فيها عن سبب وضعه ان زعماء الصهيونيين ، عقدوا ثلاثة وعشرين مؤتمراً منذ سنة ١٨٩٧ وكان آخرها المؤتمر الذي انعقد في القدس لأول مرة في ١٤ أغسطس سنة ١٩٥١ ليبحث في الظاهر مسألة الهجرة إلى إسرائيل ومسألة حدودها – كما جاء بجريدة الزمان – وكان الغرض من هذه المؤتمرات جميعاً دراسة الخطط التي تؤدي إلى تأسيس مملكة صهيون العالمية ، وكان أول مؤتمراتهم في مدينة بال بسويسرة سنة ١٨٩٧ برئاسة زعيمهم هرتزل ، وقد اجتمع فيه نحو ثلثمائة من أعتى حكماء صهيون كانوا يمثلون خمسين جمعية يهودية ، وقرروا فيه خطتهم السرية لاستعباد العالم كله تحت تاج ملك من نسل داود .

ثم أجمل الأستاذ المترجم ما اشتملت عليه فصول الكتاب من شرح الخطط المتفق عليها ، وهي تتلخص في تدبير الوسائل للقبض على زمام السياسة العالمية من وراء القبض على زمام الصيرفة ، وفيها تفسير للمساعي التي انتهت بقبض الصيارفة الصهيونيين على زمام الدولار في القارة الأمريكية ومن ورائها جميع الأقطار ، وتفسير إلى جانب ذلك للمساعي الاخرى التي ترمي إلى السيطرة على

المعسكر الآخر من الكتلة الشرقية ، وانتهت بتسليم ذلك المعسكر إلى ايـدي أناس من الصهيونيين او الماديين الذين بنوا بزوجات صهيونيات يعملن في ميادين السياسة والاجتماع .

وتتعدد وسائل الفتنة التي تمهد لقلب النظام العالمي وتهدده في كيانه بإشاعة الفوضى والاباحة بين شعوبه وتسليط المذاهب الفاسدة والدعوات المنكرة على عقول أبنائه ، وتقويض كل دعامة من دعائم الدين أو الوطنية أو الخلق القويم .

ذلك هو فحوى الكتاب وجملة مقاصده ومراميه ، وقد ظهرت طبعته الاولى منذ خمسين سنة ، ونقلت من الفرنسية إلى الروسية والانجليزية فغيرها من اللغات وثارت حولها زوابع من النقد والمناقشة ترددت بين الآستانة وجنيف وبروكسل وباريس ولندن وافريقية الجنوبية ، وشغلت الصحافة والقضاء ورجال المتاحف والمراجع ، وصدرت من جرائها أحكام شتى تنفي تارة وتثبت تارة اخرى ، ثم اختفى الكتاب كما قدمنا ولا يزال يختفي كلما ظهر في إحدى اللغات .

ويتقاضانا انصاف التاريخ ان نلخص هنا ما يقال عنه من الوجهه التـاريخية نقداً له وتجريحاً لمصادره ، أو اثباتا له وترجيحاً لصدقه في مدلوله .

فالذين ينقدونه ويشككون في صحة مصادره يبنون النقد على المشابهة بين نصوصه ونصوص بعض الكتب التي سبقت ظهوره بأربعين سنة او بأقل مـن ذلك في أحوال اخرى ، ومنها حوار بين مكيافلي ومنتسكيو يدور على التشهير بسياسة نابليون الثالث الخارجية ، ومنها قصة ألفها كاتب ألماني يدعى هرمان جودشي ضمنها حواراً تخيل انه سمعه في مقبرة حبر من احبار اليهود بمدينة براغ دعي اليها مؤتمر الزعماء الذين ينوب كل واحد منهم عن سبط من اسباط إسرائيل.

ويعتمد الناقدون أيضاً على تكذيب صحيفة التيمس للوثائق بعد اشارتها اليها عند ظهورها إشارة المصدق المحذر مما ترمي اليه .

أما المرجحون لصحة الوثائق أو لصحة مدلولها فخلاصة حجتهم انها لم تأت بجديد غير ما ورد في كتب اليهود المعترف بها ومنها التلمود وكتب السنن اليهودية، وغاية ما هنالك ان التلمود قد اجملت حيث عمدت هذه الوثائق إلى التفصيل والتمثيل .

ويقول الصحفي الانجليزي شسترتون A · K . chesterton في مناقشته للكاتب الاسرائيلي لفتوتش Leftuich أقوالا مختلفة لتعزيز الواقع المفهوم من تلك البروتوكولات ، خلاصتها ان لسان الحال اصدق من لسان المقال ، وان مشيخة صهيون او حكماء صهيون قد يكون لهم وجود تاريخي صحيح او يكونون جميعاً من خلق التصور والخيال ، ولكن الحقيقة الموجودة التي لا شك فيها ان النفوذ الذي يحاولونه ويصلون اليه قائم ملموس الوقائع والآثار .

قال في المجموعة التي نشرت باسم « فاجعة العداءللساميين » إن المارشال هايج سمع باختياره للقيادة العامة من فم اللورد رتشيلد قبل أن يسمع به من المراجع الرسمية ، وان بيت روتشيلد خرج بعد معركة واترلو ظافراً كما خرج زملاؤه وأبناء جلدته جميعاً ظافرين بعد الحرب العالمية الأولى والثانية ، وانه لا يوجد بيت غير بيت روتشيلد له اخوة موزعون بين لندن وباريس وبرلين ، وبدأ كلامه قائلا : « انني من جهة يبدو لي ان البروتوكولات تستوي روحياً على نفس القاعدة التي استوت عليها فقرات من كتاب التلمود تنزع إلى رسم العلاقات التي يلتزمها اليهود مع عالم الأمم او الغرباء ، وانني من جهة اخرى لا اعرف احداً يحاول ان يزعزع عقائد اليهود في دينهم إلا كغرض من اغراض التبشير العامة ، ولكنني اعرف كثيراً من اليهود الذين يعملون على تحطيم يقين الأمم بالديانة المسيحية » .

ونستطيع نحن ان نضيف إلى أقوال شسترتون اقوالا كثيرة من قبيلها وفي مثل معناها واستدلالها ، فهذا الدولاب الهائل الذي دار على حين فجأة من الآستانة إلى امريكا الى افريقية الجنوبية لتنفيذ البروتوكولات شاهد من شواهد العصبة العالمية التي تعمل باتفاق في الغاية ان لم تعمل باتفاق في التدبير ، وهذه الثقة التي تسمح لصعلوك من صعاليك العصابات ان يهدد سفير الولايات المتحدة ويكلفه ان ينذر حكومته بما سوف يحل بها إذا خالفت هوى العصابة شاهد آخر من شواهد تلك السطوة العالمية التي تملي اوامرها على الرؤساء والوزراء من وراء ستار . وهذه الشهرة « العالمية » التي يلعب بها الصهيونيون لإغراء ضعاف الكتاب شاهد آخر من شواهد اخرى لا تحصى ، فلم يترجم كتاب عربي قط

لكاتب تناول الصهيونية بما يغضبها في وقت من الأوقات .

ولست اذهب بعيداً وعندي الشواهد من كتبي التي ترجمت إلى الفرنسية والانجليزية ونشرت فصول منها في مجلات مصر واوربة ، فقد توقف طبعها — بعد التعب في ترجمتها — لأنني كتبت واكتب ما يفضح السياسة الصهيونية .وقد تحدثت إلي فتاة من دعاتهم في حضرة صديق بقيد الحياة فجعلت تومىء إلى مسألة الترجمة وتسألني سؤال العليم المتغابي (عجبي لمثلك كيف لا تكون مؤلفاته منقولة إلى جميع اللغات ؟) .

سألتني هذا السؤال وهي فيما أظن لا تصدق ان الشهرة العالمية على جلالة قدرها شيء نستطيع ان نحتقره إذا قام على غير اساسه واصبح العوبة في ايدي السماسرة والدعاة ، فقلت لها ان بلوتارك قد سبقني إلى جواب هذا السؤال . فعادت تسأل : وماذا قال : قلت : روي على لسان بطل من ابطال الرومان انه سئل : لماذا لا يقيمون لك تمثالا بين هذه التماثيل ؟ فأجاب سائله : لأن تسألني سؤالك هذا خير من تسألني : لماذا اقيم لك هذا التمثال ؟ .

وأغلب الظن بعد هذا كله — على ما نرى — ان البروتوكولات من الوجهة التاريخية محل بحث كثير ، ولكن الأمر الذي لا شك فيه كما قال شسترفيلد ان السيطرة الخفية قائمة بتلك البروتوكولات او بغير تلك البروتوكولات .

كتابان عن فلسطين (١)

هذان كتابان عـــن فلسطين ، الف احدهما زعيم عصابة مـــن عصابات الارهاب الصهيونية ، وألف الآخر سفير دولة عظمى ، وكلا الكتابين في موضوع واحد هو نشأة اسرائيل ، ولكل منهما نصيب من الطرائف والاعاجيب والعظات يتنافسان فيها على قدم المساواة كما يقولون في تعبيرهم الغربي ، وربما كانت الطرائف التي حولهما احق بالملاحظة والتسجيل من الطرائف التي يحتويانها ، وكثير مما يحتويان لغو وهراء يغثيان النفوس .

كتاب الثورة Revolution احد الكتابين الطريفين ، وهو الذي الفه مناحم بيجين رئيس عصابة « ارجون زفاي ليومي » وطبعه في مطبعة انجليزية مشهورة ليروي للانجليز كيف اذلتهم عصابات صهيون وكيف عرفت ان تعاملهم بالطريقة الوحيدة التي يفهمونها ، وهي طريقة العصا والسوط والنار .

كنا نحسب ان شارلي شابلن يتعمد المبالغة المضحكة حين عرض بعض فصوله يهوديا يغتنم فرصة الاضطهاد الذي ينصب على بني قومه فيسرع الى بيع اخباره في الصحف والنشرات ، فاذا بالمطبعة الانجليزية تحقق لنا هذه الاضحوكة وتتجر بين الانجليز بالكتب التي تروي لهم كيف استذلهم اذلاء الأرض ، وكيف عاملهم بالعصا عبيد العصا من قديم العصور .

---

(١) الاساس ١٩٥٢/١١/٣ .

طريقة أخرى من طرائف هذا الكتاب انك تقرأ فيه تعجب المؤلف اللبيب من حسبان الانجليز إياهم قوماً من الوطنيين في فلسطين ! ومن معاملة الانجليز إياهم كما نعودوا ان يعاملوا أبناء البلاد الشرقية . ولولا ان فجيعة فلسطين تجب كل مضحكة لاستلقى القارىء ضحكا حين يقرأ قبل ذلك بصفحات معدودات ان حق إسرائيل قائم على حجة واحدة: وهي انهم الوطنيون الأول في فلسطين ، وانهم يفخرون بهذه الوطنية التي مضى عليها نيف وعشرون قرنا ، والتي يستكبرون عليها في هذا القرن العشرين .

ليست إسرائيل من هؤلاء الوطنيين أبناء فلسطين : عظيم ! ولمـــاذا هم في فلسطين ؟ لأنهم أبناء اولئك الوطنيين المحتقرين !

ويفيض الكتاب كله بالدعاوى والبطولات التي من هذا القبيل ، وكل بطولة فيه هي في الواقع فصل من فصول التمثيل ، لأنك تقرأهـــا فلا تشك لحظة في حقيقتها الظاهرة . وحقيقتها الظاهرة انها تواطؤ مسرحي بين المعتدين والمعتدى عليهم ، وانها لا يمكن أن تحدث إلا في قصة مؤلفة أو واقعة مدبرة ، وكل بطل في القصص المؤلفة والوقائع المدبرة قدير على تلك الملاحم التي يصطنعها مناحم ، ويشاركه في بطولتها المنهزمون بين يديه . !

قطار طويل مشحون بالذخيرة والسلاح ، ومشحون كذلك بالضباط والجنود يعني انه قلعة متحركة تقاوم وتتقدم وتتأخر كما تريد، ولكنها تسلم بغير مقاومة وبغير محاولة للهرب إلى الأمام أو إلى الوراء . كيف ؟... هل تدري كيف ؟

تدري ولا شك إذا كنت قد سمعت بقصة الشاطر حسن أو الشاطر عـــلي وطلسمه المجهول : افتح يا سمسم أو افتح يا فول !

فكما استطاع الشاطر حسن في الأحدوثة أن يحبس اللصوص العتاة ويقبض على أزمتهم بتلك الكلمة اليسيرة كان الشاطر مناحم مقتدراً على اسر القــطار ، ومن فيه وما فيه ، لأنه صاح بهم : انني سأنسف القطار ، ووقف أمامهم على مرمى اليـــد لا على مرمى البندقية أو المسدس ، فقفزوا كالأرانب هاربين وولوا ذات الشمال وذات اليمين !

وحيلة أخرى لا تخطر على بالك أيها القارىء اللبيب ، ولكنك تقرأها أو تقرأ أمثالها في ألف ليلة وليلة فتشهد للابطال شهادة الخيال إن لم تشهد لهم شهادة

الوقائع والأعمال .

يريد الشاطر « مناحم » من قرائه أن يصدقوا ان حكاية القبض على ضابط اوضابطين من الانجليز هي التي اجبرت حكومة الانتداب على إطلاق السجناء الصهيونيين المحكوم عليهم بالإعدام .

والشاطر مناحم يستطيع ان يسأل نفسه : ما الذي كان يمنع الحكومة المنتدبة أن تقابل اعتقال الضابطين باعتقال مائة من زعماء تل أبيب ؟ وما الذي كان يمنعها أن ترسل الطائرات نذيراً على عاصمة إسرئيل ؟ وما الذي كان يمنعها أن تعلن انها سترمي أسراها غدا أو بعد غدإن لم يبادر أبطال العصابات إلى تسريح الضباط المعتقلين ؟

لو حدث ذلك التهديد والاعتقال في الهند مثلا لقابله الحاكمون بما ذكرناه وبما هو أعنف مما ذكرناه ، فلماذا لم يفعلوا فعلتهم في تل أبيب ؟

انهم لم يحجموا عنها خوفاً من بطولة الشاطر مناحم والشطار الذين يشبهونه في الشطارة ، ولكنهم احجموا عنها لأسباب لا محل فيها للبطولة من هذا الطرف ولا من ذاك الطرف ، بل هي محل الخزي والخسة من الطرفين !

تلك بعض المضحكات المخزيات في الكتاب الأول .

أما الكتاب الثاني فاسمه « مهمتي في إسرائيل » . والمقصود بمهمتي هذه هو مهمة « جيمس ماكدونالد » أول سفير للولايات المتحدة عند دولة صهيون ، ونصيبه من المضحكات المخزيات لا يقل عن نصيب الكتاب الذي الفه الشاطر بنيامين !

مضحكة من مضحكاته ان صعلوكاً « عصابياً » لقي السفير الجليل وأنذره بلهجة التهديد والوعيد : لئن خطر للولايات المتحدة أن تحكم فلسطين بعد بريطانية العظمى لتعلمن إذن كيف نخرجها كما أخرجنا من قبلها .

كذلك قال العصابي الارهابي للسفير الجليل ، فماذا قال السفير الجليل ؟ حاول جهده أن يبريء حكومته من التهمة ، وجعل يمشي بعد ذلك محروساً محصناً خوفاً على حياته ، وكتب عن مصرع برنادوت فقال انه مستحق لما أصابه من صعاليك العصابات !

مضحكة من مضحكاته ان السفير الجليل تلقى إنذاراً شديداً من الرئيس

ترومان ليبلغه على الأثر إلى الرئيس ابن غريون ، وأمره على سبيل الارهـاب والتهويل ان يبرق اليه بموعد الساعة والدقيقة الذي يتقرر للقاء رئيس صهيون . وفعل السفير كما أمر ، وأبرق بموعد الساعة والدقيقة ، وأسلم إنذار الرئيس إلى الرئيس واستمع الى الرئيس الذي تلقى الإنذار فماذا استمع وماذا صنع ؟ ان ابن غريون قد انفجر ساخراً أو سخر منفجراً ، وفاه بكلام لم يجسر السفير الجليل على نقله بل أبقاه كما قال بين الحيطان التي سمعته ، وخرج ومعـه موسى شاريت يؤكد له انهم لا يصدعون بأمر الرئيس ترومان في مسألة اللاجئين ومسألة النقب إلا في ميـدان القتال .

ومرة اخرى نسأل : وماذا قال السفير الجليل ؟

قال في جواب هذا التهديد والعصيان : انا معكم وسأبقى معكم فلا تيئسوا ولا تخافوا .

ومضت فترة بغير جواب من واشنطون ، ثم جاء الجواب يتراجع ويتعثر ، ثم انطوى كل شيء وعادت المياه إلى مجاريها . واستراح الرئيس او الرئيسان : ابن غريون وابن ترومان .

ومضحكات شتى تتوالى في هذا الكتاب الحافل بهـذه المهازل ، ولكنها مهازل أفجع من المبكيات .

السفير يتهم وزراء دولته ، ويخص بالاتهام منهم مارشال صاحب المشروعات المعلومة ، ويقول عنه انه مقصر في عطفه على إسرائيل لأنه بادر بقبول التقرير الذي كتبه برنادوت .

السفير يفتح مجلسه لكل من يتعشق إسرائيل ويتغنى بدولة صهيون ، ولم يحدثنا مرة انه فتح داره لأحد من غير هؤلاء السادة الأوفياء !

ولسنا نخص ولكننا نذكر ما اتفق حيثما اتفق ، فمن هؤلاء السادة الأوفياء السيدة المبجلة جداً « لادي وينجيت » التي لم يكن لها عزاء بعد موت زوجها – كما قال السفير الجليل – الان تبرح بلادها وتعبر البحار والبرور لتتعزى برؤية إسرائيل ثم تسرد « لورا وينجيت » اخطاء الدولة البريطانية وهي فاغرة الفم من الدهشة والذعر والاستهوال : تخيلوا بالله ... تخيلوا ان رجلا مثل مونتغومري يفكر

في توطيد السلام العالمي في الشرق فيعتمد على من ؟... تخيلوا على من يعتمد ؟...
على الباكستان !

هذه الدهشة منقولة بنصها من حكاية السفير الجليل لعبارة السيدة الوقور :
السيدة التي تستغرب ان يقوم السلام على ثمانين مليونا في قلب القارة الآسيوية ،
ولا تحسب السلام قائماً على احد غير شذاذ الآفاق ، ممن غدروا بكل محسن اليهم
ولم يشتهروا قط بالوفاء لقريب او بعيد .

وزائر آخر من صميم الصهيونيين يزور إسرائيل ليشكر شريكه القديم
الرئيس ترومان .

هذا الزائر هو السيد جاكبسون الذي شارك الرئيس في اول تجارة عمل بها
في صباه ، وهو يزور فلسطين ليرى كيف اصبح ذلك الشريك الصغير شريكاً لله
في ملكه يمنح البلاد لمن يشاء من العباد .

وغير السيدة الوقور والشريك القديم زائرون كثيرون ، ومهنئون ومعجبون
بالسفير الجليل لا ينتهون ، نمر بأقاويلهم وافاعيلهم فلا نستعيد قول انسان كما
نستعيد قول ابي العلاء :

تقفون والفلك المحرك دائر
وتقدرون فتضحك الاقدار

ولئن صدقت انباء التاريخ وعظاته لتصدقن غداً انباء وعظات لن يحمدها
الهازلون بمقادير الامم من الكاتبين عن شطارة الشطار او الكاتبين عن سفارة
السفراء ، فمثل هذا لن يهضمه الزمن في جوفه وهو خليق ان يسقم اجواف الدهور .

بين التاريخ العصري والقديم[1]

وحول هتلر واسرائيل

مطالعة اليوم تدور على اقوال جاءت على ألسنة بعض الساسة الغربيين ، فيها اخطاء تاريخية ، وفيها غرابة تقابلها مثلها في الأقوال التي تصححها وتقرر حقائقها .

وليس يعنينا في هذه المطالعات ان نعرض لما يقوله الساسة في السياسة ، ولكننا قد نعرض لأقوالهم في تاريخ العصر الحاضر واقوالهم التي تربط بين حاضرنا وتاريخنا القديم .

ومن هذا القبيل ما نعرض له في هذه المطالعة ، وهو قول احدهم ان قيام دولة إسرائيل مسئولية يشترك فيها هتلر ولا تنفرد بها الولايات المتحدة . وقول الآخر ان الاسرائيليين انما رجعوا إلى وطنهم الذي كانوا فيه قبل الفي سنة .

ان الذي قال ان هتلر مسئول عن قيام دولة اسرائيل يعني بذلك ان اضطهاده لليهود هو الذي اضطرهم إلى طلب الوطن القومي في فلسطين ، وهو قول عجيب ينسى قائله أرقام السنين ووقائع الأمم في اواسط هذا القرن العشرين .

فلم يكن للوطن اليهودي وجود في فلسطين قبل وعد بلفور ، ووعد بلفور قد صدر قبيل انتهاء سنة ١٩١٧ ، ولم يكن لهتلر اسم معروف ولا عمل في السياسة العامة .

---

(١) مجلة الاذاعة ١٩٥٥/١٢/١٧ .

وكان من الممكن ان يصدر وعد بلفور قبل ذلك بسنتين ، لأن المانشستر جارديان عرفت خبره واشارت اليه في شهر نوفمبر سنة ١٩١٥ ،ولكن الصهيونيين هم الذين اخروا صدور الوعد إلى موعده ، لأنهم كانوا يساومون ألمانيا كما كانوا يساومون انجلترا ، وكانوا يفضلون الانتظار إلى ان تتبين بوادر النصر الاخير في جانب احد المعسكرين ، وحدث فعلا ان المانـــيا والنمسا توسطتا لدى الحكومة التركية لتأسيس شركة كبيرة تعمل على توسيع الزراعة وبناء المدن في بعض جهات فلسطين لهجرة اليهود ، وكتب الأمر الذي يرخص لتلك الشركة بالعمل واعد للتوقيع ، ثم انهزم الجيش التركي في فلسطين فعدل اليهود عـــن استصداره ، وتحولوا بكل جهودهم إلى دول الحلفاء ، وعملوا مــا استطاعوا داخل النمسا لتعجيل الصلح المنفرد وداخل ألمانيا لتعجيل الهزيمة ، ولم تكن تهمة النازيين لهم بخيانة وطنهم الألماني تلفيقاً محضاً في هذه المسألة ،وان اضافوا إلى التهمة كثيراً من المبالغات وسكتوا عن أسباب الهزيمة ، وهي غير قليل .

وعلى خلاف قول القائلين ان الصهيونية وليدة هتلر يرى المؤرخون الثقـاة والنفسانيون الأذكياء ان هتلر والنازية كلها وليدة الصهيونية ، وان هتلر لم يتأثر بفلسفة نيتشه كما هو شائع في الصحف والتواريخ السطحية ، بل تأثر بعقائـــد الصهيونيين ، وردد ما يلفظون به ترديد الببغاء في تفصيلات المزايا التي كان يختص بها الآريون .

يقول « م . نقولاس » M. Nicolas بهذا الرأي ويشرحه ويعززه بالتفصيل في كتابه «من نيتشه نازلا إلى هتلر » From Nielyche Doum to Hitler وكل من قرأوا كتابه يعلمون ان الصهيونيين حقاً قد سبقوا هتلر إلى كل ما ادعاه .

ويكفي هنا ان نعيد ما يزعمه الصهيونيون من قديم الزمن ولا يزالون يزعمونه إلى الآن ، ثم نقابل بينه وبين مزاعم النازيين فنرى ان المشابهة قريبة جداً بين دعوى هؤلاء ودعوى هؤلاء .

يعتقد الصهيونيون انهم شعب الله المخـــتار ويعتقدون ان الامم الاخرى خلقت لهم يسخرونها ويستخدمونها لمجد إسرائيل .

ويذكرون في كتب التلمود عداوتهم للامم ولا ينكرون هذه العداوة في

أحاديثهم بل يسمونها عداوة الجوييم anti — Goyism ، أي عـداوة الأقوام ، ويزعمون انهم يكرهون الأمم لأنها تضطهدهم حسداً لهم على ذكائهم ونجاحهم واختصاص الخالق لهم بنعمة الاختيار والوعد بالانتصار .

هذه خلاصة الصهيونية . فماذا يقول النازيون غير هذا الكلام بعينه منقولا من الصهيونيين إلى الآريين ؟

يقولون إن الآريين صفوة الآدميين ، وإن عداوة السامية جزاء اليهود من الألمان لأنهم خانوا بلادهم واضمروا سوء النية للعالم ، وان الآريـين محسودون لأنهم أقوياء ممتازون ، وإنهم يجب ان يسودوا الأمم ولا يختلطوا بأحد منها ، محافظة على الدم النقي والعنصر السليم .

فاذا قال قائل ان الصهيونية وليدة الهتلرية وقال غيره ان الهتلرية وليـدة الصهيونية ، فأي القولين هو الصحيح الذي تعززه الوقائع والأقوال ؟

لا شك ان القول بأن الهتلرية وليدة الصهيونية هو اصح القولين ، وان اللاحقين هم المقتبسون من السابقين ، مع الخصومة المعلومة بين الفريقين .

ان هتلر يحمل في التاريخ أوزاراً كثيرة ، وليس من الضروري ان يضاف اليه هذا الوزر الذي هو بريء منه ، ولغيره منه أوفى نصيب.

أما القول بأن فلسطين وطن اليهود القديم فهو من اعجب الأساطـير التي تتكرر بغير معنى ، حتى لتوشك ان تثبت بمحض الاعادة والتكرار .

وربما كان أعجب من هذا الادعاء ان يقال ان العرب طارئون على فلسطين ، وان يحسب بعضهم انهم لم يدخلوها ولم يسكنوها من أقصاها إلى أقصاها قبل الاسلام .

فالواقع ان اسمها القديم يدل على انهـا بلاد عربية ، لأن اسم « كنعان » مأخوذ من مادة أصيلة في اللغة العربية بمعنى الأرض الواطئة أو المنخفضة ، وان مادة كنع وقنع وخنع كلها موجودة إلى اليوم في اللسان العربي الذي يتكلم به الخاصة والعامة ، فضلا عن الفاظ المعجمات والقواميس .

وليست كنعان من أوطان إسرائيل القديمة ، بل إسرائيل وافدون عليها من الشرق ولاجئون اليها للمقام في أطرافها . ولم يكن لابراهيم الخليل الذي

ينتسب اليه الصهيونيون محل فيها يتخذه قبراً بعد موته ، فاشترى قبره كما جاء في العهد القديم .

ولا ننسى أن العبريين انفسهم — آباء الصهيونيين — كانوا فرعاً من الفروع السامية التي سكنت جزيرة العرب وجنوب العراق وصحراء الشام واقاليم فلسطين . فلما جاء الخليل عليه السلام بقومه من اطراف العراق وحل في بادية فلسطين — لم يكن فاتحاً ولا مغيراً ولم يكن متكلما بلسان لا يفهمه الكنعانيون ، لأنه كان يعيش بينهم ويخاطبهم ويخاطبونه بلهجات قريبة لا تختلف بغير اختلاف الأقاليم بنطق بعض الحروف ، وعلى هذا المثال يختلف المصري في الجنوب والمصري في الشمال بنطق القاف والجيم ومخارج بعض الحروف .

وظل الامر كذلك بين القبائل الفلسطينية بعد هجرة إسرائيل ببضعة قرون فكان رجال جلعاد — كما جاء في الاصحاح الثاني عشر من سفر القضاة — يسألون من يشكون فيه : « قل شبولت . فيقول سبولت ، فيأخذونه ويذبحونه » .

فالعبريون في جميع عصورهم بين العراق وفلسطين كانوا قلة صغيرة تجول بين اصل كبير من العرب ، وما اختلف السكن في تلك الأرجاء منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ، فكل أبناء البادية هناك يرجعون بأنسابهم إلى الجزيرة العربية كما نراهم الآن ، وليس للأدوميين او العموريين او الآراميين اصل معروف في جهة من جهات الأرض غير الجزيرة العربية ، وما من جنس غريب بقيت له بقية في فلسطين إلا كان طارئاً على الوطن العربي من جزر البحر او من اواسط آسيا أو من آسيا الصغرى ، ثم تغلب عليه اللغة العربية كما غلبت عن المتكلمين بها على تعدد لهجاتها في عهد الخليل عليه السلام .

فالصهيونيون طارئون على فلسطين ، ولما أقاموا فيها كان استقرارهم بها أقل من استقرار سكانها الآخرين ، فتارة يرحلون الى مصر وتارة يأسرهم الفاتحون ويحملونهم إلى العراق ، ولم يكن لهم في أواخر الدولة الرومانية عدد

من السكان بفلسطين يزيد على عددهم قبل وعد بلفور ، فهم آخر من تحق له الدعوى إذا ادعى ان فلسطين وطنه بالنسب القديم او طول الاقامة او العلاقة التاريخية .

اما ان يقال ان الله جل وعلا أعطاهم هذه الأرض يأخذونها ويعيدونها كما يشاءون فهو أغرب من دعوى المدعين على التاريخ .

إن وعدهم بأرض فلسطين مشروط بطاعة الإله والعمل بأوامره واجتناب نواهيه . ومن أراد أن يأخذهم بالكتاب الذي يدينون به فهذا الكتاب يسجل عليهم انهم كفروا بالله وعبدوا الوثن وأقاموا الهياكل للبعل وقربوا القرابين لتموز ، وانهم مغضوب عليهم من الله ومشردون في الأرض عقابا لهم على عصيان الله .

وإذا كان الصهيونيون يغالطون اليوم في هذه الحقيقة فليس في استطاعة المسيحي ولا المسلم أن يقبل منهم هذه المغالطة ، لأن قبولها حكم عليه بأنه منبوذ من الله ، وشهادة للصهيونيين بأنهم لا يزالون في هذا العصر صفوته المقربين.

وقد فرغ المسيحيون من هذه القضية قبل تسعة عشر قرنا فقال بولس الرسول في رسالته لأهل غلاطية : « ان الأمم هم من أهل الميراث » وقال : « انه ليس هناك يهودي ولا يوناني وليس عبد ولا حر ... وكلهم نسل إبراهيم ... » أي نسله بالروح .

فليس للصهيونيين دعوى واحدة تصح في انتزاعهم لأرض فلسطين . وليس في الدنيا إنسان يدعي اليوم ان الأمم تطرد من ديارها ليحتلهم أناس كانوا فيها قبل ألفي سنة ، وإذا جازت المطالبة على هذا الأساس فنحن المصريين نطالب الصهيونيين بالذهب والفضة والحلى والحلل التي سرقوها من مصر بشهادة العهد القديم ، ولم تنقض هذه الدعوى كما نقضت دعوى القرم انهم لا يزالون في هذا العصر صفوة عباد الله .

إن ساسة الغرب قد يهزلون في أحاديث السياسة فلا يخرجون بها عن مهازلها المعهودة ، ولكنهم إذا هزلوا في أسانيد التاريخ الثابت وجب عليهم أن يستجمعوا

ذاكرتهم ويتلفتوا حولهم ، لأنهم لايجدون امامهم الجمهور الذي تعودوه في مهازل السياسة الدولية ، وهي المهازل التي تلبست بالفواجع في هذا الزمن المنكود ، مع الأسف الشديد .

ليس هتلر بالمسئول عن الصهيونية ، بل الصهيونية هي المسئولة عن هتلر على أرجح القولين .

وليست فلسطين وطناً للصهيونية في الماضي القديم ، ولعلها لا تكون وطناً لها في المستقبل القريب إن شاء الله .

العرب وإسرائيل في ميزان الغرب [1]

أرادت الامم أن تنشيء للعالم هيئة دولية تعالج مشكلاته الخطيرة بالوسائل السلمية ، فكانت هيئة الأمم المتحدة !

ولم تمض جلسات الافتتاح حتى افترقت هذه الأمم فريقين متقابلين ، وحق عليها قول المتهكمين انها هيئة الأمم « غير المتحدة » ، لأنها لم تكد تتفق على رأي واحد في مسألة من مسائل الحرب أو السلام .

وظهر ظهوراً لا مراء فيه ان في العـــالم كتلتين ، سميت إحداهما بالكتلة الشرقية ، وسميت الأخرى بالكتلة الغربية .

وزعيمة الكتلة الشرقية روسيا السوفيتية ، وزعيمة الكتلة الغربية الولايات المتحدة ومن ورائها انجلترا وفرنسا .

وأخطر ما في هذا الانقسام ان كل فريق منه حاول أن يضم اليه الأمم كانه يفكر في سؤال واحد ولا يفكر في غيره وهو « مع من تكون هذه الأمـة في ميدان القتال ؟ » .

نعم كان هذا أخطر ما في ذلك الانقسام بين الفريقين ، فقد حرم كلاهما على الأمم ان تبتعد عن الحرب ، وأوجب عليها أن تكون مع هذا المعسكر او ذلك المعسكر في ميدان القتال ، و « من ليس معنا فهو علينا » على حد المثل القديم !

ووصل الأمر إلى حد الإكراه كلما استطيع الإكراه بوسيلة مـــن وسائله

---

(١) الهلال يناير ١٩٥٦ .

السياسية أو الاقتصادية : قل مع من تحارب فلا بد أن تحارب ، ولا اختيار لك إلا أن تكون هنا أو هناك ، بل لا اختيار لك في الحقيقة أمام وسائل الاكراه!

ونحن في الشرق العربي لم نعرف معنى لهذا التخيير الذي لا يقوم على أساس غير اختيار الصف في ميدان القتال .

لم نعرف معنى ذلك لأننا إذا تلقينا الهجوم من الشرق عند وقوع الحرب فلا شك في وقوفنا إلى جانب الدفاع .

أما إذا جاءنا الهجوم من الغرب فالدخول في صفه وهو يهاجمنا أمر غير مفهوم .

وحقيقة الواقع اننا في الشرق العربي نعلم ان الكتلتين تحتلان بلاداً شرقية تربطنا بها رابطة العطف والأمنية الحسنة .

أما فيما عدا ذلك فنظامنا الاجتماعي وعلاقتنا الاقتصادية والثقافية اقرب إلى جانب الغرب . وليست بيننا وبين الكتلة الشرقية مع ذلك مقاطعة اقتصادية ولا سياسية ، وليست روسيا باعتبارها زعيمة الكتلة الشرقية عدواً لنا في علاقات الدول ، وانما تختلف قواعد المجتمع بيننا وبينها ، ولا نقبل من حكومة ما أن تعمل على المساس بتلك القواعد عندنا ولا أن تحول بيننا وبين حماية قواعدنا ، وليس بيننا وبين روسيا فيما عدا ذلك عداء في مجال المعاملات الدولية على اختلافها .

هذه هي حقيقة الواقع في جملتها :

نحن أقرب إلى الغرب بمجتمعنا وثقافتنا ومعاملاتنا الاقتصادية .

ونحن مع هذا الاقتراب قد رفضنا كل الرفض أن يتسلط علينا الغرب في سياستنا أو يتعرض لحريتنا .

فإذا جاء الخطر من غيره فمن المحقق أننا نرفضه وندفعه ولا يلتبس موقفنا في هذه الحالة على أحد ، لأنه بطبيعته لا يقبل الالتباس .

نحن لا نهدد أحداً بحريتنا ، ولكننا لا نرضى — بالبداهة — أن يهدد حريتنا أحد . ولا نوازن بين الكتلتين إلا بهذا الميزان الذي لا يخدعنا ، فلا عدو لنا منهما مع سلامة حريتنا من جانبه ، ولا صديق لنا منهما مع تعريض تلك الحرية

للخطر أو للتهديد .

لكننا نقول في صراحة لا بد منها ان سياسة الغرب تطيش بين الأصدقاء والخصوم في سبيل القضية الكبرى التي تهم البلاد العربية ولا بد أن تهمها ، وهي قضية إسرائيل .

ان المستحيل بعينه هو الإذعان للسياسة التي يفرضها الغرب على البلاد العربية من أجل هذه القضية ، وان تهديد الغرب لبلاد العرب يفوق كل تهديد على كل احتمال فيها يسامه العرب من مصير لا يخطر على عقل من العقول انه محتمل القبول .

يريد الغرب من امم العرب ، وهي قرابة خمسين مليونا ، ان تساوي مليونا ونصف مليون من الصهيونيين في القوة العسكرية والقوة الاقتصادية من باب أولى،وهي في العصر الحاضر– بل في جميع العصور –اهم من كل قوة عسكرية.

وهذا هو الذي يسمونه سياسة التوازن بين العالم العربي ودويلة إسرائيل .

لا يجوز لخمسين مليونا ان يطمحوا إلى درجة من التقدم والقوة تزيد على قوة مليون ونصف مليون من الصهيونيين .

أي خطر أكبر من هذا الخطر يهدد العالم العربي في المستقبل البعيد او المستقبل القريب .

ان الكرة الأرضية لا تحمل على ظهرها إنسانا يبغض الشيوعية اشد من البغض الذي يحيك لها في نفس كاتب هذه السطور ورأسه ، من قبل الشعور أو من قبل التفكير .

ولكنني افرض ابعد الفروض وهو تحقق الخطر الأكبر من الكتلة الشرقية وشيوع مذهبها في الأمم العربية :

افرض هذا مع انه عندي في حكم المستحيل لأنه يقضي على العقائد والمأثورات التي صمدت للتجارب في كل محنة من محن الشعوب والمجتمعات .

وافرض هذا مع ذاك فما هي النتيجة بعد هذا الخطر الوبيل ؟

النتيجة ان الشيوعية مذهب زائل لا يوجد الآن إلا باسمه وعنوانه ولا يوجد بعد عشرين سنة باسم ولا بعنوان .

هذا هو اقصى الخطر من الكتلة الشرقية في المحاولات السلمية ، ولانتحدث عن هذا الخطر من الوجهة الحربية فانه لا يعني العرب منفردين .

ولكن ما القول في خمسين مليوناً يحكم عليهم أبد الآبدين ألا يزيدوا في مراحل التقدم الانساني على مليون ونصف مليون ؟

من الذي يقبل هذا ؟

بل من الذي يستطيع هذا ؟

و كيف يمكن عقلا ان يجهل العرب هذا المصير المشئوم ؟ وأي صداقة يمكن أن يضمرها لهم من يقضي على وجودهم هذا القضاء من اجل إسرائيل ؟

واين هو الخطر على العالم ان لم يكن وراء الظواهر سر دخيل قد اوشك ان يبرز كالشمس لذي عينين ؟ هل الخطر على العالم من العرب او من اسرائيل التي لا تتحقق مآربها إلا بالحكم على خمسين مليونا بالشلل الدائم والعجز على كل امتداد وراء قوة المليون او دون المليونين من اسرائيل ؟

يا عرب .. لستم آدميين في رأينا نحن الغرب و كونوا لنا مع ذلك اصدق الاصدقاء !

او يا عرب ... انتم آدميون كاسرائيل ولكنكم – لأجل خاطرنا – معطلون أبد الآبدين ، مسئولون اليوم وغداً ألا تطمحوا بأبصاركم جميعاً إلى قدرة تفوق قدرتهم ، وهم مليون ونصف مليون ! .

ليس هذا بحكم اختيار ، وليس هو بحكم ضرورة . لأن أحداً في الأرض لن يملك السلطان الذي يفرض على خمسين مليونا ان يشلوا حياتهم مكرهين .

ونحن مع الغرب – على هذه السياسة الخرقاء – لا نملك ان نجاريه على اختيار ولا على اضطرار

قضية فلسطين (١)

كانت فلسطين هي الميدان الأكبر من ميادين الصراع بين اوربة والإسلام ، أو كانت هي الصف الأول في كل ميدان .

كانت هي الميدان الأكبر في ايام الحروب الصليبية .

وكانت هي الصف الأول في ميدان المسألة الشرقية ، وهي المسألة التي اجتمعت فيها الدول الأوربية حزباً واحداً أمام الشرق الإسلامي على الخصوص.

ولما انتهت المسألة الشرقية لم ينته الصراع بين الاستعمار الأوربي والإسلام، ولم يتغير الموقف نحو فلسطين ، بل طلع القرن العشرون وهي مجتمع القوى التي تحالفت على عداوة الاسلام ، واظهرها الصهيونية والتبشير والشيوعية والاستعمار على اسلوبه الحديث ، ونعني به الاسلوب الذي استبدل نفوذ المال والسياسة بنفوذ السلطان الحكومي والسيطرة العسكرية ، لأن تكاليفهما اصعب واعظم من تكاليف السيطرة بالمطامع والعلاقات السياسية .

ظهرت الصهيونية في الميدان، وايدتها دول الغرب بكل ما تستطيع واحتملت منها كل اجرام واعتداء ، بل جاوزت الاحتمال إلى المكافأة بالمعونة وبذل القروض والتزويد بالسلاح سراً وعلانية ، عدا ما تبذله لها من المعونة السياسية والدبلوماسية ، كلما اجمعت على قرار .

ولأول مرة في تاريخ الامم المتحدة تم الاتفاق بينها على استخدام المادة

(١) مجلة الاذاعة .

التاسعة والثلاثين لحماية السلام العالمي ، او على الاصح – لحماية إسرائيل .

ولم يكن الاسرائيليون يوماً من الايام محبوبين بين امم الغرب منذ القدم . بل كانوا في جميع العصور مبغضين مضطهدين ، وكانوا على احسن حال محتملين على مضض . اما هذه الحماسة في تأييدهم ومؤازرتهم فليست هي غراماً جديداً باسرائيل ، ولكنها هي العداء القديم للاسلام .

إن لسان الأعمال اصدق من لسان الاقوال ، فقد يكذب اللسان في القول ، وقد يعدل عن الصراحة إلى الإبهام ، ولكن قضية الصهيونية قد قطعت الأعمال والأقوال معاً بالعداء الصريح للاسلام ، فليس اصرح من الاعمال هنا إلا اقوال القائلين عن علم واطلاع على خطط المستعمرين .

يقول لورانس براون في كتابه الذي ظهر منذ عشر سنين وسماه طوالـــع الاسلام : « ان اليهود لاخطر منهم ، والخطر الاصفر – اي خطر الصين واليابان – لا يهم ، لأن الدول الديمقراطية تقاومه ، واما روسية البلشفية فهي اليوم حليفتنا وتحارب في صفنا ، ولكن الخطر الحق هو خطر الإسلام ، لما فيه مــن الحيوية الكامنة والقدرة على الانتشار والتسلط ، فهو السور المنيع أمام الاستعمار » .

وقبل ان تعلن اسرائيل عن وجودها بخمس سنوات تكلم عنها المبشرجون فان إيس فقال إنها ستشمل ارض الجليل وتصل إلى شرق الاردن وخليج العقبة .

إن طريقة الاعتراف بدولة اسرائيل أدل على النيات والخفايا من الاعتراف نفسه ، فلم تكن طريقة سياسيين ينفذون خطتهم بما تعودنا من المواربة والدهاء بل كانت اشبه بفرح الشماتة والانتصار الذي يطغى على النفس فلا تملك الصبر والمداراة .

لقد اعترف الرئيس ترومان باسرائيل قبل ان ينقضي ربع ساعة على إعلانها ، وكانت دولة لا تعرف لها حدود ولا رعية .

ولقد دعا الدكتور وايزمان إلى البيت الابيض ليلقى لديه الحفاوة الشخصية ، والتهنئة القلبية .

ونحن نعتقد ان « ترومان » يهودي اصيل وليس قصارى الامر فيه انه نصير محب لليهود . نعتقد ذلك ونستند فيه إلى قرائن قوية يشف عنهـا اسمه واسماء

أسرته كما تشف عنها نشأته وبعض أخباره التي دونها مترجموه .

فاسم ترومان من أسماء اليهود الأولى . شاعت بينهم حين حرمت عليهم اسماء المسيحيين فلجأوا إلى التسمي بأسماء الحيوان . واشتهر من أسمائهم في هذه الفترة اسم ليون أي أسد ، ودولف أي ذئب ، وفوكس أي ثعلب ، إلى أشباه هذه الأسماء .

ثم أنف بعضهم من اسماء الحيوان فعدلوا عنها إلى اسم الإنسان الموصوف ، فظهر فيهم اسم وايزمان أي الإنسان الحكيم ، وسوثمان أي الانسان من الجنوب ، وترومان أي الإنسان الصادق ، وظهرت فيهم غير ذلك أسماء سدرمان وقسرمان ونيومان ، فكان شيوعها بينهم أعم من شيوعها بين المسيحيين .

واسم ترومان الأول هاري ، واسم جده سومون ، واسم جدته لأمه هاربيت ، وكانت تسمى ذات الرأس الأحمر ، وهو لون للشعر يكثر بين اليهود.

واسم زوجته بيسي ، وهو ترخيم اليصابات في أسماء التوراة ، واسم أبيها ديف وهو ترخيم دافيد .

وقد كان عمله قبل العشرين « مسك الدفاتر » . وكان شريكه في الكانتين الذي أداره يهوديا يسمى جاكبسون وقد ترجم حياته اثنان في كتاب سمياه « هذا الرجل ترومان » فقالا من أخباره إن أحب أسفار التوراة اليه سفر الخروج وهو الذي يعتبره اليهود كتاب الخلاص ويجعلون الخروج من مصر — لهذا السبب — أكبر الأعياد . ويقول مترجماه إن أحب الموسيقيين اليه جوزيف لاويين أو كما يكتب بالروسية لهقين .

وعندنا له ولبعض أهله صور شمسية لا يشك من يراها في الشبه القوي بينه وبين اليهود الأصلاء .

وليس المهم حين نلفت النظر إلى هذه القرائن القوية ان حماسة ترومان للصهيونيين ترجع إلى نسبته اليهودية ، ولكن المهم ان نكشف القناع عن بعض أعداء الإسلام ، ومنهم الصهيونيون الساخرون والصهيونيون المحتجبون وراء الستار .

على ان الواقع ان الصهيونية قد لقيت التأييد المستميت من غير اليهود

الظاهرين والمستترين ، ولو كان كل انصارها من اليهود دون غيرهم لما وقفت قط على قدمين .

نعم . ان الواقع الذي لا شك فيه ان الحماسة في تأييد الصهيونية انما هي حماسة في عداوة الإسلام « وهكذا بدأت ، وهكذا سارت بالأمس وهكذا تسير بيننا اليوم وتنعت بذلك في الصحف السيارة والأعمال التي هي اصدق من الأقوال ، فقد نشرت صحيفة « سنداي تيمس » تحقيقاً مطولا بعنوان «الأضواء الكشافة على إسرائيل » فقال كاتبها بغير حياء إن إسرائيل أصغر من ويلز في الجزيرة البريطانية ولكنها مقحمة على العالم الإسلامي الذي يمتد من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي ، وإن إسرائيل ليست كجارتها لبنان تصحيحاً لوضع سياسي ، ولكنها إغارة مقتحمة على العالم العربي ، وتبدو كرأس الحربة في جنبه .

ثم قال : ان اليهود مجتمع كامل وليسوا مجرد طبقة واحدة من جملة الطبقات التي كانت تتولى الحكم في البلاد العربية .

واستطرد قائلا ما ترجمته بالحرف الواحد : « ان اليهود بهجرتهم كمجتمع كامل لم يتركوا إلى جانبهم محلا لسكان آخرين ، وانه — وان يكن في إسرائيل عرب إلا انهم مقبولون في باطن المجتمع لأنهم مسيحيون منفصلون عن العالم الإسلامي المعادي . اما العرب المسلمون — إلا القليل الذي لا يؤبه له — فقد هربوا بأنفسهم ولا يزال منهم نحو ثمانمائة الف يعيشون عيشة مهددة في معسكرات الهجرة بين البلاد الإسلامية » .

هذا هو وصف الموقف في فلسطين بغير مواربة ولا اكتراث : إسرائيل عدو مقتحم للبلاد الإسلامية .. « إسرائيل ليست طبقة حاكمة تكتفي بالسيطرة ووظائف الدولة ، بل هي مجتمع كامل يهدد العالم الإسلامي كله ولا يقبل فيه إلا من ينظرون إلى العالم الإسلامي نظرة العداء .

أما المهاجرون الهاربون من إسرائيل فهم العرب المسلمون ، وقد كاد الكاتب ان يقول : انهم لأجل ذلك شيء مهمل لا يستحق العناية ، ولا كلام هنا عن الرحمة ولا عن الانصاف لأصحاب الحق في اوطانهم ! فانما تصاب الانسانية وتقوم

القيامة إذا كان المهاجرون من اليهود الواغلين على البلاد ، وانما تكون الحجة الكبرى لقيام إسرائيل انهاتتسع لوفودالهجرة الاسرائيلية ، وإنما يجوزلاسرائيل إن تطغى على الأرض في حدود التقسيم او وراء حدود التقسيم ، وانما هم الاصدقاء المخلصون الذين ينعمون بحماية الدول الكبرى ويقال عن الخطر الذي يهددهم إنه خطر على العالم بأسره . أما المهاجرون المشردون من العرب فماذا يهم العالم من امرهم ؟ انهم مسلمون . انهم من تلك الملة التي تحارَب قبل ان يحارَب الخطر الاصفر ، وقبل ان تحارَب البلشفية ، وقبل ان يحارَب عدو من الاعداء .

ولسنا نكشف سراً مجهولا إذا قلنا ان سر هذا العداء مفهوم ومعقول من وجهة نظر الاستعمار .

فاليهود ينتفعون من الاستعمار وينفعونه ، واليهود لا يخيفون المبشرين ولا يزيد عددهم في العالم على الملايين العشرين ، ولا خطر اليوم من اليابان التي كانت توصف من قبل بالخطر الاصفر ، وربما دخل خطر الصين في حساب خطر الشيوعية الذي يعالجه المستقبل بالحرب او بالسلام .

اما القوة التي لا تذعن للخضوع ، ولا تتحول عن متعقد ، ولا تجاري المستعمرين في مطمع ، فتلك هي قوة الإسلام ، وعلى هذه القوة نتألب القوى الظاهرة والخفية ، وتتسمى بمختلف الاسماء في كل حقبة ، وبدايتها في القرن العاشر كنهايتها في القرن العشرين .

فهرس الكتاب

هذا الكتاب

ما أكثر ما كتب عن القضية الفلسطينية والحركة الصهيونية منذ نشأتها الى اليوم . وللاستاذ عباس محمود العقاد في هذا المجال السهم الأوفر ، فقد كان يتتبع أحداث هذه القضية ، بعناية البحاثة المدقق ، والوطني الغيور على مصير أمته وبلاده ، لابل بلهفة الانساني الحميم الذي ينذر ويحذر العالم كله من خطر الصيونية الهدامة .

وهذا الكتاب الجامع لشتات المقالات التي تناول فيها العقاد القضية الفلسطينية يعتبر مرجعاً صادقاً يكشف أسرار هذه القضية وملابساتها :

فمن الناحية التاريخية يجد القارىء عرضاً وافياً لتاريخ اليهود في حلهم وترحالهم، واضطرابهم في بقاع الارض، كما يجد تحليلاً دقيقاً للنفس اليهوية وما تنطوي عليه من شذوذ وميول .

ومن الناحية السياسية يقف على الالاعيب الخسيسة التي تذرع بها الصهيونيين ومؤيديهم من الانكليز والاميركان وغيرهم لتحقيق أغراضهم :

ومن الناحية القانونية يواجه أسطع الحجج واقوى البراهين التي تفند تفنيداً قاطعاً ادعاء اليهود في ارض الميعاد !

فما أجدر هذا الكتاب بأن يطلع عليه كل عربي ، وما أجدره بأن يترجم الى لغات العالم لينبه المخدوعين ، ويوقظ الغافلين والمتغافلين !

الثمن : ٧٠٠ ق. ل.

